أبو الحسن علي الحسني النّدوي

مذكّرات سائح في الشّرق العربي

مؤسّسة الرسالة

١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة

الطبعة الثالثة

١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

مؤسسة الرسالة — بيروت — شارع سوريا — بناية صمدي وصالحة
ص.ب. ٧٤٦٠ هاتف : ٢٩٥٥٠١ برقياً : بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد ! .

فان مكتبة اللغة العربية – القديمة والحديثة – غنية بكتب الرحلات والأسفار ، وكتب سجلت فيها الخواطر والانطباعات ، وقد امتاز العرب والمسلمون بالشغف بالأسفار البعيدة ، والمغامرات الخطيرة ، ونبغ فيهم الرحالون والمغامرون ، ومن أشهر كتب الرحلات في القديم رحلة ابن جبير الأندلسي (م ٦١٤ هـ) ورحلة ابن بطوطة المغربي (م ٧٧٧ هـ) وقد حفظا لنا الشيء الكثير من صور العالم الاسلامي الذي زاراه ، والمجتمع الاسلامي الذي عاصراه ، وشاهداه ، وتصويرا للشخصيات التي تعرفا بها ، وعاشا معها ، وهي صور وملامح تجرد عنها كتب التاريخ الذي يدور غالباً في الشرق حول الملوك والأمراء ، وحول الأحداث السياسية ، والحروب والمنافسات والعزل والنصب ، وكتب التراجم التي تدور حول العلماء والمشائخ ، والمناقب والفضائل .

وندرت الكتب التي سجلت فيها الخواطر ، والآراء والانطباعات ، بالنسبة الى كتب الرحلات والسير والأخبار ، واقتصر ما وجد منها على تسجيل الهواجس ، وخطرات النفس ، والحديث معها ومحاسبتها ، وتجارب الحياة . ومن أكثرها حيوية ، وأقواها أدباً ، رسالة « المنقذ من الضلال » للغزالي

(م ٥٠٥ هـ) ، وكتاب « صيد الخاطر » لابن الجوزي (م ٥٩٧ هـ) .

ومع الاعتراف بفضل هذه الكتب وفضل مؤلفيها ، لا بد من التسجيل هنا ، أن الحياة التي صوروها ، والبلاد التي رسموها ، والمجتمع الذي سجلوه للاجيال القادمة ، كان كل ذلك بسيطاً محدوداً متكرراً لم يتسع ، ولم يتعقد ، ولم يتنوع ، ولم يتجدد شأن الحياة في هذا العصر ، والمجتمع في هذا الزمان ، ولم يعرف الثورات الفكرية ، والحركات السياسية ، والمؤسسات الكثيرة ، والفلسفات المتناحرة ، والشخصيات المتناقضة . تكاد الحياة تكون في زمانهم صورة واحدة ، ونغمة واحدة ، فكانت مهمتهم سهلة بسيطة ، لا تحتاج الى الانتقال من أسلوب الى أسلوب آخر ، ومن جو إلى جو آخر إلا نادراً .

ثم إن أكثر هذه الكتب إنما كتبت أو أمليت بعد ان مضى على هذه الرحلات والمشاهدات زمن طويل ، وكان ذلك باقتراح أمير أو صديق ، واذا كانت الذاكرة لم تخن أصحابها في تسجيل الحوادث ، وتحديد الأمكنة ،وتعيين المقادير وان كان بعض الناقدين قد ساورهم الشك في دقة هذه التفاصيل فمما لا شك فيه أنه لا ثقة بالانطباعات التي هي أشبه بالظلال والأمواج ، فلا تدوم ولا تبقى ، ويستطيع الانسان أن يستعرض ما شاهده ، ولا يستطيع أن يستعيد مـا شعر به وما ترك الحادث فيـه من أثر نفسي ، وما هاج من اعجاب أو امتعاض أو لذة أو ألم . ولم تكن « طريقة المذكرات » أو « تسجيل اليوميات » قد حدثت بعد عنـد الرحالين والمؤلفين ، أو حدثت ولكن لم يطلع عليها القراء ، ولم تتناولها يد النشر والاذاعة .

وكثرت كتب الرحلات في هذا العصر لنشاط حركة التأليف والنشر ، ولتيسر السفن في هذا الزمان ، وتوفر أسباب الراحة والسرعة ، والوصول الى أقاصي البلدان ، ودعاية الحكومات وتشجيعها حتى تشكلت وزارة السياحة في كثير من الحكومات ، فكثرت كتب في اللغة العربية في العهد الأخيـر ،

ولكنها على ما تحتوي عليه من فوائد علمية وجغرافية ، ومادة للسمر، وتزجية الوقت ، وترويح النفس ، وتعريف ببعض جوانب الحياة والمدنية والاجتماع ، يغلب عليها الجانب الجغرافي وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء ، ولاتصور في الغالب الا جانباً من جوانب الحياة ، يتلاءم مع ذوق المؤلف ، أو يتجاوب مع غرض رحلته ، وهدفها ، فاذا كان الرحالة أديباً اقتصر على ذكر الأدباء المشهورين ، وتصوير الحياة الأدبية في هذه البلاد ، ووصف النشاط الأدبي ، واذا كان رجلاً دينياً أسهب في وصف الحالة الدينية ، وأغرق في التفاؤل أو التشاؤم ، واذا كان رجل سياسة أو ادارة ، ذكر مقابلة رجال السلك السياسي ، واسترسل في ذكر وصف الحركات و المذاهب السياسية وهلمّ جرا .

ثم يتجرد أكثر هذه الكتب عن العاطفة والعقيدة ، ومشاعر النفس وأحاسيسها ، ويمثل فيها المؤلفون دور آلة التصوير ، أو أداة التسجيل من غير تعليق على ما يشاهدون ، وصدى في النفس لما يسمعون ، فلا يسمع القارىء من خلال كتاباتهم دقات قلوبهم ، وهمسات ضمائرهم ، ويمكنه أن يضع على غلاف كتاب من هذه الكتب اسم مؤلف أجنبي ، لا يتصل بهذا المجتمع بثقافة أو نسب ، ولا يلتقي معه على عقيدة أو ديانة ، ولا يرتبط بعاطفة أو وجدان ، وذلك إن اعتبره بعض الناس فضيلة وكمالا ، ففي علماء الأدب من يعتبره نقصاً وعيباً ، فان الكتابة التي لا يستطيع القارىء أن يحدد زمانها وبيئتها ، ولا يهتدي الى عقيدة مؤلفها وفكره ، والقيم والمثل التي يحبها ، وينتصر لها ، ولا يشعر فيها بحرارة ألم وحزن ، وحلاوة اعجاب ورضا ، انها كتابة مصطنعة لا تؤثر في النفس ولا تصلح للبقاء .

خرج مؤلف هذا الكتاب في مفتتح سنة ١٩٥١ م ، في رحلة الى عواصم الشرق العربي ، وليدرس وضع هذه الأقطار الديني والعلمي ، والاجتماعي ، ويتعرف برجالاتها ، وقادة الفكر فيها ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية

والعلمية ، والقضايا الاسلامية ، والمناهج الاصلاحية ، والمشاريع التعليمية ، ويعرّفهم ببلاده « شبه القارة الهندية » التي أسدلت عليها حجب كثيفة ، وأثير حولها نقع كثير ، وعاشت في عزلة عن العالم العربي منذ فترة طويلة ، ويخبرهم بتجارب الدعوة والاصلاح التي مرت بها الهند الاسلامية في عهدها الأخير ، وقد كتب لها نجاح كبير ، ويستفيد بما جد في العالم العربي من آراء ونظريات ، ونشأ من حركات ودعوات ، ونبغ من رجال وشخصيات ، وقام من مدارس فكرية ومؤسسات ، وظهر من أساليب ، وثار من مشاكل ، وقد أراد الله أن ينشأ قبل أن يزور هذا البلد نشأة دينية ، علمية أدبية ، مثقفاً ثقافة متنوعة ، تركبت شخصيته بعدة عناصر ، يتذوق الأدب والشعر ، والتاريخ والاجتماع ، والحضارة وفلسفة الحياة ، وقد مارس الحياة العلمية ، وعمل في حقل الاصلاح والدعوة ، وباشر مهنة التعليم ، وعالج الكتابة والتأليف ، وعرف الأساليب الأدبية ، والمدارس الفكرية ، والاتجاهات المتعارضه في مصر ، والشام ، فزار هذه البلاد على بصيرة وبينة من الأمر ، وبعد أن لم يكن ينقصه الا اللقاء ، وأراد الله كذلك أن يزور الشرق العربي الاسلامي على أثر ظهور كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » أشهر مؤلفاته بالعربية ، فعرفته الأوساط الاسلامية قبل ان يزور هذه البلاد ، فيسّر كل ذلك مهمته من النفوذ في المجتمع الاسلامي العلمي ، فورد كل مشرع ، ونهل من كل مورد ، وزار كل طبقة من الرجال ، وخاض في كل موضوع ، وشارك في كل بحث ، وكان الحديث سجالا يأخذ ويعطي ، ويقتطف وينشر .

وقد التزم في هذه الرحلة كلها أن يسجّل كل حديث ، وكل انطباع في يومه غالباً ، وفي أقرب وقت اذا فاته التسجيل في اليوم ، وان يتحرى الدقة في النقل ، والصحة في الرواية ، وتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الامكان ، فجاءت في الكتاب صور من الاساليب والآداب المحلية ، يستفيد بها مؤرخ الادب فيما بعد ، ويتمثل القارىء لهذا الكتاب بعد ان مضى عليه زمن

شخصية المتحدث ، وسماته الحقيقيه ، ويتمثل البيئة التي دونت فيها هذه المذكرات ، وما كان يجيش فيها من صراع نفسي ، واصطراع فكري ، واضطراب اجتماعي ، وقلق وتذمر ، وثورة ، وما كان يتمخض به هذا المجتمع من حوادث لم تقع ، وشخصيات لم تولد ، ومن تطورات لم تتضح ، فجاءت هذه المذكرات بمجموع صور ناطقة يستطيع القاريء ان يعيش بها في هذه الفترة التي لا تعود أبداً .

وكذلك التزم أن يبدي آراءه وملاحظاته ، وانطباعاته على أثر مقابلة ، أو زيارة ، أو حديث أو مشهد ، وما أحدثه الحادث من رد فعل ، أو أثر نفسي ، ويسجل كل ذلك في أسلوب صريح مكشوف ، بعيد عن غموض وتحفظ ، وعن كل مجاملة وتكلف ، فهو وصف وتصوير من انسان حي ، يحمل القلب والعاطفة ، والعقيدة ، ويؤمن بمبادىء وقيم ، ومثل ، ويحب هذه البلاد التي يزورها ويرتبط بماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، ويعتبر نفسه عضواً من أعضاء هذه البلاد ، يشاركها في آلامها وآمالها ، ويشاطرها في شقائها وسعادتها ، ويرى الدين الاسلامي الذي أكرم الله به هذه البلاد ، واختارها لتمثيله ونشره في العالم ، المقياس في كل شيء ، فيقيس به الأعمال والأخلاق ، والرجال ، وتلك ميزة لهذا الكتاب ، لا يجد المؤلف حاجة للاعتذار عنها ، ثم يلقي قبل أن يغادر قطراً من الأقطار التي زارها نظرة اجمالية على هذا القطر ، ويذكر محاسنه وجوانب الضعف فيه ، وما سره في زيارته ، وما أحزنه ، وأثار فيه الاستنكار والاشفاق ، من غير ان يحتفل برضا أصدقائه الذين أحبهم وأحبوه ، وبسخطهم وعدم إعجابهم ، وقديماً قال الشاعر العربي :

وفي العتاب حياة بين أقوام .

وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب باسم « مذكرات سائح في الشرق العربي » عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) نشرتها جماعة الأزهر للتأليف والترجمة

والنشر ، قدم لها صديق المؤلف ، الفاضل ، وعضو الجماعة الكبير الدكتور محمد يوسف موسى ، وطبعتها مكتبة وهبـــه ، وجاءت طبعة مغلوطة لم يعتنى بتصحيحها وتنقيحها ، وبحسن الطباعة والاخراج ، وقد ظهرت لكل كتاب للمؤلف عدة طبعات الا هذا الكتاب،فقد كانت له طبعة واحدة ، فقد حدثت في مصر تطورات سياسية منعت من اعادة طبعها ، ولما علم المؤلف رغبة بعض المكتبات في طبع هذا الكتـــاب من جديد ، شك بعض الوقت في قيمة هذا الكتاب العلمية ، وخاف أن يكون هذا الكتاب قد فقد الشيء الكثـــير من الأهمية والغناء والحيوية ، وأن يكون قد مضى زمنه ، فقرأ هذا الكتاب من جديد ، فوجد ان الكتاب وثيقة تاريخية كبيرة ، والوثائق التاريخية لا تفقد قيمتها وأهميتها مهما تقدم زمانها. بل كلما تقدم الزمان ، وبعد هذا العصر الذي دوّنت فيه هذه المذكرات ازدادت قيمة هـذه المعلومات ، والانطباعات التي جاءت في صفحاتها ، فيرى فيها القارىء ملامح وقسمات وجوه ، لا يجدها في كتاب تاريخ ، ويقرأ فيها اعترافات وتصريحات لقادة فكرة، وزعماء اصلاح، وأئمة علم ، وأمراء بيان ، قد دوى أسماؤهم في الآفاق ، لا يجدهـــا حتى في مؤلفاتهم ومذكراتهم ، وقد يجد فيها الباحث بعد قرون حلقة مفقودة تكمل بحثه ، وتملأ الفراغ الهائل فيه ، قد يئس منها ، ويستفيد بهـــا المؤرخ ما لا يستفيد بآلاف من الصفحات من كتب التراجم ، وأوراق الجرائد والمجلات ، والأحاديث والمقابلات التي اعتادت الصحف أن تنشرها، وبذلك وافق المؤلف على فكرة طبع هذا الكتاب ، ورأى من المصلحة أن يقرأه القراء من جديد ، وينصفوا عن طريقه الكثير من الشخصيات التي أسدل عليها ستار ، وسحب عليها ذيل النسيان ، أو أساءت اليها الأغراض السياسية ، ويضعوا شخصيات أخرى في مكانتها اللائقة ، أعطاها بعض الكتاب والمؤلفين ، والدعايات أكثر من حقها ، وان يستفيدوا منها مـا يوفر عليهم الوقت والقوة ، والمواهب ، فتجارب العاملين ، والنتائج التي توصلوا اليها ثروة انسانية مشتركة ، تستفيد بها الأجيال بعد الأجيال ، وقد جاء في حديث صحيح : « الحكمة ضالة المؤمن

حيث وجدها فهو أحق بها » .

ولما صحت العزيمة على طبع هذا الكتاب ، وكان الفضل فيه لمؤسسة الرسالة « ببيروت » ، وقد فات المؤلف في هذه الرحلة أن يزور « لبنان » ، وقد كتبت له هذه الزيارة سنة ١٩٥٦ م ، فدوّن مذكراتها ، ونشرها في مجلة « البعث الاسلامي » بعنوان « ثلاثة أيام في لبنان » ، وقد الحق هذا الفصل القصير بهذا الكتاب اتماماً للرحلة ، واكمالا للكتاب .

وأخيراً نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، ويحقق به أهداف الرحلة التي قام بها المؤلف ، وتجشم تسجيل معلوماتها وانطباعاتها في زحمة من الأشغال والمواعيد واللقاءات .

أبو الحسن علي الحسني الندوي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله واصحابه أجمعين .

السبت ١٢ ربيع الثاني ١٣٧٠ هـ — ٢٠ يناير — ١٩٥٠ م

وداع الحجاز — أهداف الرحلة ورسالتها

توجهت بنا باخرة « اوندا » الايطالية من جدة إلى السويس مساء السبت بعد غروب الشمس ، ألقيت نظرة الوداع على ميناء جدة وقلت : وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة ، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك والاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة على ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط ، أبلغها تحياتك ، وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك ، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم ، والأمانة التي تقلدتها ، ثم أعود اليك إن شاء الله أحكي لك قصة هذه الأقطار الإسلامية العربية ، وما شاهدت في هذه البلاد من خير وشر ، وما رأيت لأبنائك من وفاء وجفاء ، بكل أمانة وصراحة ، فالرائد لا يكذب أهله ومن الكذب المهلك والخيانة المردية المجاملة في الأخبار والمبالغة في التفاؤل .

زملائي في الرحلة

يصاحبني في هذه الرحلة الأخوان العزيزان محمد معين الندوي وعبد الرشيد الندوي ، وقد كانا في الحجاز من العام الماضي ينشران الدعوة الدينية ،ويذكران

العرب برسالتهم التي اختارهم الله لها ، ويقابلان في الموسم رجال العالم الإسلامي ووفود العـــالم العربي مقابلة شخصية ، ويحادثانهم في الموضوع ، ويقدمان إلى المثقفين منهم رسائل ومحاضرات في اللغة العربية، تلفت نظرهم إلى ذلك وتوقظ فيهم الشعور الديني، وتنتقد الحالة الحاضرة ، ويشاركان زملاءهما الدعاة الهنديين والباكستانيين في التجول في البادية والقرى ، وإلقاء الدروس الدينية والاتصال بطبقات الشعب واستنهاض هممهم لخدمة الدين ومعرفته ودراسته ونشر دعوته ، وسيصاحبانني إن شاء الله إلى الهند .

أبرقنا في جدة صباح يوم السبت إلى الشيخ المحترم الحاج جلال حسين عضو مجلس الشيوخ المصري [1] نخبره بتوجهنا إلى مصر بباخرة « اوندا » وقد جاء كتابه قبل مدة يرحب بقدومنا الى مصر ، وقد أخبر بسفره إلى لندن وأنه سيعود قريباً ، وقال إنه كلف سكرتيره الأستاذ حسني صقر أن يتولى أمر المسكن .

المودعون

ودعنا على الميناء الإخوان الأعزاء السيد عبدالله ، ورضوان ، وطاهر ، وابن أختي العزيز محمد بن رشيد الحسني ، وسيقيمون في الحجـــاز مدة عامين يشتغلون فيهـــا بالدعوة ، ويتوسعون في دراسة اللغة والأدب ، ويتمرنون على الإنشاء والكـــلام ، ويتصلون بطلبة الكليات والمدارس ، ولا أزال أذكر المحروس محمد بن رشيد في هذه الرحلة لأنه كان رفيقي في السفر والحضر ومساعداً كبيراً في أشغالي العلمية ، جمعنا الله بالإخوان جميعاً في أشرف البقاع وفي أسعد الأوقات .

---

(١) قد كتب اليه صديقه الحاج عبد الجبار الدهلوي يخبره بقصدنا لمصر ويعرفه بنا ، فكتب الينا للشيخ جلال حسين يرحب بقدومنا .

الأحد ١٣/٤/٧٠ هـ - ٢١/١/٥٠ م

الأذان قد فقد شيئاً كثيراً من السلطان

قضينا ليلة هادئة ونمنا نوماً لا بأس به مع هبوب الرياح الشديدة طول الليل أصبحت نشيطاً مسروراً وأذن أخ مصري لصلاة الصبح ، فكان هو الصوت الوحيد والصوت الحق الذي دوى في هذا السكون المخيم على البحر والباخرة ، هذا هو النداء الذي أيقظ العالم بالأمس ، واضطرب له البر والبحر ، ولكنه لم يستطع أن يوقظ جميع المسلمين في الباخرة على قلة عددهم ، إنه مع الأسف قد فقد شيئاً كثيراً من قوته وسلطانه على القلوب ، وأكثر ما أضعف سلطانه الروحي هي المادية الغربية التي تعتقد الفلاح في غير الصلاة وفي غير العبادة والدين ، ولا تصدق بأن الصلاة خير من النوم ، وعلى كل فقد استيقظ من أراد الله به الخير ، وصلينا جماعة وجلست في مكان أتفرج على البحر وهو هادىء ساكن، والباخرة ليست لها حركة عنيفة تزعج الركاب، وقد كنت تخوفت جداً بحديث الأستاذ احمد عبد الغفور عطار والأستاذ عبدالقدوس صاحب «المنهل»؛ فقد لقيا تعباً عظيماً في سفرهما إلى مصر ، وبقيا عدة أيام لا يأكلان ولا يبرحان مكانهما للدوار ، وقد وقع لي مثل هذا أو أشد في كلتا الرحلتين للحج ، فقد بقيت نحو أسبوع لا أستسيغ طعاماً ولا أشتهي أكلا ، وأنا اجتزىء ببعض المشروبات أو الحوامض والفواكه ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد لطف بنا هذه المرة فلم يقع لنا شيء من هذا إلى الآن ، ونرجو من الله الخير ونسأله السلامة والعافية .

باخرتنا سفينة شحن في الحقيقة كأكثر البواخر التي تسافر بين جدة والسويس ، وأكثر حمولتها على الظهر خشب البناء والنارجيل الذي حملته من كولمبو وجزر الهند ، وقد حملت من جدة نحو خمسين راكباً أكثرهم مصريون وحجازيون وستة هنود وغيرهم وعدد قليل من السودانيين والتكارنة .

ركاب الباخرة

قابلت شاباً سورياً أبوه تاجر في جدة وقد سافر إلى الهند وهو شاب مثقف مهذب قدمت إليه رسالتي « بين الصورة والحقيقة » و « بين الهداية والجباية » فقرأهما وأبدى إعجابه وموافقته لما جاء فيهما ، وهو متذمر من طغيان المادة في البلاد العربية والتحلل الخلقي العام الذي أصيبت به هذه الأقطار ، صلينا الصلوات كلها بجماعة ، وأكثر من يحضر الجماعات مصريون وهم أكثر الركاب اهتماماً بالصلوة والمواظبة عليها ، وأكثرهم عملة وصناع كانوا يشتغلون في الحجاز وهم مسافرون إلى وطنهم ، رأينا فيهم خفة روح ودماثة خلق وإكراماً للعلم والدين وتألفاً أكثر من غيرهم .

وجدنا عند العصر تغيراً في الطقس وشعرنا بقربنا من منطقة باردة ونظن أننا نواجه البرد غداً .

الاثنين ١٤/٤/١٣٧٠ هـ - ٢٢/١/٥١ م

أصبحنا والحمد لله على الصحة والنشاط وصلينا بجماعة ، وتمشيت على ظهر الباخرة كما يتمشى الإنسان على البر لا أشعر باضطراب أو حركة مزعجة ، ثم أفطرنا وشربنا الشاي .

الحياة في الباخرة

لاحظت على هذه الباخرة التي جمعت بين أهل بلاد مختلفة ، ورفعت حواجز كثيرة حرية زائدة في النساء وقلة احتفال بالتستر والاحتشام والحجاب الشرعي فكنت أسمع مناقشتهن وحديثهن في كل موضوع كأنهن في مساكنهن ، وأراهن سافرات في كثير من الأحيان أما الرجال فلم أر فيهم رغبة في التعارف الإسلامي أو شعوراً بالجوار أو أثراً للحياة الاجتماعية ، وكل ذلك يدل على أن الحياة الاسلامية قد تضعضعت في بلادنا الإسلامية ، وحلت محلها حياة لا يهم فيها

الإنسان إلا نفسه وعياله وبطنه وراحته ، إننا في بلادنا إذا أردنا أن نعبر عن غاية القرب والمشاركة في الحياة والزمالة قلنا : « نحن ركاب سفينة واحدة » لكننا هنا متباعدون مع غاية القرب ، وكأن كل واحد منا راكب في سفينة خاصة .

ظللنا النهار كله نتفرج على الجبال على بر إفريقية ،وعلى يميننا – إذا استقبلنا السويس – رأينا سلسلة جبال كذلك . ولعل منها جبل الطور ولكن لم نجد من يخبرنا بالضبط أنه طورسيناء ، ولم يزل المضيق ينحصر والبران يتقاربان حتى كنا نرى الشاطئين عن يمين وشمال ، ومرت بنا بواخر كثيرة كأننا على جادة برية تمر بنا المراكب والسيارات عليها .

التشوق الى مصر وأسبابه

قضينا الليل ونحن نعرف أننا نصبح في السويس ، وأعترف بأنه كان يخامرني سرور غريب رغم كثرة أسفاري ذكرني بسرور أيام الصبا وأسفاره الأولى ، وما ذاك إلا أن مصر قد حلت في نفسي وعقليتي محل البلاد التي يألفها الإنسان من الصغر ، لكثرة ما سمعت عنها وقرأت عنها ، وعرفت من أخبارها ورجالها ، وقرأت من كتبها وصحفها ومجلاتها ، بل وأنا مدين لمصر في دراستي للغة العربية ، وفيها أدباء تأثر بهم أدبي وأعجبت بأسلوبهم وقلدتهم في الإنشاء زمناً غير قصير ، وبقيت متصلاً بالمكتبة العربية المصرية ونتاجها ، كأي عربي خارج مصر ، أقرأ مجلاتها الشهرية والصحف السيارة على اختلاف سياستها ونزعاتها ، وأقرأ كل ما تصدره المطبعة العربية في مصر في الدين والأدب والتاريخ والسياسة ، وأعرف أدباءها وكتابها وطبقاتهم ومنازلهم ، كما أعرف أدباء بلادي وكتابها ، إذن فلا غرابة إذا تطلعت إلى مصر وسررت بقرب زيارتها .

الثلاثاء ٥/٤/١٣٧٠ هـ / ٢٣ / ١ / ١٩٥١ م

على ساحل مصر !

وطلع الصباح والسويس معـــاً ونحن لكل منهما منتظرون ومتشوقون ، ورست السفينة فجاءت من الساحل زوارق بخارية تحمل رجالاً يرتدون الزي المصري الرسمي وعلى رأسهم الطرابيش الحمراء الجميلة التي ألفنا رؤيتها في بلادنا، وكانت شعاراً للمسلمين المثقفين للمدنيين (الأفنديه) رمزاً للولاء لتركيا الإسلامية في الهند ، وقد حيانا بعضهم بالتحية الاسلامية ورحب بنا ، فشعرت بالفرق بين بلاد المسلمين وبلاد غير إسلامية ، الفرق الذي لا يشعر به مسلم نشأ في بلاد الإسلام ، وتمت الإجراءات الرسمية فنزلنا مع الحوائج على البر ونحن لا ندري ماذا سنستقبله من تحقيقات وتفتيشات وتسجيلات وتقييدات يفرضهـا النظام المدني التقليدي على كل أجنبي ، بل وعلى كل وارد وصادر ! وقد تطوع رجل أفندي وقدم إلينا نفسه كمساعد ووكيل ، وقبلنا مساعدته فذهب بنـــا إلى إدارة ضابط المرور ، وهنا واجهنا أستاذاً يظهر أنه من طبقة الموظفين الكبار وسألني عني فلما أخبرته عن اسمي قال إن جلال (بك) في القاهرة أرسل إلي برقيـــة يكلفني استقبالكم في السويس ومساعدتكم ، وتوسط الأستاذ فتمت الاجراءات بسهولة وسرعة .

وساعدنا الوكيل في نقل الحوائج والاتفاق مع سيارة توصلنـــا إلى مكتب جلال بك بالقاهرة ، وقدمنا مبلغاً محترماً إلى الوكيل كأتعاب .

من السويس إلى القاهرة

وأخذنا في طريق الصحراء إلى القاهرة فإذا هي قاحلة مجدبة لا نبات فيها ولا بناء ، وفي الطريق أوقف السائق سيارته وقال هنا نصلي الظهر وأسجل هنا أني رأيت السائق المصري ممتـــازاً في أخلاقه وعفة لسانه ودينه عن السائقين

لهنديين الذين هم مضرب المثل في بذاءة اللسان ، وشذوذ في الأخلاق والمماكسة، والذي يهتم فيهم بالصلاة والواجبات الدينية نادر جداً ، أو لا أدري هل الذي رأيت في هذا السائق المصري عام في السواق أو كان شاذاً في طبقته . تجيب عن ذلك تجارب كثيرة .

وبعد ساعة مررنا بثكنة الجيش المصري وكانت أول ثكنة رأيتها في بلاد المسلمين ، فشعرت بغبطة وسرور ،وجرى على اللسان بعض كلمات الدعاء، ودخلنا مصر الجديدة فما شعرنا إلا ونحن في عاصمة من عواصم أوربا الوسطى ، إلا أنه كان يتخللها طراز شرقي مزيج من الشرقية والغربية ، ولم نزل نتوغل في القاهرة ، المدينة التي امتدت على ساحة واسعة حوت أكثر من مليوني نفس حتى وصلنا إلى مكتب جلال بك فاستقبلنا الأستاذ حسني صقر سكرتيره ورحب بنا، وبعد قليل جاء الشيخ أحمد عثمان وحيانا تحية الاخوان، وجلسنا نتحدث ونتعرف واتصل جلال بك بسكرتيره واعتذر عن القدوم لشغل حصل له ، وأوصاه أن ينزلنا هذه الليلة في فندق سيدنا الحسين ، ولكن مديرها اعتذر عن قبول الأجانب لما يحصل من تشويش في مسألة جوازات السفر والتأشيرات وغيرها ، فخرجنا الى فندق مصر في العتبة الخضراء ، ووقع لنا هنا ما وقع في الأولى ، وهنا شعرت بما يسمونه « الأجنبية » ، وعزز ذلك عقيدتي أن هذه المدينة لم ترفع الحواجز بل زادتها وقوّتها ، وأن السفر أصبح رغم كثرة المواصلات اصعب وأكثر متاعب ومشاكل مما كان في السابق ، وأصرح بأني شعرت بشيء من الامتعاض من هذه المعاملة القاسية ، وشعرت بشيء من الاهانة ؛ وقلت للشيخ أحمد عثمان لا لزوم أبداً لفندق ، فنحن ننزل في أي محل أو غرفة مهما كانت متواضعة ، ولكن الشيخ أبى وأخذنا إلى فندق البرلمان في العتبة نفسها وقبلنا المدير بعد كلام وإقناع ،وجلسنا نتحدث وحضر الأخ علي الشريف وسررت كثيراً بمقابلته بعد ثلاث سنوات ؛ وجلسنا نتذكر تعارفنا في المدينة المنورة واجتماعاتنا التي كنا نشترك فيها ونلقي الخطب وتفرقنا على وعد الاجتماع عند الظهر .

الأربعاء ١٢/٤/١٣٧٠ هـ ٢٣/١/١٩٥١ م

خرجنا بعد الفطور إلى مكتب جلال بك واجتمعنا بسكرتيره وبعد انتظار شرف الشيخ جلال وقابلنا بجفاوة وحرارة وجلسنا نتحدث؛ وقال لم أزل متتبعا لأخباركم، وقد ساءتني معاملة أصحاب الفنادق لكم وأنكرتها.

حفلة في رواق الهنود

وذهبنا إلى الأزهر ولا أعلم إلا أن هنا مجلسا لا يضم إلا بضع طلبة من الهند والباكستان فاذا بي في قاعة قد غصت بالطرابيش الحمراء والعمائم البيضاء، وإذا بي أمام فتية وشباب ينشط الخطيب برؤيتهم للكلام؛ وعلمت أن معظم الحاضرين هم أعضاء البعثة التركية إلى الأزهر وازددت بذلك سروراً واغتباطاً، وكان يليهم في العدد والأهمية طلبة سوريون وفلسطينيون، وتقدم السكرتير وهو شاب سوري اسمه محمد توفيق الكنجي فرحب بي على عادة الحفلات؛ وقام الشيخ لقمان الندوى والأزهري وهو الآن شيخ رواق الهنود فقدمني إلى الحاضرين وألقيت كلمة مرتجلة فيض الخاطر.

كلمتي في الحفل

وكان خلاصة ما قلت وروح «كلمتي» أن الاسلام رسالة خالدة ليس فيها قديم وجديد، إنما القديم والجديد في الحضارات والأدب وغيرها، وكل جماعة تدمج نفسها وشخصيتها في هذه الرسالة وتربط حياتها بها يكتب لها الخلود والبقاء، وتخرج من سلطان الأزمنة والأمكنة الخاضعة لناموس التغير والانقلاب وتنتصر على القوى المادية وعلى جميع المعارضات والمنافسات، وكان هذا سر انتصار الصحابة رضي الله عنهم وسر عظمتهم فقد قدروا قواهم ومواهبهم تقديراً صحيحاً ووزنوها وزناً دقيقاً فرأوا أنهم لا يستطيعون أن يجاروا الفرس والرومان في مدنيتهم وماديتهم وقوتهم الحربية فأدمجوا أنفسهم في هذه الرسالة

الخالدة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم والتي قضى الله بظهورها وانتصارها وذيوعها في العالم واخلصوا لها وربطوا حياتهم ومستقبلهم بها ، بحيث أصبحوا والاسلام شيئاً واحداً ، لا يعيش إلا بهم ولا يعيشون إلا به ، فلما كان ذلـــك وامتحن الله قلوبهم للتقوى استحقوا النصر من الله ، وقضى الله بظهورهم وغلبتهم وتمكينهم في الأرض ، وكذلك إذا أخلصتم يا طلبـــة الأزهر لرسالة الاسلام وأدمجتم أنفسكم فيها وربطتم حياتكم ومستقبلكم بالقيام بها والدعوة لها وقامت هذه الرسالة بكم وقمتم بها لانتصرتم وخضع لكم الزمان وأطاعكم ولمـــا فرغت من كلمتي قام الأستاذ محمد توفيق الكنجي وشكرني ورجــاني أن ألقي محاضرات في قاعة جمعية الشبان المسلمين أوجـــه الخطاب فيها إلى البعوث الاسلامية في الأزهر فقبلت اقتراحه ، وبعد ذلك رغبت اليه أن يعرف الطلبة الحاضرين فعرف بعضهم وسأل الباقين أن يعرفوا أنفسهم ، فتعرفنـــا بالتركي والسوري والفلسطيني والمصري ، وقلت للطلبة الأتراك إني أريـــد مقابلتهم والتحدث اليهم بصفة خاصة ويسرني أن أتلقاهم في مقري ، أو يدعـــوني إلى مجالسهم ومنازلهم ، وانفض المجلس على ذلك .

الخميس ١٧/٤/٧٠ هـ ٢٥/١/١٩٥١ م

جاء الشيخ عبيد الله والسيد علي أكبر والشيخ أحمد عثمان ، وعلى أثره جاء الأستاذ حسني صقر ليأخذنا إلى المحل الذي اختاره جلال بك لاقامتنا، فذهبت معهم ورأيت المحل ووافقت عليه ، وتقرر أن ننتقل اليه اليوم او بكرة .

مقابلة الاستاذ احمد امين بك

وفي الطريق اتصلت بالدكتور أحمد أمين بالتلفون ، وقد كنت أخبرته من مكة بقصدي لمصر وسألته متى يمكنني أن اجتمع به وأين أزوره ؟ فقال إنـــه يكون في الادارة الثقافية بالجيزة إلى الساعة الثانية عشرة وتوجهنا اليه ولم أكن قد رأيته من قبل ولكن درست كتبه دراسة عميقة وأعجبت بأسلوبـــه في

الكتابة العلمية والبحث والتحليل وبحسن ملاحظته في التاريخ واتزان فكره وذلك ما حملني أن أسأله أن يقدم لكتابي « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» معتقداً أنه من احق الكتاب والأدباء في مصر وأولاهم بكتابة هذه المقدمة لهذا الكتاب ، وأن موضوع الكتاب وفكرته توافق ذوقه وعقيدته فيكتب عن هوى ونشاط وعقيدة وبدافع نفسي ، ولكن لم ترض هـذه المقدمة كثيراً من الأصدقاء ، ويعتقدون انها لم تحسن الى الكتاب ولم تخدمـه ، بل قللت من قيمته ، ولكن ليس الذنب على الاستاذ احمد أمين فـان الكاتب والأديب لا يكون نشيطاً في كل وقت ومتحمساً في كل موضوع ، إنما الذنب على من يؤمل من بعد آمالا كباراً ، إذن فلا شكوى ولا عتاب ، وإني لا أزال على رأيي في الأستاذ احمد أمين رغم هذه المقدمة ، والحاصل أني ذهبت اليه وأنا افكر أني سأرى واسمع رجلا عرفته بمؤلفاته ومقالاته وبحوثـه ورأيت صورة فكره وأدبه وشخصيته العلمية ، وسأرى وجهه وأسمع كلامه فهل يطابق هذا ذاك او يكون غير ذلك ؟ لا أدري ، وطالما كان الخيال اوسع وأجمل من الحقيقة وطالما كان المؤلف والكاتب أروع وأملك للاعجاب في مؤلفاته ومقالاته منه في مجلسه وحديثه ، ولا أستغرب وقوع شيء من هـذا فاني رأيت لكل من هذا أمثلة وجربت في كل نوع رجالا .

وهكذا دخلت من باب الادارة الثقافية ؛ وسألت عن الاستاذ فأشاروا إلى البستان ، وإذا بشيخ يستقبلني ويرحب بي فارع القد نحيف الجسم ؛ وقد أثر فيه المرض وانهكته كثرة المطالعة والكتابة وأضعفت بصره ، وخلع أسنانه باشارة طبيب فأثر ذلك في صوته وأدائه ، وتدل السحنة والهيئة على أن النحافة طارئة أو أثر من آثار الشيخوخة والمرض ، وأن الرجل كان جسيما وسيما في شبابه ، ثم جرى ذكر الكتاب فقلت يعتقد بعـض الناس أني أرهقتكم بكتابة المقدمة فقال أبـداً وقد استفدت من الكتاب واطلعت على بعض المصادر الأجنبية وطالعتها .

بعض آراء الأستاذ الشاذة
في التاريخ الاسلامي والتشريع

ثم بدأ يذكر تأليفه الجديد الذي لم يطبع بعد وهو « الاسلام ماضيه وحاضره » وقال قد ذكرت في هذا الكتاب نقطاً قد تثقل على كثير من الناس منها أني قلت إن الاسلام لم ينفذ تماماً إلا في عصر الرسالة ، ومنها أن الستة الذين وكل اليهم عمر اختيار الخليفة اختاروا أخيهم (كذا) وهو عثمان ،وذلك لأنهم أرادوا أن يستريحوا من شدة عمر إلى لين عثمان ، ومنها أن لا بد من فتح باب الاجتهاد فقد جدّ من الأحوال والحوادث والمشاكل ما ألزم الاجتهاد وإبداء الرأي في كثير من المسائل الدينية ، مثلاً أصبحت الحياة مشغولة جداً فينبغي أن نسمح بالجمع بين الصلاتين في الحضر وكذلك يسمح للعملة في المصانع وغيرها أيام الصيف بالافطار والفدية عن الصوم ، وكذلك قد يقع بسبب بعض الأصول المقررة في الفقه أن الغني يسقط عنه الزكاة والفقير تجب عليه الزكاة ، فيجب أن ينظر في ذلك من جديد كذلك نشير على بعض المضحين في الحج أن يتصدقوا بالتمر بدل الأضحية ، لأن لحوم الأضاحي تضيع وتفسد الجو وتسبب الأمراض ، وأبديت عدم إرتياحي لهذا التفكير والآراء التي لا تتفق وأصول الدين ، إلا إني لم أر أن أناقشه في أول مقابلة .

الفكر العربي والفكر الأوربي في نظر الدكتور

ثم تكلم في الفكر العربي والفكر الأوربي فقال ان الفكر العربي يمتاز بالتحليل لذلك ظهر وفاق في القصص ، وتكلم عن الفكر الألماني ومدح عمقه وأنه أقرب إلى التصوف ، وأبدى إعجابه بكتاب « الاسلام على مفترق الطرق » وكان مجلساً علمياً تناول جوانب العلم والدين ، ودعا الى الغداء معه فقلت نؤجله الى يوم آخر وكان قد أحضر خمس نسخ من كتاب « ماذا خسر العالم » وأهداها اليّ فقلت له أنا كنت حريصاً على مطالعة كتابكم « حياتي » ولم أجده في الهند

ولا في الحجاز ، فدعا بنسخة من الكتاب وأهداها إلي .

خطبتي في مسجد الجمعية الشرعية

ذهبنا الى مسجد الجمعية الشرعية وخطب الشيخ أحمد عثمان ، وكانت خطبة لائقة في ساعتها ومحلها وصلى بالناس ، وأعلن الحاج علي ان ضيفاً من علماء الهند سيلقي كلمة ، وارتقيت المنبر وقلت ما فتح الله به عليّ ، ذكرت غربة الاسلام في هذا العصر في كل مصر وغربة القائمين على الدين والمتمسكين به وهنأت الجماعة على استقامتها وعدم اندفاعها مع التيار ، وذكرت شبهاً بين المتبعين للسنة في الهند وبين المتبعين لها في مصر ، وقلت ولكن لا بد من الجهاد لتغيير هـذا الوضع وتحويل التيار من شر إلى خير ودفع غربة الاسلام في وطنه وأهله وذلك لا يكون إلا بالحركة والتنقل وتحمل المشاق ونشر الدعوة والجهاد في سبيلها . وقلت ان الاسلام ليس تراثاً يتوارثه ابن عن أب وجيل عن جيـل كما يعتقد كثير من الناس ، فاستهانوا بقيمة هذا الدين لأنه انتقل اليهم عفواً من غير تعب ومجاناً من غير ثمن ، فاذا أصيب برزيئة أو هدده الخطر لم يحرك ذلـك منهم ساكناً ، بالعكس من الصحابة رضي الله عنهم الذين عبروا الى الاسلام نهرا من دم وقنطرة من متاعب وصنوف العذاب ، فكان الاسلام أغلى عندهم من نفوسهم ونفائسهم وأهلهم وأموالهم ، ولنرجع الى تاريخنا وحياتنا الماضية فلننظر هل نجد فيها صفحة مشرقة من جهاد أو حسن بلاء في دين الله ، أو صبر على المكروه أو رباط في سبيل الله ، أو غربة في دين الله فاذا وجدنا فلنحمد الله على ذلك ولنقر بها عيناً ، أولا ، فنتهم نفوسنا ونستقل أعمالنا (أحسب النـاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

ولما فرغت من خطبتي قـام فضيلة الشيخ أمين خطاب ابن مؤسس الجماعة والمصلح العظيم الشيخ محمود خطاب وخليفته ورئيس الجماعة الحالي وعلا المنبر

وشكر الخطيب الأول ، وخطب خطبة مسهبة استغرقت أكثر من ساعة وتكلم في موضوع الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتناول كثيراً من الأحكام الفقهية ومسألة الصفات وتأويل المتشابهات ، والخطبة تدل على اطلاعه واستحضاره متون الحديث ونفوذه في جماعته فان أكثر الناس صبر لهذه الخطبة على طولها ولم يقم من المجلس إلا أفراد أرهقتهم الحاجة .

مسجد الجمعية

وكان المسجد في غاية البساطة، ليس فيه شيء من البدعة والزينة ، وكذلك الخطبة والصلاة لم يكن فيها شيء مما يؤاخذ عليه ، إلا أن الخطيب لم يترحم على الخلفاء الراشدين ولم يذكرهم، ولم نسمع الآذان الأول وكانت الصلاة تمتاز بكمال الطمأنينة وتعديل الأركان خصوصاً في القيام من الركوع ، ولقد سرتني هذه الصلاة السنية ونظام المسجد وهدوء المصلين ، وأتمنى أن أعود اليه ، ولما نزل الشيخ عن المنبر تهافت الناس علينا يصافحون ويسلمون ، ولم أر الناس بعد ميوات في الهند يصافحون بهذه المحبة والاخلاص ويطلبون الدعاء إلا في هذا المكان .

كلمة عن الجمعية ومؤسسها

أسس هذه الجمعية الشيخ محمود السبكي ، وقد ولد هذا الامام سنة ١٢٧٤ بسبك البلد بمديرية المنوفية ، ونشأ نشأة أبناء الفلاحين فرعى الغنم لأبيه وحرس حديقته . ولم يتعلم شيئاً واتصل بعد بلوغه بالشيخ أحمد بن محمد جبل السبكي الخلوتي فاشتغل بذكر الله وجدّ في الطاعة وأذن له شيخه أن يرشد المريدين ويعاهد الطالبين ، ثم ألهمه الله أن يتعلم وقذف في قلبه حب العلم والحرص عليه وقد جاوز العقد الثاني من عمره وهو أمي ، لا يعرف الكتابة والقراءة ، فتعلم الخط وقصد الأزهر وتلقى العلم فيه حتى قرّأ الدروس في الأزهر الشريف للطالبين ، كل ذلك في نحو سنة كما حكى هو عن نفسه في كتابه « فتاوى أئمة

المسلمين » وكان يتلقى العلم في الأزهر ويرشد أبناء الريف اذا ما رجع اليهم اليهم فكان أزهرياً بين أزهريين ، وواعظاً مرشداً بين الريفيين ، وبدأ يطارد أدوات الملاهي والراقصات في الأعراس وينكر منكرات المآتم ، وينحى باللائمة على أرباب الطرق المخرفين في الأزهر والمساجدالأخرى ، وأحرز الشهادة العالمية من الأزهر بتفوق واشتغل بالتدريس ، وأخذ يبين البدع والخرافات الفاشية في القطر المصري في دروسه ويجاهد بقلمه ولسانه ، وفي سنة ١٣٣٠ كون جمعية أسماها « الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية » وكان من أعمال الجمعية إرسال الدعاة والوعاظ وانشاء المساجد على طريقة السنة والمنسوجات الوطنية .

وقد كان لاخلاصه وجهاده أثر ظاهر ملموس في القطر المصري ، يشاهد في صحة الاعتقاد والرجوع إلى التوحيد ، والتطهر من الشرك والبدع ، والمحافظة على آداب الشريعة وشعائرها ، وتعرف هذه الجماعة وأفرادها بلحاهم الشرعية التي كادت تكون نادرة غريبة في مصر ، حتى في جماعة العلماء ورجال الدين وبالعمائم ، وانتقل الشيخ الى رحمة الله سنة ١٣٥٢ هـ ، وخلفه ابنه الشيخ أمين محمود خطاب الذي سبق ذكره .

واني كلما اتصلت بأعضاء هذه الجمعية تمثل لي علماء (ديوبند) واتباعهم في الهند فبين الجماعتين شبه عظيم في العقيدة والتمسك بالدين والحرص على اتباع السنة والمحافظة على آدابها وشعائرها وفي علم التوحيد ومسألة الصفات وتأويلها، ولولا هذه النقطة الأخيرة لا تحد الاخوان الشرعيون مع الاخوان أهل نجد في مسألة الصفات وتأويل المتشابهات .

حياة الجمعيات والدعوات متوقفة على الزيادة في ثروتها والتطبيق بينها وبين روح العصر

ويظهر لي ان هذه الجمعية لا تزال على خير في هذه الديار التي استسلمت

للمدنية الغربية ، وسال بها سيل المادية ، وأنها لا تزال محافظة على تراثها الذي ورثته من مؤسسها العظيم ، ولكن هل تحتفظ الجمعية بحياتها ونشاطها في المستقبل وتتمتع بنفوذها الروحي في أعضائها ولسائر هذا العصر ؟ ان ذلك راجع الى الاجتهاد والتفكير وتجديد الدعوة والرسالة لهذا العصر والجيل الجديد ، وقد رأينا كثيراً من الجمعيات والجماعات يؤسسها رجل مخلص عبقري صاحب تفكير وشخصية قوية ثم يخلفه رجال لا يزيدون في ثروتها ولا يجمعون بين دعوتها وروح العصر ولا يفكرون في زيادة شيء وتغيير أسلوب بأسلوب أقوى أو أنفع فلا تلبث أن تضمحل هذه الجماعة أو المؤسسة بالتدريج أو تبقى جسداً بلا روح أعاذ الله هذه الجمعية من هذا المصير .

وبعد صلاة الجمعة جلسنا مع فضيلة الشيخ رئيس الجمعية وهو منور الشيبة يلوح على محياه آثار العبادة والزهد . أعجبني وقاره مع خفة روحه وكان يدخل على السامعين شيئاً من التنوع ويداعبهم في اللهجة المصرية واللغة الريفية فينشطون .

انهيار العالم الغربي

كان الاخوان أخبروني بوجود الاستاذ سعيد رمضان في القاهرة وأخبروني بنشاطه في العاصمة والأرياف وتنقلاته واتصالاته بزملائه اعضاء جماعة (الاخوان المسلمين) ، وكنت حريصاً جداً على الاجتماع بالأستاذ وإني لأعد الاجتماع برجال الدعوة والحركة الاسلامية من أكبر حسنات هذه الرحلة وأطيب ثمراتها ولما طالت إقامتي في الحجاز درست أحوال البلاد العربية عن كثب ، وعرفت ما هنالك في العالم العربي من تفسخ في الأخلاق واستبداد في الحكومات وتحزب في السياسة ، وانصرف بالكلية عن الدين ، وعبادة المادة وضياع الشعوب العربية بين حكومات مستبدة ورجال يعبثون بأموال الدولة والأمة عبث الأطفال بالحصى والخزف واحزاب سياسية تتلهى بالشعب وتسخر منه وتضرب

بعضه ببعض لمصلحتها وسياستها وبرجال لم تنشرح صدورهم للاسلام ولكن يصرون على أن يحكموا شعبا يؤمن بهذا الدين ، وعرفت أنه لا يغير هذا الوضع ولا ينقذ العالم العربي من الانهيار الذي يتهدده إلا حركة شعبية قوية أساسها الايمان والتقوى والجهاد لاعلاء كلمة الله ، ومن أهدافها تطهير المجتمع من الأدواء الخلقية والاجتماعية وتطبيق نظام الحياة الاسلامي في الأقطار الاسلامية ورأيت أن الشر قد تفاقم وأن الأمر أعظم من ان يتدارك بجهود فردية ودروس دينية وإلقاء مواعظ وخطب او نشر مؤلفات وكتب او الجمعيات تسير سيراً وئيداً .

السيل لا يمسكه إلا سيل مثله

إن السيل لا يمسكه إلا سيل مثله، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه،وقد سمعت ممن اتصلت بهم من أدباء الحجاز ومن قابلتهم من الاخوان في الحج . أن حركة الاخوان تحقق هذه الأمنية فقد أثرت في حياة البلاد تأثيراً قوياً واجتمع عندها من قوة وايمان وعمل ، وعلم ، وحماسة ، وتنظيم ، ودعوة ، ما يستطيعون به – لو أذن الله بذلك – أن يغيروا اتجاه البلاد من اللادينية إلى الدين ، ومن الاستهزاء بالدين الى التمسك والتفاخر به ، ووقع بعد ذلك من قتل النقراشى باشا واغتيال المرشد العام وحل الجمعية ومطاردة الاخوان واغتيالهم وتعذيبهم ما يعلمه الجميع ، وتلك مأساة البلاد العربية وكارثة العالم الاسلامي ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ويعود الاخوان الآن الى نشاطهم ويصدرون صحيفتهم .

وقد كنت كتبت من مكة الى الأستاذ صالح عشماوى أخبره بسفري الى مصر ورغبتي في الاجتماع به ، ومكثت في مصر عدة أيام لا أعرف احداً من الاخوان البارزين ولا أحداً يرشدني الى الاستاذ عشماوي حتى علمت بوجود الاستاذ سعيد رمضان ، فأبديت رغبتي في الاتصال به ؛ وفي ليلة السبت شرفني

بزيارته مع رهط من الاخوان الشبان من طلبة الكليات وتلاقينا كأصدقاء يجتمعون بعد فراق ، وعلمت منه أن صديقنا الأستاذ محمد ناظم الندوى كان يذكرني له وقدم اليه بعض رسائلي ، وجلس الأستاذ سعيد بجاني يتكلم كصديق قديم وأخ حميم ، واعجبني منه نشاطه وخفة روحه التي كانت تبدو في حركات يده وأسارير وجهه ، وإقباله على الجالسين كلهم بالفكاهة والخطاب ، واعجبني ذهنه المتوقد وقلبه المتفتح ، وبعد حديث تناول بعض البلاد الاسلامية والشخصيات الاسلامية والصراع بين العاطفة والعقل وطغيان العقل على العاطفة في هذا العصر ؛ إلى غير ذلك مما يتصل بالمسلمين والعالم الاسلامي ، وقام الاستاذ سعيد ، ووعد بأنه سيجمع غداً بيني وبين الاستاذ عشماوي .

السبت ١٩/٣/٧٠ هـ – ٢٧/١/١٩٥١ م

مقابلة الشيخ حامد الفقي

وانتقلنا الى محلنا الجديد في سوق الصيارفة في شارع الموسكي وخرجنا بعد الظهر نقابل الشيخ محمد حامد الفقي في دار جمعية أنصار السنة المحمدية وقابلنا في مكتبة ببشاشة وحفاوة وعتب من تأخير مقابلته فأجبت بما يليق ، قال : وقد كنت أخذت نسخة من كتابكم وطالعتها وكنت أريد ان اكتب عن هذا الكتاب ، ولكني وجدت أنه يحتاج الى قلم أكبر من قلمي فإني متكلم أكثر واقدر مني كاتباً ، قلت : العفو يا سيدي ، كنت مسروراً لو كتبت عن الكتاب ، وأخبرته برغبتي في مقابلة الاستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ احمد محمد شاكر صاحب المؤلفات الكبيرة ، وفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ نزيل مصر الآن ، فأبدى الشيخ محمد حامد استعداده لذلك ، وبعد قليل أخذنا معه الى مطبعة أنصار السنة .

زيارة فضيلة شيخ الازهر

وبعد صلاة المغرب خرجنا الى دار الاستاذ الأكبر ، ولما دخلت في داره لم أشعر إلا وإني في مقر رئيس وزارة في دولة كبيرة ، ودخل الاستاذ محمد حامد في غرفة الشيخ،ويظهر أنه كثير التردد الى منزله قديم التعارف والصداقة معه ، لأنه لم يحتج الى تعيين وقت للمقابلة والاستئذان ، ووجدنا مع الشيخ جماعة من كبار الأساتذة الأزهريين رجال الوزارة ، منهم الشيخ عبد اللطيف دراز مدير الأزهر . قام الشيخ ورحب بنا ، وقدمني الشيخ محمد حامد إلى فضيلته ، وذكر صلتي بندوة العلماء ومعهدها دار العلوم فقلت : أبلغكم تحيات علماء الهند وهم يحملون أعظم تقدير للأزهر ، فأجاب فضيلته جواباً لائقاً وقدمت الى الشيخ نسخة من كتابي « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وجلسنا نتكلم .

الوضع التعليمي الديني في الهند وفضله في تربية العلماء

قلت : ان الوضع التعليمي الديني في الهند يختلف عن الوضع التعليمي في هذه الأقطار التي تتمتع فيها دور التعليم بمساعدة الدولة وحمايتها ، فان المدارس الدينية عندنا ينفق عليها الشعب المسلم ، ويعلم فيها علماء متطوعون ، ويلتحق بها من يعتقد أنه لا نصيب له في وظائف الحكومة ومناصبها ، فلا يتقدم اليها إلا من يضحي بمستقبله الاقتصادي ، وذلك الذي يثير في علماء الهند الهمة وروح المقاومة والجهاد وروح التطوع والاحتساب .

قال الاستاذ الأكبر : كذلك كان الأزهر في عهده القديم . قلت: وكان ذلك العهد عهد السعادة للأزهر . قلت: ومدرستنا دار العلوم التابعة لندوة العلماء من كبريات المدارس الدينية في الهند ، ومركز ثقافي عظيم للمسلمين ، وهنا تكلم الأستاذ محمد حامد وأثنى على دار العلوم وأعمالها وخدمتها للدين والعلم قال

الشيخ : ورئيسها .. وبدا كأنه يتذكر اسماً غاب عن فكره الآن ، فقلت : الأستاذ السيد سليمان الندوي فعرفه ، ولعل الشيخ قابله في مكة العام الماضي. قلت وعميدها الآن أستاذ قد تخرج من الأزهر وهو الشيخ عمران الندوي والأزهري.

وسأل الحاضرون عن مسلمي الهند وأحوالهم الدينية وشئونهم . فقلت إنهم : متمسكون معتزون بدينهم مصممون على الإقـامة في الهند ، ومراكز الثقافة والتعليم الكبيرة للمسلمين لا تزال في الهند وذكرتهـــا . وقام الشيخ محمد حامد وودع فضيلته فشيعنا الأستاذ الأكبر إلى البـــاب وودع الزوار بكل تواضع وإكرام .

الأستاذ الأكبر

يبدو لي أن فضيلة الأستاذ الأكبر على جانب عظيم من الصلاح والتواضع ، وهو رجل وقور يزينه الشيب والعلم ، وتزدان به مشيخة الأزهر ، وسألت الشيخ محمد حامد ونحن عائدون من داره عن علم الشيخ ، فقـال لا يدانيه في العلم أحد اليوم في مصر ، وأنا أعرفه منذ كان إماماً للملك فؤاد ، ثم كان نائب المحكمة الشرعية ، ثم كان مفتي الديار المصرية ، ثم أحيل إلى المعاش ثم اختير شيخاً للجامع الأزهر فكان اختياراً موفقاً ، قلت : ومـا رأيك في إضراب أساتذة الأزهر ؟ قال إن الدافع هو طلب الزيادة في المعاش والحرص على المادة . وسألني أن أكتب لمجلة « الهدي النبوي » مقالاً عمـــا ذكرته في مجلس الشيخ باختصار وعن الوضع التعليمي وأخلاق العلماء في الهند .

في درس الشيخ حامد الفقي

وعلمت في الطريق أن له درساً في الليل بعد العشاء فاستأذنته في الحضور ، وصحبناه إلى دار الجمعية وكان درس الليلة في القرآن في سورة مريم :

« يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً » .

وكان درساً طيباً في حسن الإلقاء وبلاغة الأمثلة ، وتناول الحيـاة العامة وانتقاد وضع المسلمين الديني الحاضر واشتغالهم عن اللبـاب بالقشور ، وعن الحقيقة بالأشكال ، وأصرح بأني لم أكن أعرف للشيخ محمد حامد هذه الخطابة الطيبة والتصرف في الكلام ، والنفوذ في العقول ، ولكن لم يعجبني كلامه في أهل المذاهب ، فقد كان كلاماً لاذعاً وتهكماً ساخراً ، فقد ذكر أنهم عمي وصم وبكم في الدنيا والآخرة الى غير ذلك ، وهذا كلام لا يليق لمصلح مخلص ، وهو كلام منفر لا يخدم مصلحة من مصالح الدين ، وكذلك أتمنى أن يكون في درسه نصيب للقلب مثـل نصيب العقل أو أكثر فذلك الذي يزكي النفوس ويولّد الخشوع والإنابة إلى الله واتهام النفس وهو مما لا بد منه لجماعة تنهض لإصلاح المسلمين وخدمة الدين .

وبعد الدرس أعلن الشيخ من غير أخذ رأيي عن محاضرتي يوم الثلاثاء فوافقت عليه لأني كنت أتحين فرصة للتحدث إلى أعضاء هذه الجمعية وأصدقائها . وبعد الدرس قابلني الأستاذ علي عدلي المرشدي سكرتير فرع نام من فروع الجمعيـة بحفاوة ومحبة عظيمة؛ وهو الذي طبع رسالتي (من الجاهلية إلى الإسلام) العام الماضي ونشرها ، وأخبرني أن الرسالة كان لها رواج وذيوع في مصر والسودان وكرر الطلب من السودان فبحث عن نسخها وأرسلها ووعد بأنه سيحضر نسخاً منها يوم الثلاثاء .

الأحد ٢٠/٤/١٣٧٠ هـ – ٢٨/١/١٩٥١ م

مع شباب الاخوان

جاءنا في الصباح الأخ يوسف القرضاوي والأخ محمد الدمرداشي من طلبـة الأزهر ومن الإخوان المسلمين يتوقدان حماسة وغيرة وذكاءً ، وهما من الشباب الذين تقر بهم العين ويقوى الأمـــل في مستقبل الإسلام في هذه البلاد ، وكم في الإخوان من أمثال هؤلاء الشباب ، ولو لم تكن للاخوان حسنة غير بعث

الحيـاة الدينية وإشعال العاطفة الإسلامية في الشباب الإسلامي وتوجيههم إلى الدين لكفاها فخراً وغبطة، وقد قرأ الإخوان كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟) ، وقد نال رواجاً في أوساط الإخوان وأقبلوا على قراءته واقتنائه، وذلك بتوجيه مراقبهم الثقافي الأستاذ عبد العزيز كامل وإشارته على الإخوان بقراءته ، وقد طلبا مني إلقاء محاضرة في حفلة خاصة بطلبة كلية أصول الدين وقبلت اقتراحهما بكل سرور، لأنه من مقاصد هذه الرحلة، وأطلعتهما على حديثي (من العالم إلى جزيرة العرب) و (من الجزيرة العربية إلى العـالم) فأخذاهما ليطبعاهما في بعض المطابع التي يتصلان بها . وجاء بعدهما الشاب عبد الله عقيل العقيل ، وهو شاب عراقي مسلم نشيط متشبع بمبادىء الإخوان متحمس لها ، يتعلم في كلية الشريعة ، تذكرت أن الأستاذ مسعود الندوي ذكره هو وبيته في رحلته « في ديار العرب » جاء ليأخذنا إلى مكتب الأستاذ عشماوي فخرجت معه ؛ وظل طول الطريق يتحدث عن حركة الإخوان ورجالها البارزين ويثني بصفة خاصة على الشيخ محمد الغزالي الواعظ ؛ والأستاذ عبد العزيز كامـــل ، والأستاذ بهي الخولي . وقد جاء ببعض مؤلفات الأستاذ الغزالي هدية لي .

وقابلت الأستاذ صالح العشماوي وكلانا مشتاق إلى صاحبه ، وتعانقنـــا وتعانقت القلوب الخفاقة مع الأجسام ، وكأننا أصدقاء من زمن طويل .

مع الأستاذ سعيد رمضان

وخرجنا بعد الظهر إلى منزل الأستاذ سعيد رمضان ، جلسنا قليلاً نتحدث عن شئون المسلمين في الهند وحركة الدعوة الدينية والجماعة الإسلامية فيها ، ثم تغدينا وصلينا العصر وذهبنا بعد المغرب إلى دار أنصار السنة .

وبعد العشاء خرجنا مع الشيخ محمد حامد الفقي إلى حفلة افتتاح لفرع في الجمعية حي بولاق ، وكانت حفلة مشهودة فيها أنوار كثيرة مثل حفلات المولد في الهند وغيرهـــا وكانت حفلة زاهية بالطرابيش الزاهية الحمراء ؛ وخطب

الأستاذ محمد حامد خطبة طويلة تأثر بها الناس ، ورجعنا بعدها إلى المنزل

(الاثنين ١٣٧٠/٤/٢١ هـ - ١٩٥١/١/١٩ م)

كنا قررنا أن نجتمع اليوم بالدكتور أحمد أمين ، ولكن مع الأسف وجدنا الدكتور قد خرج من الإدارة قبل عادته ، وقابلنا الأستاذ رشاد عبد المطلب الذي يشتغل في الإدارة بقسم المخطوطات وهو مطلع فاضل فآنسنا وجلس معنا، وتكلمنا في الكتب الخطية والآثار العلمية .

مقابلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

رأينا أن نزور اليوم فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ في منزله بالجيزة،فذهبنا إليه وقد جاء إلى مصر يتعالج واستأجر بيتاً في الجيزة، دخلنا بيته فوجدناه لائقاً بالأمراء وكبار الأثرياء وقد نظم تنظيماً عصرياً ، وسلمنا على الشيخ وقدمنا إليه كتاب قريبه أخينا في الله الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ ، والشيخ محمد إبراهيم مكفوف البصر ، فدفعه إلى بعض حواشيه ليقرأه عليه وبعد ذلك جلسنا نتكلم ، وسألته عن عبيد الله الدرويش الزاهد المهاجر الهندي الذي يثني عليه أهل نجد كثيراً ويذكرونه بخير ، فذكر عبد الكريم الدرويش وعبد الله الدرويش . وبمناسبة هذين الرجلين جاء ذكر الشيخ المجاهد إسماعيل الشهيد الدهلوي والسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد فعرفت أن الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ محمد حامد لا يعرفان عنهما وعن حركتهما وجهادهما شيئاً ، وكان من حسن المصادفة أني كنت اصطحبت كتاب « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » خلاصة نزهة الخواطر فقرأت ترجمة الشيخ الإمام إسماعيل الشهيد ، وأبدى الشيخ محمد رغبته في مطالعة هذا الكتاب فتركته عنده، والشيخ له اطلاع واسع على ما قيل عن جده الكبير ومن طعن فيه ومن دافع عنه وكتب أجداده وعلماء نجد ، وقد ذكر صديقنا الفاضل الأستاذ

مسعود الندوي الذي اجتمع به في الرياض وذاكره في بعض ما يتصل بشيخ الإسلام . ورجعنا إلى مقرنا .

٢٢/٤/١٣٧٠ هـ - ٣٠/١/١٩٥١ م

بقيت اليوم في غرفتي أشعر بشيء من الفتور والبرد ، واشتغلت بتصحيح رسالتي (المد والجزر في تاريخ الإسلام) التي أقصد طبعها في مصر والزيادة فيها وإعدادها للمطبعة .

في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين

ذهبنا من إدارة الجمعية إلى مركز جمعية الشبان المسلمين ، ودخلنا قاعة الدكتور عبد الحميد سعيد فتذكرت ذلك الرجل المؤمن الذي كان مركز الشبان في مصر وروح الشبان المسلمين وترحمت عليه ، وليس بناء الجمعية بشعبه ونواحيه إلا أثراً من آثاره الجميلة الخالدة ، وكان في هذه الليلة محاضرة للأستاذ أحمد الشرباصي أحد علماء الأزهر ورائد الشبان المسلمين ولم يكن حضر بعد .

مقابلة اللواء محمد صالح حرب

وذهبنا إلى غرفة سعادة اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان معتكفاً في غرفته في دار الجمعية لمرض ؛ فعدنا وسلمنا عليه ، وقدمنا إليه كتاب الشيخ محمود شويل في التعريف والتوصية ؛ وكان قد سمع بقصدي لمصر ، والرجل مهذب لطيف الحديث دمث الخلق .

زيارة دار الجمعية

ورغب إلينا سعادة الباشا أن نزور شعب الجمعية ونشاهد نشاطها ، فذهبنا مع أحد الموظفين أو الأعضاء ؛ دخلنا في دار الجمعية وجلنا في غرفها وشعبها

جولة فرأينا الأعضاء مشتغلين بالألعاب الرياضية والملاكمة والمصارعة ، أعجبنا نشاطهم وحرصهم على الرياضة البدنية وتربية الأجسام وتقويتها ، وسررنا بما رأينا فيهم من صحة وشباب ؛ وتذكرنا بنجاب وشبابها القوي النشيط ؛ ومررنا بمجموع كبير من الصور الفوتوغرافية لبعثات الجمعية وأعضائها في مختلف شؤونهم. وما شعرنا إلا ونحن في جمعية أهليـــة من الطراز العربي وناد راق من نوادي الرياضة والكشافة ودخلنا مكتبة الجمعية ، فرأينا الصالح والطالح من الأدب والمجلات والروايات وذلك داء عم البلاد والعباد ، وشمل الوهاد والأنجاد .

محاضرتي في دار أنصار السنة

وكانت الليلة محاضرتي في دار جماعة أنصار السنة فبادرت إليها .

تقدم الشيخ محمد حامد الفقي رئيس الجمعية وألقى كلمـة ، ثم تكلمت عن مهمة الدعوة إلى الله وجلالها وخطرها وضخامة مسئوليتها ومؤهلاتها وشروطها وذكرت أن كثيراً من الناس الذين لا يحسنون صناعة أو حرفة يحترفون صناعة الدعوة ، ويظنون أنها أسهل شيء في الحيـــاة ، مع أنها أوسع وأعقد وأجل خطراً من مهمة الدعوات السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية ؛ فقد تكون ثورة وتغيير وضع ونسخ نظام بنظام من غير تعرض للأخلاق والروح الإنسانية ، وقد يكون قادتها ورجالها مع إخلاصهم لدعوتهم وجهادهم في سبيلهـا رجالاً منحطين في الأخلاق والانسانية متلوثين بالأشياء الفظيعة ولا يعدون هذا تناقضاً ومنافاة لروح الدعوة ، ولكن الدعوة إلى الله تتناول الأخلاق والروح والفضائل وجميع المؤهلات الدينية والإنسانية ، وتستلزم إيماناً راسخاً ويقينـــاً صادقاً وتضحية فائقة وإيثاراً نادراً وشجاعة بارزة وعقلاً واعياً وعلماً صحيحاً ولساناً ذاكراً وقلباً منيباً ، وتستلزم العبودية والخشوع والابتهال في الدعاء والاطراح على عتبة الربوبية وأنهـــا ليست مجرد تبليـغ ولا تعليم ، بل هي مجموع تبليغ وتعليم وتربية وتزكية ، وخلافة الذي بعثه الله إلى الأميين « يتلو عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » صلى الله عليه وسلم .

أمثلة من الدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيل الله في الهند

ثم ذكرت لهم أمثلة رائعة من الدعاة إلى الله في العصور الإسلامية الأولى وفي القرون الأخيرة ، وحكيت لهم بعض أحاديث الدعاة إلى الله المجاهدين في سبيل الله في الهند كالشيخ يحيي علي ومحمد جعفر وغيرهما الذين كانوا مصداق قوله تعالى : « الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي » وكيف تلقوا الحكم بالإعدام فرحين مستبشرين ، وكيف كان الواحد منهم ينشد في السجن :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً — على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ — يبارك على أوصال شلو ممزع

وكيف كان مولانا يحيي علي يخاطب زبانية السجن القائمين على رأسه بالبندقية والسلاح : « يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وكيف كان هؤلاء الكفار يبكون ولا يرضون أن يتحولوا من مكانهم وكيف أبدل الحكم بالإعدام بالنفي المؤبد ، لأن هؤلاء المؤمنين قد اشتد فرحهم للشهادة فأبى الانجليز سادة البلاد أن يدخلوا عليهم السرور ويحققوا أمنيتهم من الشهادة .

الدعوة المادية هي المنافسة الوحيدة في هذا العصر للدعوة الاسلامية

ثم ذكرت لهم تفصيل الدعوة في بلادنا ، وصورت لهم اجتماعنا الأسبوعي

في مسجد الندوة وخروج الناس من كل طبقة إلى الضواحي والبوادي والمدن وإنفاقهم على أنفسهم ، وتأثير هذه الدعوة العامة الشعبية المتطوعة وثمراتها ، ثم قلت لهم لقد خفتت الدعوات كلها وماتت ووهنت إلا الدعوة المادية فهي أقوى وأنشط ما تكون وهي المنافس الأكبر للدين والمعسكر المعادي للاسلام ، فيجب أن نستجمع قوانا ونأخذ أهبتنا وعدتنا لمحاربتها ونستعد لمناضلتها استعداداً علمياً فكرياً روحياً خلقياً ، ولا يمكننا أن نؤثر التأثير المطلوب ونخرق الحجاب المادي الصفيق الذي حجب القلوب والأبصار إلا بشخصية دينية مؤثرة وقوة روحية مسخرة .

ورأيت الأثر بادياً في وجوه السامعين ، وأظن أن التأثير إنما كان سببه حكايات المخلصين والمجاهدين والقصص وشكر الشيخ محمد حامد الخطيب ، وعلق على المحاضرة وقال تواضعاً منه : إنه انتفع كثيراً بهذه الكلمة .

الأربعاء ٢٣/٤/١٣٧٠ هـ – ٣١/١/١٩٥١ م

حديث مع الدكتور أحمد أمين

قابلنا الدكتور أحمد أمين وقدم إلي هدية من الكتب فيها العقد الفريد في ستة أجزاء اشترك الأستاذ أحمد أمين في شرحه وضبطه وتصحيحه ، وطبعته لجنة التأليف والترجمة ، ونسخة من كتابه «حياتي» وقلم حبر تذكار له فشكرته على هذا الجميل وقبلته ممنوناً متشكراً وجلسنا نتحدث ، قلت له أتمنى أن تتوفر حضرتكم الآن على دراسة القرآن وخدمته ، قال لقد شغلني كتاب « الإسلام ماضيه وحاضره » وسوف أنتهي منه ، قلت أرجو من الأستاذ الكبير أن لا يصدر من قلمه ما يتشبث به الشباب المتهور فإن لكتابته وأفكاره وقعاً كبيراً في النفوس ، قال هذه حكاية حال أم مجرد تنبيه ؟ قلت إنما هو رجائي وطلبي ! قال ولا بد من نقد وصراحة ، قلت من غير شك ولكن الناس في هذا العصر يقبلون المساوىء ويتركون المحاسن ، قال هذا صحيح .

ملاحظاتي عن كتابه « زعماء الاصلاح في الحديث »

قلت قد طالعت في الحجاز كتابكم « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » واعجبني هذا الكتاب جدا وأفدت منه خصوصاً مـــا كتبت عن السيد عبد الرحمن الكواكبي وخير الدين باشا التونسي ومدحت باشا ، وأطلعت على ما كتبتم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عالماً جليلاً من آل الشيخ فوافق عليـــه واستحسنه ، قال: الحمد لله . ولكن بعض أهل العلم نفوا ما جاء في هذا الكتاب من سفر الشيخ إلى بغداد ، قلت نعم وهذا كان رأي الشيخ عمر ، قال : لكني رجعت إلى بعض المصادر الأجنبية فوجدتها توافق على ما ذكرت ، قلت ومن رأيي أن السيد أمـــير علي ليس حيث وضعتموه من الزعامة والاصلاح وأنه كان من كبار المؤلفين الذين الفوا كتباً قيمة في الإنجليزية في بيان محاسن الإسلام وأن السيد أحمد خان كذلـــك ليس في المنزلة العالية من الزعامة الاسلامية والإصلاح ، وأن عقله كان أكـبر من علمه ، وقد صدرت منه غلطات أضرت بالمسلمين وكان في الهند من هو أحق بالذكر منه في هذا الكتاب ، قال ومن هم ؟ قلت السيد أحمد الشهيد والشيخ إسماعيل الشهيد ، قال : ومع الأسف لا نعلم عنهم كثيرا ، قلت وقد ذكرتم السيد أحمد الشهيد في كتابكم ولكن اعتمدتم على المصادر الأجنبية وهي لا تخلو من تحريف ومغالطات وتشويه للحقائق — قلت وكذلك الدكتور محمد إقبال يستحق أن ينال موضعاً لائقاً في كتابكم ، قال ولكني لم اعثر على المعلومات الكافية عنه ، وإنمـا نشر صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام نتفــا له ، وقد قابلته في القاهرة وكان له قلب حي ، قلت وقلبه مصدر شعره وفكرته وقد كتبت ترجمة ضافية له وأذعتهـــا على محطة الاذاعة العربية السعودية واطلعكم عليها .

رأي الدكتور أحمد أمين في الأزهر وجامعة فؤاد

بعد ذلك خرجنا إلى موضوعات أخرى . قال قد قابلني عالم هولندي وقال :

هل لكم أمل في الأزهر ؟ قلت لا !! .

وذلك لأن الأزهر يتزعم الحركة الرجعية ، وحركة الشباب قوية عنيفة (أو كما قال) ، وثانياً لأن السراي تحتضنه ، والسراي تريد أن ينام وينيم ، قال وهل لكم أمل في الجامعة ؟ قلت لا ! قال لماذا ؟ قلت لأن الجامعة مدنية محضة ليس لها اتجاه ديني .

رأيه في فصل الدين عن الدولة

قلت : هل توافق على رسالة الاستاذ علي عبد الرزاق (الإسلام وأصول الحكم) قال : لا ، لأن الأستاذ علي يرى أن الإسلام رسالة روحية فقط ، لا اتصال لها بالسياسة والحكم ، مع أني أرى أن الإسلام يتناول الحياة الاجتماعية ويشرع البيع والإجارة وغير ذلك ، وإنما أراد الأستـــاذ علي تحرير الفكر الاسلامي في السياسة والاجتماع ، وذلك يحصل بفتح باب الاجتهاد ولا يحتاج إلى فصل الدين عن السياسة .

هل اخفق المسلمون في الجمع بين المدنية العصرية والروح الدينية

قلت : لقد قلت ببعض المناسبات في الحجاز ان المسلمين اخفقوا في الجمع بين المدنية العصرية والروح الدينية ، فقد كان المدني يطغى على الجانب الديني في غالب الأحيان ، وذلك لضعف الرجال الذين كانوا يمثلون الناحية الدينية .

أسبابه وعلاجه في رأي الدكتور

قال الدكتور إن هذا الاخفاق له سببان ، أولاً ان العالم الإسلامي ينقصه علماء عرفوا مقاصد الشريعة الكلية ، ويواجهون المدنية الحديثة بغربلة ما ينفع وما يضر ، ثانياً ما تفضلت به في كتابك من شعور المسلمين بمركب النقص أمام

لمدنية الحديثة ، وعلاج ذلك إيجاد الحلقة المفقودة من علماء جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ثم حقن نفسية للمسلمين تفهمهم أن ليست المدنية الغربية خيراً محضاً ولاماهم عليه شر محض، بل في كل خير وشر ، وانتقلنا إلى موضوع آخر ، قال الدكتور في أثنائه إن الحضارة الغربية تبنى على العلوم أكثر مما تبنى على الآداب وأن الشرق أفرط في الآداب وفرط في العلوم .

ملاحظتي عن كتاب ضحى الاسلام ورأيي في المعتزلة

قلت : لي بعض ملاحظات في كتابكم ضحى الاسلام ، منها : أنكم أعطيتم المعتزلة أكثر من حقهم ، ومن رأيي أن المعتزلة كانوا في دور الطفولة العقلية وأن آرائهم لم تنضج بعد ، قال : نعم ولكنهم كانوا أوسع فكراً من المحدثين ، وكان ابقائهم خيراً للاسلام ، ولكني أنتقد دخولهم في السياسة . قلت : وعلى أنفسهم جنوا كما تفضلتم في الكتاب ، قال : قد ضاعت كتبهم وقد عثرت على كتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي وسأنشره ، وبه نعلم كثيراً من آرائهم الدينية [1] .

زيارة الشيخ احمد محمد شاكر

خرجنا في العصر نقابل الاستاذ المؤلف المشهور الشيخ أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي سابقاً ، فوجدنا داراً أشبه بدار العلماء ، استغفر الله إن للعلماء في مصر شأناً غير شأن العلماء في الهند ، فقد بارك لهم الله في أموالهم وبسط لهم في الحياة فجددوا عهد القضاة في العصر العباسي ، اجتمعنا في غرفة منورة منظمة تنظيماً عصرياً وتجاذبنا أطراف الحديث منها ما يتناول الازهر ، ومنها

(١) لا يخفى أن ما نسب الى الأستاذ أحمد أمين في هذا الحديث ، انما هو رواية بالمعنى ، لأنه دوّن بعد يوم وبالاعتماد على الذاكرة فقط ، ولكن مع ذلك جاء كثير من كلمات الأستاذ في هذا الحديث .

ما يتناول الجمعيات الدينية في مصر. ويظهر أن الشيخ له اطلاع واسع وأكسبته الدراسة والاحتكاك بالعصر مرونة وتوسعاً في الخلافات الكلامية والفقهية ، قدمتُ اليه المحاضرات والرسائل وذكرت كتاب (ماذا خسر العالم) فقال : بادرت إلى اقتنائه أول ما ظهر إلى السوق ولا يزال أمامي في المكتب ولكني لم أنته منه بعد ، وكلمته في نشر كتاب الوالد رحمه الله في تاريخ الهند العلمي ، وأردته على ان يحادث بعض المطابع والمكتبات في نشره ، فاعتذر عن ذلك وقال : إن هؤلاء الناشرين تغلب عليهم النزعة التجارية،ولا أرجو أنهم ينشرون شيئاً لوجه العلم فليس لي أمل في واحد منهم ولكني سأطالع الكتاب وأتكلم معك ، واستأذنا ، لاننا كنا على ميعاد مع طلبة كلية الشريعة بعد المغرب .

مع شباب الازهر والجامعة

ذهبنا بعد المغرب إلى شبرا ورأينا مجموعة طيبة من الشبان ولفيفاً من طلبة كلية الشريعة وكلية أصول الدين للأزهر وكلية الهندسة وكلية التجارة لجامعة فؤاد الأول ، قالوا لي تكلم طول الليل فلا نسأم ولا نمل ، وجدتهم متعطشين جداً لسماع ما يلقى عليهم في الدين وفي الحركة الدينية ، وتقدم طالب ذكي من طلبة كليـــة أصول الدين وهو الأخ يوسف القرضاوي فألقى كلمة طيبة مفعمة بالإخلاص والحماسة ، ورحب بخطيب الليلة وقدمه إلى زملائه ورفاقه .

كلمتي أمام الشباب

وتكلمت بعده ، وقلت إن هذا العالم له طوران طور يتعلق بالخالق تبارك وتعالى لا دخل لنا فيه ، ولسنا مسئولين عنه في قليل ولا كثـــير ، وهو طور الخلق والايجاد ، فقد خلق الله هذا العالم كما يشاء وهو العلم الخبير صنع الله الذي أتقن كل شيء ولسنا مكلفين إلا بالتدبر فيه والاهتداء بالخلق إلى الخالق كما قال:

الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً (الآية) ولكن إذا كنا لسنا مسئولين عن وضع هذا الخلق ، لماذا فرق النجوم ونثرها نثراً ، ولماذا تطلـــع الشمس من مشرقها وتغرب من مغربها ، والجبال لماذا وضعها هنا ولم يضعها هناك ، إلى غير ذلك من تفاصيل هذا الخلق .

وطور نكلف به ونسأل عنه ، وهو تنظيم هذه الدار الواسعة التي بناهاالله سبحانه وتعالى وشيدها لأجلنا،تنظيماً ينسجم ويتسق مع غاية الخلق وحكمته، والكليات التي تسمى الشريعة الإلهية ، فقد كلفنا بهذا التنظيم والترتيب والقيام على شؤون الدار ، وذلك باستخلافه لنا في هذه الأرض : « إني جاعل في الأرض خليفة » وجاء الانبياء بعضهم على أثر بعض لينظموا هذه الدار ، ولينظموا الحياة فيها على إرادة الله سبحانه وتعالى ومرضاته ، وكان كل واحد حريصاً على إصلاح هذه الدار ، والمحافظة على نظامها ، حتى اذا حاول بعض المفسدين في الارض إفساد هذا النظام ، وإحباط جهود المصلحين والعبث بالحياة ،قالوا: « ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها » وإذا أصرت أمة أو أسرة أو جماعة على هذا الإفساد وإيذاء هذه الدار، استأصل الله شأفتها ولم يبال ، فكانت هذه الدار التي جعلها قراراً للأولين والآخرين ، وبقاء النظام الذي يسود فيها أهم وأعز عنده أهم من الأمم والجماعات والملوك ، فقال : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » . وتقدمت أمم وحضارات فنظمت هذه الدار على فكرتها وعقيدتها وتربيتها وعلمها ، والله سبحانه وتعالى يمنحهم هذه الفرصة والحرية ليبلوهم أيهم أحسن عملا : (هو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربـــك سريـع الحساب وإنه لغفور رحيم ...)

فشل المنظمون الآخرون وانتهى دورهم

ومن هنا كان دور الإغريق والرومان ، ثم المسلمين ثم الأوربيين وكل أبرز

أحسن ما عنده ولم يدخر شيئاً ، وهذا دور الحضارة الغربية والفلسفة الأوربية وقد نثرت كنانتها ، وأفرغت جعبتها ، وأبرزت أجمل ما عندها، ولا تستطيع أن تأتي بأحسن مما جاءت به ، فقد منحت فرصة طويلة وحرية كاملة في إبراز ما عندها وقد فشلت فشلا تاماً وأفسدت في الأرض ، بل أفسدت الارض وأفسدت هذه الدار .

لا يصلح هذه الدار ولا يبنيها من جديد إلا اليد التي بنت الحرم ، والأمة التي تحتضن الحرم

وقد ظهر أنه لا يصلح هذه الدار ولا يبنيها من جديد إلا اليد التي بنت الحرم والأمة التي تحتضن الحرم ، وتولي وجهها شطره ، وقد أصبح الصراع منحصراً بين الحضارة الغربية وفلسفة حياتها بمعسكريها الديمقراطي والشيوعي وبين الدين الاسلامي والأمة الاسلامية ، وعلى الشبان أن يجاهدوا في هذه السبيل ، فعلى أكتافهم قامت كل حركة ودعوة حقاً ، ويتصور بعض الناس باطلا الصحابة الذين على عواتقهم قام الاسلام ، ودعوته ، كانوا شيوخاً معتزلين عن الحياة ، وان الحياة زهدت فيهم فأقبلوا على الاسلام ، لا بل كانوا رجال الحياة ودعائم المجتمع ، لذلك فزعت قريش وحسبت للاسلام كل حساب وقالت لما رأت إقبال العقلاء وخيار الشبيبة إلى الاسلام : إن هذا لشيء يراد .

أمثلة من الشباب المجاهدين

ثم ذكرت لهم بعض حكايات الشبان الذين ضحوا بحياتهم وإمكانياتهم ومستقبلهم الاقتصادي ونعيمهم وترفهم في سبيل الدعوة إلى الشيوعية ونشر مبادئها ، وكيف كان الواحد منهم وهو ربيب نعمة وسليل شرف يهجر الجامعة والوظيفة ويقوم على قارعة الطريق يبيع المجلات الشيوعية ويصرخ ، ويمر به زملاؤه او ابناء اسرته ولا يستحي ولا يخجل ، وذكرت لهم ما فعله الشباب

اليابانيون في سبيل وطنهم ومبدأهم .

وذكرت لهم أمثلة جميـــلة للتضحية والبطولة لبعض الشبان الذين صحبوا السيد الامام احمد بن عرفان الشهيد من الهند الى أفغانستان الى حـدود الهند الشمالية .

وحكيت لهم قصة السيد موسى الذي جرح في وقعة مهيار وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وقد غطى دم رأسه عينيه ووجهه ، وهو يلحس شفتيه ، ويحمد الله سبحانه وتعالى .

وطلب مني أحد الاخوان الحاضرين أن احكي لهم حكاية مولانا يحيى علي العظيم آباوي ومحمد جعفر التها نيسري فحكيتها ، قلت : لا بد من الاستعداد والتربية الدينية والخلقية والروحية والعلمية ، فان الاسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية والعقل الصحيح ، وان النقص في الاستعداد والتربيـة يظهر في صورة مكبرة في المستقبل ، واستغرق كلامي نحو ساعة ، واستزادوني فزدتهم ، ثم طلبوا مني شرح منهاج الدعوة والحركة في الهنـــد فصورت لهم الدعوة وشرحت تفاصيلها ومناهجهـــا واستأنسوا كثيراً ، وأبدوا إعجابهم وإخلاصهم ، وكان كثير منهم قد قرأ كتاب (ماذا خسر العالم) .

الخميس ١٣٧٠/٤/٢٤ هـ - ١٩٥١/٢/١ م

حديث مع الدكتور احمد امين

في موضوع (يوك) والتصوف

كتبت في الصباح مقدمة رسالة (بين العالم وجزيرة العرب) ، ثم توجهنا الى الجيزة ، ووجدنا الدكتور احمد امين بك في انتظارنا ، وسألني الدكتور عن (يوك) فقلت : هو علم ذائع في الهند ، وعندهم تجارب طيبة في الرياضة البدنية ،

والمحافظة على الصحة وتقوية الجسم ؛ أما الروحانية فهم يعتمدون في ذلك على تعذيب الجسم وتصفية النفس وقهر الشهوات والخروج من سلطان الطبيعة ، فيحبسون النفس لمدة طويلة الى غير ذلك ، ولكن أغنانا الله عن هـذا ومثله باتباع الشريعة والعمل بالسنة . ولا شك ان تصفية النفس لها آثار وعجائب ، وقد يتغلب الانسان على الطبيعة ، ولكنها بالصناعه والبهلوانية أشبه منها بالولاية ، ولذلك آثر السادة الصوفية المتبعون للسنة تصفية القلب على النفس ، وتطرق الكلام الى التصوف والصوفية ، فعلمت أن الدكتور كانت له مشاركة في هذا العلم ، وقد تلقى دروساً من شيخ نقشبندي كان صيدلياً ، قلت : لا شك ان القوم لهم أذكار قلبية تفيدهم السكينة وقوة القلب .

بين حكيم وعارف !

قال الدكتور : قرأت في بعض الحكايات ان الشيخ الرئيس ابن سينا صادف مرة سلطان أبا سعيد ابا الخير الصوفي المشهور على الباب فأقاما معاً ثلاثة أيام ، فلما افترقا سأل رجل ابن سينا عن ابا الخير فقال : هو يرى ما اعرفه ، وسئل ابو الخير عن ابن سينا فقال : هو يعرف ما اراه ، قلت : الى هذا المعنى أشار الدكتور محمد إقبال بقوله عن العارف المحقق : إن سر الدين لنا خبر وله نظر ؛ هو داخل البيت ونحن خارجه .

من الكثرة الى الوحدة

قلت لا شك ان لباب التفكير والعلم وغايتـــه الانتقال من الكثرة الى الوحدة ، وهو قوة عظيمة وعلم عظيم اذا فتح على رجل نجا من تشتت الفكر والتجبر في الكون وعبادة المادة والاسباب ، وتوصل من الاسباب الى المسبب قـــال : وكنت اقول في مجلس اصدقائي وزملائي ان العقل ليس هو المصدر الوحيد للعلم ، بل القلب كذلك مصدر من مصادر العلم ، ويلح بعض زملائي

على أن العقل هو المصدر الوحيد للعلم ، قلت : للشيخ المجدد الشيخ أحمد السر هندي كلام جميل في نقد العقل ، فمذهبه انه لا يوجد ما يستحق أن يسمى العقل البريء الخالص ، ولا الكشف المعصوم عن الخطأ فكلاهما يتأثر بالخارج والمسلمات عند القوم والعادات والأهواء ، ويمتزج الباطل والحق من حيث لا يشعر الانسان ، كالمرآة ينعكس عليها أشياء كثيرة .

المصدر الصحيح الذي يوثق به هو (الوحي) والعلم الذي جاء عن طريق الانبياء

والمصدر الصحيح الذي يوثق به هو الوحي والعلم الذي جاء عن طريق الانبياء عليهم السلام .

ولم نزل نتكلم ونتذاكر ونحن نتمشى في حديقة الحيوانات حتى وصلنا الى جزيرة الشاي ، ودعا سعادة الدكتور بالغداء وجلسنا على شاطيء البركة تحت شمسية نتفرج على البط السابح والماء الصافي ونتمتع بالمنظر الجميل ونستفيد بحديث الأستاذ الدسم ، قال : لا شك ان الانسان يستطيع بالتصوف ان يقاوم مغريات المدنية الحاضرة .

معلومات عن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده .

قلت : اظن ان السيد جمال الأفغاني كان عنده شيء من هذا وانه كان يشتغل بذكر القلب ، قال : واظن ان الشيخ محمد عبده كان كذلك فكلاهما كانا زاهدين في الدنيا وماتا ولم يخلفا ثروة ، قلت : او قد قرأت على الشيخ محمد عبده ؟ قال : حضرت له درسين ، وكان الشيخ محمد عبده عنده إيثار وسخاء ينفق ما يأتيه على اصحابه والفقراء ، وكان يسكن في بيت مبني من طوب نيء ، قال : وما تقول في وحدة الوجود ؟ قلت : المسألة عملية أكثر مما هي نظرية قال : وهو كذلك ، قال : قد يحصل للانسان لحظات طيبة ، ولكنها لا تبقى

ولا تدوم ، قلت : لو دامت لانقطع الانسان عن الحياة ولم يعـــد يقدر على معالجتها ، قال : قد سمعت الناس تدوم لهم هذه اللحظات ، قلت : قـــد يكون ذلك إذا حصلت لهم ملكة راسخة .

الفرق بين القضاء والتعليم

وتنوع الحديث قلت : هل كانت لكم رغبة في القضاء ؟قال : أبداً، ولذلك اخترت التدريس في آخر يوم من أيام القضاء ، وذلك لأن القضاء تأتي فيـــه عائلات متخربة ، وفي التدريس تأتي أزهار تريد أن تتفتح .

وقال : كان لي استاذ يقول إنما عقلك رياضي فكيف تشتغل بالأدب ؟قلت : نعم ، ولذلك كان أدبكم متركزاً . قال : إنما احب الترتيب المنطقي في الأدب ولذلك لا اتذوق الشعر لأنه لا يخضع للمنطق .

في قاعة الدكتور عبد الحميد سعيد بجمعية الشبان المسلمين

وفي الليل حضرنا محاضرة للاستاذ سعيد رمضان في قاعـة عبد الحميد سعيد في دار جمعية الشبان المسلمين ، وكانت محاضرة حماسية طويلة استغرقت ساعتين وكان الموضوع «الجامعة الاسلامية» ، ومما لاحظته في هذه المحاضرةالطابع الديني للمحاضرة ، وكان ابرز واجلى من الطابع العلمي ، وبذلك استدللت على ان الحياة في مصر تطورت تطوراً عظيما ، وأصبحت الكلمة الدينية سائغة مقبولة بعدما كانت ثقيلة ، كذلك اقبال الشباب المتعلم على الدين ، فقد استمعوا الى الخطبة زمناً طويلاً وكثير منهم واقفون ، وكان يقاطع الخطبة هتافات عالية بالتكبير والتحميد وتصفيقات حارة .

الجمعة ٢٥/٤/ ١٣٨٠ هـ — ١/٢/١٩٥١ م .

وصادفنا صديقنا الشيخ أحمد عثمان، قال : قد نزلت صاعقة في مصر.قلت:

وكيف كان ذلك ؟ قال: طالب طلبة الجامعة باعادة البغاء الرسمي الذي كان الغي ومنع ، لانه كثر تعرض الشباب للفتيات في الشوارع والطرق ولا علاج له إلا السماح بالبغاء ، وقدم الى « آخر لحظة » ، وكان الصديق متأثراً جداً قد أخذته الحمية الدينية والثورة الاسلامية ، فصار يندد بعلماء الازهر وقال : ألا يضربون في سبيل الدين والفضيلة كما اضربوا للدرجات والمساواة ؟ ألا يغضبون لله ولرسوله كما غضبوا لأنفسهم قلت : مهلا يا سيدي الاستاذ فان هذه المحاربات الاسلام والعبث بالأخلاق والوقاحة والتطرف ستدوم وتستمر وتتجدد ما لم يوجد عند الشعب روح دينية قوية وإباء ثائر من هذه المضحكات المبكيات .

يقظة الوعي الديني ووجود الروح الدينية في الشعب علاج حاسم للوقاحة والتطرف والمحاربات للاسلام

وما لم يستيقظ الوعي الديني في نفوس الجماهير وافراد الشعب وما لم تصبح الأمة رقيبة للحكومة محاسبة لتصرفاتها وميولها الخلقية فكل علاج تلتجيء اليه هو علاج مؤقت قاصر ، ونحن نسمع تلاوة القرآن من محطة الاذاعة المصرية ونحن في السيارة فقلت : ما أعم القرآن وما أخصه وما أكثر سماعه ، وما أقل الانتفاع به والاهتزاز له ، وقد توجهنا اليوم الى بلدة اوسيم بالريف .

زيارة الريف المصري

وكانت هذه اول مشاهداتي للريف المصري فما شعرت إلا وانا في الهند ، وكأن الحياة التي كنا نشاهدها والارض التي كنا نقطعها ليست لها صلة بالقاهرة ، هذه في غاية المدنية والرفاه والترف والنظام وتلك في نهاية الفقر والبؤس والاهمال .

وجود التفاوت العظيم في درجات المعيشة خطر عظيم

ان وجود هذا التفاوت العظيم في درجات المعيشة والمدنية والثقافة في شعب واحد وفي مسافة قريبة – بل تلاحظه في مدينة واحدة بل في حي من احياء البلد – خطر عظيم على الأمة والبلاد ، وهو الذي يمهد الارض ويفتح الطريق لثورات اقتصادية وموجات شيوعية ، ووصلنا الى منزل الحاج عطية البهواشي فاذا هو قصر فخم جديد سمعت في القاهرة انه انفق عليه خمسة وعشرين الف جنيه ، وخرجنا الى المسجد وصلينا الجمعة ، وفد خطب وصلى بالناس صديقنا السيد علي محمود الشريف واعلن عن خطبتي فقمت وتكلمت بما حضرني وفسرت سورة العصر ولم أنته من خطبتي الا وانهال الناس علي وتدافعوا ، وكل يريد ان يصافحني حتى خفت ان اسقط من الزحام .

الاحتفاء بالضيف المسلم في الريف

ودعوت الله ان يحقق ظنهم ولا يخزيني في الآخر ، وآمنت بنفوذ الدين وقوة سلطانه على القلوب والأرواح ، فانا من الهند وهؤلاء من مصر لا تربطني بهم إلا رابطة الدين ، ولكنهم كانوا يقابلونني باخلاص وروح لا يقابل بها غريب في بلاد على هذه الكرة الأرضية ، وماذا إلا بدافع الدين وقوته .

مواد خامة ضائعة

وخرجت متأثراً بما رأيت من احتفاء الناس بأخيهم المسلم وسلامة طبعهم وحسن نياتهم ، فحدثت الجماعة بهذا وقلت : ايها السادة عندكم مواد خامة من أحسن ما توجد في الدنيا ولكنها ضائعة مهملة ، لا تجد من يوجهها توجيهاً صحيحاً ، وينتفع بها ، وأيدني الاستاذ جلال بك وقال : تجولت في بلاد الشرق والغرب وكانت لي جولات في اوربا ، ولكن ما رأيت أحسن وانظف واصلح

وأقوى روحاً وايماناً من الشعب الذي يسكن في الارياف ، ولكننا مصابون بمركب النقص وقد فقدنا الثقة بأنفسنا وأمتنا ، فـلا نزال نستهين بقيمتها ونحتقرها ونجل الشعوب الاوربية ، والله ما رأيت عندها من النظافة وسلامة الطباع وقوة الايمان والمواهب الفطرية ما رأيت عند المسلمين الفقراء والطبقات العامة في أريافنا ، وذكرته بتفصيل ودليل، ثم تكلمنا في طرق الانتفاع بالشعب والجمهور ، فشرحت لهم طريق الدعوة الدينية في الهند والاتصال بطبقات الشعب وتعاون الطبقة المثقفة والمرفهة في سبيل نشر الدعوة والمبادىء الدينية؛ في القرى والمدن وتخصيصهم بعض الايام في الشهر والاسبوع للخروج في الرحلات الدينية ، وعزز الاستاذ جلال بك ما قلت فذكر مشاهداته في الهند والباكستان وما أثمرت هذه الدعوة في البلدين . ووجدت في الحاضرين رغبة في اتباع هذه الخطة في هذه البلاد ؛ ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

السبت ١٣٧٠/٤/٢٦ هـ — ١٩٥١/٢/٣ م .

زيارة الجامع الازهر

رأينا من الجفاء ان لا نزور الازهر ونحن جيرانه في السكنى ؛ وان كان هنالك اضراب عن التعليم ، ولكن نتشرف ونقر عيننا بزيارة الجـامع الازهر وما تيسر لنا زيارته من الاروقة والكليات والادارة ، فذهبنا أولا الى الجامع ، ودخلنا في هذا المسجد التاريخي والمعهد العظيم الذي خرّج من الأئمة والمحدثين والفقهاء والمؤلفين الصالحين والدعاة الى الله ، مـا لم يخرج معهد آخر وجامعة اخرى في العالم الاسلامي فانعم واكرم بهذا المسجد الشريف وهذا المعهدالعظيم. دخلنا في المسجد فتجددت لنا ذكرى العلمـاء السلف المخلصين ، الذين كانوا يجلسون على الحصير وعلى البساط المتواضع ، ويحكمون على الملوك وكانوا مخلصين لدينهم وعلمهم وامتهم مجاهدين في سبيل الحق ، فما دخلت في المسجد إلاوشممت رائحة العلم ، وهبت علينا نفحة من نفحات الماضي السعيد تحمل معها اريج العلم

والاخلاص والخشوع والزهد ، وسنرجع إن شاء الله اذا انتهى الاضراب وشرع في التعليم .

في ادارة الازهر

خرجنا الى ادارة الازهر فاذا بهـــا تشبه ادارة لدولة مستقلة ، فلم نزل ننتقل من غرفة الى غرفـــة ، ونتصفح لوح بعد لوح ، حتى مررنا بلوح كان مكتوباً عليه « ادارة مجلة الأزهر » .

حديث مع الاستاذ محمد فريد وجدي

وهنا وقفت وتذكرت الاستاذ محمد فريد وجدي الذي عرفته من ايام طلبي للعلم ، وقرأت له دائرة المعارف الاسلامية ومقالات كثيرة ، فارسلت بطاقة زيارة ودعينا على أثرها، قابلنا الاستاذ محمد فريد وجدي ورحب بنا، ولما علم أننا من الهند ولنا اطلاع على مؤلفاته ومقالاته هش في وجوهنا وفرح بلقائنا ، واخبرته ان كتابه القديم (المرأة المسلمة) الذي ألفه في الرد على كتاب قاسم امين (المرأة المصرية) قد نقل قديما الى الاوردية وقد نقله مولانا ابو الكلام آزاد وزير المعارف في الحكومة الهندية في شبابه ، والترجمة تعد مثلا جميلا للترجمة وقطعة أدبية ، قلت : نعرف لكم فضل الجمـــع بين الثقافة العصرية والثقافة الدينية والدفاع عن الاسلام بسلاح العلم العصري والفلسفة الأوربية ، وقال : هي الطريقة الصحيحة لخدمـــة الاسلام في هذا العصر وبيان فضله ومحاسنه .

الفرق بين الثقافة الفرنسية والثقافة الانجليزية

قلت : وثقافتكم انجليزية او فرنسية ؟ قال : فرنسية لكني أفضل اللغة الانجليزية على الفرنسية ، قلت : لعل الانجليزية أقوى في العلم والفرنسية أقوى

في الأدب والمعاني الشعرية قال : هو كذلك ، قلت : والشعب الانجليزي شعب واقعي وشعب جد وصرامة ، قال : وعند الانجليز إقبال اعظم على الجـــانب الروحي ودراسة له وسيشرق منهم النور في المستقبل ، قلت : لا مؤاخذة إنهم يعنون بالجانب الروحي كفن وصناعة ، وليسوا مخلصين جادين في دراستهم وفحصهم عن الحق ، وكأن الأستاذ وافق على ذلك .

ثم تحادثنا عن المسلمين في الهند ومستقبلهم قال : أرجو أن يوجد عنـــد الهندروس إقبال على الاسلام في المستقبل ، قلت : أرجو ذلك .

وصادفنا عنده الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ناقل كتاب مفتاح كنوز السنة من أصله الهولندي إلى اللغة العربية ، وسأل عن الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وأثنى عليه خيراً وقال : تلقيت منه رداً لطيفاً على رسالتي وهديتي وشكر وأثني على جهدي، وأهديته كتابي ورحب بالكتاب ووعد بالاجتماع بنا يوم الاثنين في نفس الإدارة وإهداء بعض مؤلفاته .

ملاحظتي عن أروقة الازهر

وصادفنا كذلك الأستاذ علي فكري أمين دار الكتب المصرية سابقاً مؤلف (السمير المهذب) وتعرفنا به ، وبعد الخروج من الإدارة زرنا كلية الشريعة ومكتبتها بصحبة الأخ محمد الدمرداشي المتعلم في كلية الشريعة ، وزرنا أروقة الأزهر وساءنا عدم النظافة فيها وقلة النظام، ومن رأيي أن هذه الأروقة تحدث في ساكنيها شعوراً بضعفهم وفقرهم وإجلالاً زائداً لحياة الكليات المدنية والجامعة ونظامها وأبنائها ، وذلك الذي يسمى بمركب النقص ، وليس هنـــا من روح الاعتزاز بالدين والعلم ما يقاوم هذا الشعور ، فأحسن أن تبني إدارة الأزهر أروقة لا تقل في نظافتها ونظامها عن الكليات العصرية والجامعة المصرية .

وفي العصر ذهبنـــا مع الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب لزيارة فضيلة الشيخ

مصطفى صبري أفندي شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقاً ، ولكن لم نتمكن من زيارته فقد كان مريضاً ، فأرسلنا اليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » هدية والرسائل .

زيارة الشيخ محمد الكوثري

ومن هناك توجهنا إلى زميله وصديقه الأستاذ الكبير والمؤلف المشهور الشيخ محمد زاهد الكوثري فقابلنا بحفاوة وتواضع ، وذكرنا بتواضعه وانبساطه بعلماء الهند ، جلسنا نتحدث وكان الحديث معظمه يدور حول « سيرة النبي » للشيخ شبلي النعماني والأستاذ السيد سليمان الندوي وترجمتها التركية وعن الأستاذ يوسف البنوري والمخطوطات في الهند وأهدى الينا مجموعة صالحة من مؤلفاته ومنشوراته ، ومع الأسف ما بقي لي ذوق ورغبة في المناقشات المذهبية والمباحثات وليس لي إطلاع واسع على ما كتب وقيل عن الأئمة وتهوين شأنهم والمنافحة عنهم ، وإلا كان مجلساً لطيفاً ممتعاً ، واستأذناه وأعجبنا من الأستاذ تواضعه وبساطته وسعة اطلاعه ونشاطه ، واشتغاله بالمطالعة والتأليف في هذه السن العالية والزمن الذي لا يقدر هذه الجهود العلمية .

الأحد ١٣٧٠/٤/٢٧ هـ — ١٩٥١/٢/٤ م

زيارة محكمة الجنايات وشهود قضية الاخوان

جاء الأخ عبد الله عقيل العراقي وذهبنا معه على حسب ما كان تقرر قبل إلى محكمة الجنايات ، وفيها اليوم مرافعة الاستاذ سعيد رمضان عن المتهمين في قضية الإخوان المسلمين ، وقد أحببت أن أشهد قضية في محكمة مصرية فإنها ناحية من نواحي الحياة والوضع الإداري في البلاد ، وصلنا إلى المحكمة ففتش الحرس جيوبنا وأذنوا لنا بالدخول ، ورأينا في غرفة المحكمة جماعة كبيرة من الطلبة والشبان والسيدات والمحامين ، وسمعنا من الضباط والحرس من كلمات

الترحيب ما لا يمكن أن نسمعها في محاكم بلادنا التي لا بـد أن يكون جوها رهيباً كالحاً ، بالعكس من ذلك سمعنـا بعض الحرس يقولون « حلت البركة » ويقولون : هؤلاء ضيوفنا ، ولا شك أن الطبيعة العربية فيها شيء من المرح وخفة الروح لا يفارقها ، ورفعنا أبصارنا فرأينا لوحة على الجدار على رأس من يجلس على المنصة من القضاة والمستشارين فيها قوله تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . فقلت : ، ليت كان هذا أساس الحـكم وشعار المحاكم ودستورها في الأقطار الاسلامية ، وليت كان هذا نصب عين الحاكمين لا خلف قفاهم كما هو الواقع وجاء حضرات المستشارين وهم ثلاثة فجلسوا على المنصة وهم في بذلتهم القضائية ، وجاء المتهمون فدخلوا في قفص الجناة والمتهمين .

مرافعة الاستاذ رمضان وتأثيرها

جلس ممثل النيابة في جانب ، ووقف الأستاذ سعيد رمضان موقف المرافع وأدلى بقضيته في خطابة موثرة وشجاعة نادرة ، وذكر قصة استخـلاف آدم وخروجه من الجنة والصراع القديم بـين الحق والباطل وتعاليم النبوة ونزعات الشياطين ، ثم ذكر الخلافة الإسلامية وشبابهـا ثم وهنها وشيبها والزحف التتاري والغارة الصليبية ، ثم ذكر الصليبية الأوروبية في القرن التاسع عشر والاحتلال الأوربي ، ثم تدرج إلى ذكر الصليبية اليهودية ونواياها وخطرها على الإسلام ثم نهضة الإخوان المسلمين ورباطهم أمـام هذا الخطر الداهم ووقوفهم موقف المجاهدين لا موقف الثائرين المجرمين معززاً ذلك كله بالآيات والأحاديث الكثيرة التي كان يستشهد بها فيتحول الجو القضائي الى الجو الديني وترق القلوب وتخشع ، وينسى الناس أنهم في محكمة ويتصورون وكأنهم في وعـظ ديني أو حفلة سياسية ، وذلك يدل على قوة المحامي وإيمانه وتقلب الجو وتأثره بحركة الاخوان ، ولما خاطب المحامي العدل والرحمة في نفوس حضرات المستشارين وأراد أن يحرك الإيمان والشعور الديني فيهم — وهم طبعاً مسلمون — تأثر الناس

وتحركت النفوس حتى اذا وجه خطابه إلى المتهمين وأوصاهم بالاستقامة والصبر وتلا عليهم الآيات والأحاديث في هذا المعنى فاضت العيون وعلا النشيج في بعض الجوانب خصوصاً السيدات وخرجنا من المحكمة متأثرين متعجبين مما رأينا وسمعنا .

مع الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا والد المرشد العام

وكان من لطيف المصادفات أنا ذهبنا بعد زيارة المحكمة إلى الشيخ أحمد ابن عبد الرحمن البنا الساعاتي والد فضيلة الأستاذ حسن البنا ، وكنا نعرفه في الهند كمؤلف « الفتح الرباني » وخادم للحديث الشريف ، ثم سمعنا أنه والد الأستاذ البنا ، وإذا كان كثير من الناس اشتهروا بآبائهم فمنهم من اشتهر بابنه ، ووصلنا اليه وطرقنا بابه فخرج الشيخ وقد نالت منه السن والحوادث وأضنته المطالعة والتأليف ، وأخذنا في حجرة مكدسة بالكتب ، ثم اطلعنا على ترتيبه لمسند الإمام الشافعي كترتيبه لمسند الإمام أحمد بن حنبل وخدمته لمسند أبي داوود الطيالسي وقد حصلت له نسخة مطبوعة في الهند ، وأطلعنا على كلامه في علماء الهند واعترافه بجهودهم وإخلاصهم للعلم وثنائه العاطر عليهم وتفضل فقدم الينا القهوة العربية وشربناها .

والد المرشد العام يحكي قصة ولده العظيم

قلت لفضيلته : نريد أن نسمع منكم شيئاً عن فقيد الإسلام ولدكم الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه وكيف كان في صغره وشبابه وقد قال الله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » فقال حباً وكرامة ، ثم أفاض في سيرته وأجال ، قال : لم يولد لي ولد مدة حتى اشتقت إلى الولد فدعوت الله سبحانه وتعالى أن يرزقني ولدا ذكراً صالحاً ورأيت ولداً صغيراً يصلي فأعجبني فقلت : ويصلي كما يصلي هذا ، وان ينبته الله نباتاً حسناً ، فولد لي ولد ذكر وسميته الحسن لأني لما

تزوجت خاطبت والدتي زوجي بقولها : يا أم الحسن ، ولما بلغ الرابعة من عمره أدخلته في كتاب ، ولم يزل ينتقل من كتاب إلى كتلب حتى حفظ القرآن إلا ثلاثة أجزاء بقيت له ، وأردت أن أدخله في مدرسة المعلمين الأولية في دمنهور ، وهي لا تقبل إلا من حفظ القرآن فدعوته يوماً وكان ولداً باراً طيعاً ، فقلت: يا ولدي قد عزمت على أن أدخلك في مدرسة المعلمين ولكنك لم تكمل حفظ القرآن بعد فماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تريد وأنا طوع أمرك ، فقلت هات اللوح وبدأت أكتب له القرآن وهو يحفظ حتى حفظ الثلاثة أجزاء في مدة قريبة ودخل المدرسة ، وكان مقبلاً على العبادة وهو لم يبلغ الحلم يصوم ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان ، فقلت له: يا ولدي إنك لم تبلغ بعد ولم يفرض الله عليك الصوم ، فلماذا تجهد نفسك ؟ فقال يا أبي إن لي رغبة في الصوم ولا يشق علي فتركته ، وكان يحضر درسي في المسجد وكان نشطاً للعبادة وأقوى عليها من كثير من الكهول والشيوخ ، وكانت له رغبة في بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن غريب ما وقع له أنه كان يتفرج مرة على نهر في المحمودية فرأى سفينة فيها تمثال لامرأة عارية فذهب إلى رئيس الشرطة وقال لا يليق هذا التمثال ويتفرج على النهر كثير من الشبان والفتيات ، فلا بد من كسره وإزالته فضحك الرئيس وأراد أن يتخلص منه فأرسل معه شرطياً وقال له إذا اقتنع صاحبه ورضي بكسره فاكسره وهو يعلم أنه لا يرضى فذهب وافهم صاحب التمثال وأقنعه بأنه حرام وغير لائق فكسره ، وكان هنا رجل صالح من مشايخ الطرق ومن العلماء المتبعين فأوصيته بمجالسته فكان يجالسه حتى تشبع بحبه وانتفع به ، ولما كان في السنة الأخيرة من المدرسة انتظمت دار العلوم في القاهرة وأدخلت فيها العلوم العصرية مع العلوم العربية التي كانت دار العلوم ممتازة فيها ، فرأيت أن أحوله اليها لمكانتها العلمية وشهرتها وكلمته في ذلك ، فاستقر الرأي على أن يتم هذه السنة في مدرسة دمنهور ويستعد لدار العلوم ، فقال : عليك يا أبي أن تمدني في العلوم النقلية من الحديث والفقه وغيرها ، وعلي أن استعد بنفسي في العلوم الرياضية ، وهكذا كان ، وسافر إلى القاهرة

وفي ليلة الامتحان كان خائفاً جداً من جهة علم الجبر [1] ، فكان يشعر بضعف فيه ويخاف أنه إذا اختبر فيه فإنه يرسب ، وغلبته عينه فرأى شيخاً يقول له: هون عليك يا حسن فإني أخبرك بما ستختبر فيه وأخذه وذهب إلى نهر وعبر به إلى شاطىء آخر ، وعين له صفحة من الكتاب ، وقال عليك بحفظها وفهمها، قال الشيخ أحمد عبد الرحمن : كان ولدي حسن يحلف بالله أنه لما استيقظ وجد قد حفظ هذا الدرس ، وذهب إلى الاختبار فوجد نفس الدرس فنجح بسهولة ولم يزل يطلع الأول ويبرز في كل امتحان حتى حسده وحقد عليه زميل كان من نفس بلدته وهو أكبر منه بعشر سنين ، فجاء بالنفط والسم وأراد أن يلقي النفط في عينه ليعمى والسم في فمه ، ولكن طاشت يده فوقع النفط على جبهته وأخطأ السم موضعه كذلك، فقام الحسن مذعوراً جريحاً متألماً وتحقق بعد ذلك أنه عمل زميله فلان ووصلت القضية إلى الشرطة ، ولكن شفع للمجرم بعض الشيوخ فعفا عنه حسن ، قال أريد أن أؤخر هذه الحسنة عند الله وأسامح المجرم شكراً لله تعالى على خلاصي من مكيدته .

وبرز حسن في الامتحان ونجح بتوفق وامتياز وعين مدرساً في الإسماعيلية وقام بالدعوة هناك وأسس جمعية الاخوان المسلمين ، وكان يزور المساجد والقهوات فيلقي محاضرات وخطباً دينية ، ويدعو إلى الدين وينكر على المناكير ، ونشطت الدعوة واتسعت دائرتها حتى خصصوا لها داراً واسعة وانتقل من الاسماعيلية إلى مديريات أخرى فكان في الاسكندرية وفي السويس بل وفي كل مكان موضع داعية نشيطاً يؤسس جمعيات الاخوان وينظم الدعوة ويلقي محاضرات حتى انبثت فروع الجمعية في القطر المصري ، وكان لها من النفوذ والشوكة والتأثير في الحياة والأخلاق ما تعلمونه .

ثم عني ولدي حسن بالصناعات والتنظيم ورأى من احتلال الأجانب

---

(١) قد ذكر الشيخ الفقيد عليه رحمة الله في مذكراته أنه كان علم النحو والصرف .

الاقتصادي في هذه البـــلاد وامتصاصهم لدم الشعب واحتكارهم للصناعات والتجارة والمناجم ما دفعه إلى تأسيس مصـــانع وشركات ، ودرب المهندسين الذين يشتغلون في المناجم ويغنون الشعب عن الأجانب ، حتى أفزع ذلـــك الجاليات الأجنبية والشركات الأوربية فأصبحت تدبر له المكيدة وتبيت الخطط لاسقاط جمعية الاخوان المسلمين وحلها ، ووقع خـــلاف بين الجمعية والنقراشي باشا رئيس الوزارة في ذلك الحين وعارضه الاخوان حتى طلب منه الملك أن يقدم استقالته فاستقال ، فكان ذلك من أقوى الأسباب في حقد النقراشي علي حسن وجمعيته ، ثم جاءت هذه الوزارة مرة ثانية حين جاءت حرب فلسطين وحلت الجمعية ، ووقع ما وقع من اغتيال النقراشي وشهادة حسن مما تعلمونه ويعلمه الجميع .

قص الشيخ قصة ولده العزيز وفلذة كبـــده بكل وقار وسكينة ، كأنه يحكي قصة من قصص التاريخ ، وعجبنا لهذه الرجولة والايمان ، فقد احتسب ولده في سبيل الدعوة والجهاد وتحمل هذه الفاجعة في صبر المؤمن وجـــلادة المجاهد ، وتذكرت بيتين تمثل بهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مثل هذه المناسبة :

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز علي أن ترى لي كآبـــة ... فيشمت عـــاد أو يساء حبيب

حديث مع علوية باشا

وفي الساعة الرابعة توجهنا الى معالي محمد علي علوية باشا وقـــد اجتمعت بمعاليه في سنة ٣٣ م في لكنؤ ، وقد جاء في زيارة للهند مع سماحة المفتي امين الحسيني وزار دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وكنت أتردد عليه في لوكاندة « برلنجتن » وانا شاب في العشرين سنة من عمري ، زرناه في منزله في مصر

الجديدة ، فرأيته أقوى صحة واكثر نشاطاً مما رأيته قبل ثمانية عشر عاماً فلا أدري هل انا متوهم او هو الواقع فقد سمعت أن معاليه قد سافر الى امريكا وتعالج هنا ، وخرج يتوسم في كأنه يتذكر شخصاً رآه وذكر زيارته لدار العلوم وسأل عن احوالها وعن أحوال المسلمين، ثم بدأ يذكر جهوده ومشاريعه في باكستان وتوجيهاته لحكومته في إيجاد الصلات الثقافية والدينية بين مصر وباكستان ، ومشروع تأسيس المدارس العربية في باكستان على نفقات الحكومة المصرية وفي الهند كذلك .

رأي علوية باشا في باكستان ومسلمي الهند واندونيسيا

وقال إن كان هناك أمل فهو في باكستان ومسلمي الهند واندونيسيا ، هذه هي الاقطار التي توجد فيها الروح القوية والشعور الديني والأمة العظيمة ، ورأيته قليل الأمل ضعيف الثقة بالاقطار العربية ، لا يعتقد ان هنالك جداً واخلاصاً كثيراً للوحدة والجامعة ، قال والاقطار الشرقية التي ذكرتها مع أهميتها وقوتها وعمرانها الفائق تنظر الى مصر كزعيمة العالم الاسلامي ، وهذا وزير معارف باكستان يقول في مصر وهو وزير دولة فيها أربعة اضعاف ما في مصر من المسلمين ، إن مصر زعيمتنا في الدين والعلم ، فكنت أرى من مصلحة مصر وسياستها الحكيمة ان ترتبط ثقافياً ودينياً بهذه الأقطار الاسلامية الناهضة وتأخذ مكانتها اللائقة في حلقتها , وعلى حكومة مصر ان تحقق هذه الأمنية وتوجد هذه الرابطة ، وخرجنا من عنده وصلينا المغرب في «جراش» الاستاذ اسماعيل ، ورجعنا على سيارته الى العتبة الخضراء .

الاثنين ١٣٧٠/٤/٢٨ هـ - ١٩٥١/٢/٥ م .

ذهبنا على الميعاد الى إدارة الأزهر وقدمنا نسخة من « ماذا خسر العالم » الى الاستاذ فريد وجدي وطلبنا منه إبداء رأيه في مجلة الأزهر فوعد بذلك ، وقلب صفحات الكتاب وتصفح فهرسه فأبدى إعجابه ، وبعد قليل جاء الاستاذ

محمد فؤاد عبد الباقي وأهدى كتابه « تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » نسخة الى كاتب هذه السطور ونسخة الى الاستاذ الكبير السيد سليمان الندوي .

مقابلة الشيخ محمد الغزالي

كنت حريصاً على الاجتماع بالشيخ محمد الغزالي وهو من شخصيات الاخوان البارزة ، واحد كتاب النهضة الدينية في مصر ، وقابلت مؤلف « الاسلام والاوضاع الاقتصادية » و « الاسلام والمناهج الاشتراكية » و « الاسلام المفترى عليه » و « من هنا نعلم » . قابلت الرجل الذي يغذي جماعة الاخوان بالغذاء الفكري والروحي الصحيح ، والأدب الاسلامي الدسم ، وسررت لهذه المقابلة لأني رأيت فيه رجلا صالحاً مثقفاً نشيطاً صاحب قلب حي وعقل نير ووجه يفيض بالبشر ، ورأيت ان كلاً منا يعرف صاحبه عن طريق الكتب والرسائل ، ويرى في هذه الكتب صورة افكاره ومبادئه ، وكان عنده عظة في الأزهر ، وكان الشيوخ ووعاظ الأزهر يذيعون الخطب الدينية بمناسبة مولد سيدنا الحسين فصاحبناه .

الاحتفال بمولد الحسين رضي الله عنه

مصر تحتفل في هذه الايام بمولد الحسين رضي الله عنه ، فلا ترى في القاهرة إلا الأضواء ، والأزهار ، والحلوى ، والحفلات ، فها هنا رجل يقسم الخبز على الفقراء ، والناس من الفقراء وغير الفقراء يتدافعون ويتزاحمون للحصول عليه ، وهنا حفلة مزخرفة ودكاكين زينت وشوارع أنيرت ، وترى في كل ناحية من نواحي القاهرة جموعاً ووفوداً من الارياف هم « ضيوف سيدنا الحسين » جاءوا للتمتع والتفرج على العيد المزعوم للشهيد المظلوم ، ومنهم من جاء لزيارة مدفن رأسه ، ولا يهمهم بل لا يهم كثيراً من أهل العلم في هذا البلد كيف وصل رأس الحسين الى القاهرة ومتى جاء ومن جاء به وهل لهذه الشائعة أصل تاريخي او لا؟

بل يكفيهم مجرد ما ذاع في الناس واشتهر ، يبنون عليه دينهم ، بل يروون في ذلك قصة غريبة ، وهي ان أمرأة قتلت ابنها وقطعت رأسه ووضعته مكان رأس الحسين وجاءت برأس الحسين الى مصر لتشرفها به ، فالمصريون يعرفون لها هذا الفضل ويزورونها كذلك ، وهي مدفونة بقرب من مدفن رأس الحسين .

الثلاثاء ١٣٧٠/٤/٢٩ هـ - ١٩٥١/٢/٦ م

أصبحت اليوم غير نشيط واشتغلت في الليه بكتابة مقالة « اسمعي يامصر » وملكت على فكري فأصابني من الارق ما قد يصيبني إذا شغل فكري بشيء ، ونمت متأخراً واستيقظت ولم أقض حاجتي من النوم .

صلتي بصحيفة « الفتح » وصاحبها

توجهنا عصراً الى الاستاذ محب الدين الخطيب صاحب الفتح الى جزيرة الروضة ، ومعرفتنا بالفتح وصاحبها قديمة مضى عليها نحو عشرين سنة يوم كنا تلاميذ عند الاستاذ الكبير السيد تقي الدين الهلالي المراكشي (الآن الدكتور الهلالي) وكانت الفتح تأتينا في مكتبه الاصلاح بنادي الطلبة وفي بيتنا وكانت صحيفة عزيزة عظيمة عندنا ، وكان يكتب فيها يومئذ الامير شكيب ارسلان والاستاذ الهلالي ، وتشرفت انا وزميلي الاستاذ مسعود الندوي بالكتابة فيها ، ونشرت لي مقالات في تلك الايام منها « لسان العصر » نقلت فيها الى العربية شعر السيد أكبر حسين الإله أبادي شاعر الهند المعروف في نقد الحضارة الغربية في أسلوب أدبي ساخر ، وقد نشرت الفتح هذه المقالة تباعاً في أعدادها ، وكنت قرأت للسيد محب الدين كثيراً ، وقرأت أجزاء الحديقة الـتي اطلعتني من أمثلة جميلة للادب العربي الاسلامي المعاصر ، وتعرفت بها بكثير من الأدباء الناهضين وكذلك مجلدات الزهراء .

يقطع الرجاء منه ، وأخبرني أنه مستعد لنشرها فإن ما بقي للطبع قليل جداً، قال أحد رفاقنا : هل لكم رغبة في التفرج على مولد سيدنا الحسين ؟ قلت مداعباً : لا بأس إذا كان معنا شيخ متبع للسنة كاره للبدعة مثلكم! أردت أن آخذ فكرة لهذا العيد الذي تحتفل به مصر هذا الاحتفال العظيم وأدرس الحالة الدينية في هذه البلاد .

زيارة الاحتفال بمولد سيدنا الحسين

خرجت مع الشيخ أحمد عثمان أولا الى حفلة عقدتها « لذكرى الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين » شركتا أتوبيس الشرق والصعيد بقبة الغوري ، وكنا سمعنا أن الشيخ الصاوي شعلان ينشد قصيدة فيها ، دخلنا في الحفلة فوجدنا الحاضرين قليلين والزينة والزخارف كثيرة. تقدم أولا الشيخ عبد الصمد خليل الوراق وقرأ آيات من القرآن ، والأصوات متزاحمة ، والإذاعات كثيرة ، فهاهنا قارىء يقرأ ، وهنا في خارج الحفلة قارىء يقرأ ويذاع صوته ، فلا يحصل الاستماع فضلاً عن الخشوع ، ثم تقدم الأستاذ الشيخ حسن صفر مفتش الوعاظ في الأزهر ، فخطب في موضوع «فوائد الذكرى » وخرجنا منكسفي البال مشوشي الخاطر من الضجيج والأصوات وغلبة التقاليد والأوضاع على الاعتبار والذكرى ، وأردنا أن نعود إلى ميعاد الشيخ الصاوي شعلان .

وتوجهنا الى مسجد سيدنا الحسين والطرق كلها مكتظة بالسابلة وزائري المسجد والمتفرجين حتى خفنا على انفسنا من الزحام ، فأخذ بعضنا بيد بعض ، وعلى مشقة وجهد قربنا الى المسجد فوجدنا حلقة ذكر قائمة على الشارع هي بفرقة رياضية أشبه منها بجماعة أهل الذكر ، وسمعنا انهم من المنتسبين إلى بعض الطرق ، قال الشيخ عثمان سنرجع اليهم ، وتقدمنا الى « أم الغلام » المحسنة التي جاءت برأس الحسين رضي الله عنه ، كما يعتقد كثير في مصر، ومررنا في طريقنا اليها بكل نوع من أنواع الملاهي والبهلوانية ، وكل صنف من أصناف الدكاكين

مع الاستاذ محب الدين الخطيب

ورأيه في بعض الادباء ومشاهير الكتاب

وصلنا إلى جزيرة الروضة وهي في أقصى البلد واجتمعنا بالأستاذ محب الدين. أذكرني الأستاذ محب الدين بزمن كان الشباب فيه غضاً طرّياً وثوب العمر أبيض نقياً : قلت ما بال الفتح ؟ قال أوقفتها من يوم أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرماً يفتش ويعاقب ، يشير إلى مطاردة الإخوان وتفتيشهم ، وجلس يذكر عدم اندماجه في هذا المجتمع وغربته في البلد ، وذكر الشيخ أحمد عثمان رغبتي في الاجتماع ببعض الأدباء ومشاهير الكتاب فانتقدهم من ناحية متانة الخلق وسلامة الدين ، وقال إن أبلغ تعبير عنهم أنهم « ممثلون » ونجاح الممثل وبراعته أن يقوم بحصته التي أسند اليه تمثيلها بأمانة ومهارة ، فإذا أريد منه أو أراد أن يمثل الملك مثله بكل دقة حتى يخيل إلى الناظر أنه ملك لا شك فيه ، كذلك الأدباء إذا أريد من الواحد منهم أن يؤلف كتاباً في فلسفة القرآن يؤلفه بكل لباقة وبلاغة ، كذلك يؤلف كتاباً في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبتلك المهارة ونفس الإبداع يؤلف كتاباً في سيرة ملك من ملوك الدنيا يريد أن يرضيه أو ينال منه خيراً ، وكذلك يكتب رواية وكتاباً لا يتفق ومبادىء الإسلام وروح الدين ، وقد أخبرني بعض من أثق به عن حديث دائر بينه وبين أديب كبير يكتب في موضوعات إسلامية ، قال فيه : « لو جاء محمد صلى الله عليه وسلم إلى مصر يريد أن يطبق فيها نظام الإسلام كاملاً لكنت أول من يخرج لمحاربته » (كذا) والذي قاله السيد محب الدين هو تصوير صادق مع الأسف ومنطبق على كثير من الأدباء الذين اتخذوا الكتابة في الموضوعات الإسلامية حرفة وصناعة . ليس في مصر بل في كثير من بلاد الإسلام .

أطلعني السيد محب الدين على الملازم المطبوعة لمقالتي «لسان العصر» فسررت لرؤية هذه المقالة القديمة التي كدت أنساها كما يسر إنسان بزيارة صديق قديم كاد

والباعة ، والزحام لا حد له ، والأصوات والغلبة لا نهاية لها ، وفيها من يجري في وسط الزحام بنار مشتعلة لا يبالي بالحريق ، ويدخل شبان فيدفع بعضهم بعضاً حتى يكون قطار يشق طريقه في هذا الزحام ، وهنا شممنا رائحة الخمر ورجعنا أدراجاً ، ووصلنا إلى باب المسجد فرأينا حلقة ذكر قايمة ، ورأينا حركات مجهدة وهم في ذلك يذكرون « الله » ويخرجون النفس من أنوفهم بقوة لا يقدر عليها ضعيف ، وينحنون الى نصف القامة ثم يقفون كبعض الأعمال الجمبازية ، وشيخ الحلقة وهو شاب محلوق اللحية لابس طربوشاً ينشد قصيدة لأحد أصحاب الطرق في الزجل وفيها ما معناه : « لو وضعت سري على الجبال لصارت دكا ، ولو وضعت سري على البحار لأصبحت قاعاً صفصفاً ، ولو وضعته على ميت لعاش بإذن مولى الموالي » أو ما يقرب من معناه ، وبينا نحن في ذلك وحركة الذكر قايمة على قدم وساق ووطيسه حام ، إذ تواجدت امرأة مسنة فعانقت الرجال وغلبت على أمرها وسمعت واحداً يقول « تحب النبي » وسمعنا أنهم أصحاب الطريقة الشناوية الأحمدية ، ورأينا في ركن من أركان المسجد حلقة ثانية قالوا هذه الطريقة البيومية .

تألمنا من هذه المشاهدة

وخرجنا من هناك نشق طريقنا بكل صعوبة ومشقة بين الزحام ، ومررنا بدكاكين نظم أصحابها وهم في تجارتهم حفلات صغيرة ، وجاءوا ببعض القراء أو المغنين ، والوعاظ يظهرون فنهم وبراعتهم ويتـــلون الآيات أو ينشدون الأبيات أو يحكون الحكايات في نغمة موسيقية ونبرات ، والناس يطربون ويستزيدون ويستعيدون ، ورجعنا مجهدين متعبين متألمين من هذا الوضع الذي لا يرضاه الدين ولا يقبله العقل ، ولا توافق عليه المدنية والمروءة ويمجه الذوق ، وتذكرنا قوله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً » ومما يزيدنا أسفاً وعجباً أن كل ذلك واقع على بضع خطوات من الأزهر .

مع الشيخ محمد الغزالي

غرة جمادي الأولى سنة ٧٠ هـ – ١٩٥١/٢/٢ م يوم الأربعاء .

وذهبنا إلى الشيخ محمد الغزالي،قابلنا الأستاذ بحفاوة ومحبة وجلسنا نتحدث وكان الحديث متنوعاً شاملاً لموضوعات علمية دينية ، وقد ذكرنا بعض المؤلفين الذين طعنوا في الوضع الاسلامي وثاروا في كتبهم على روح الاسلام ومبادئه وأساسه ، وقد عاشوا في البيئة الدينية وتلقوا التعليم الديني ، قلت مـــا هو السبب والداعي لرد الفعل ؟ أذلك يرجع إلى أحوال شخصية وحوادث تتصل بحياة هؤلاء المؤلفين وتجاربهم وعواطفهم كما هو الواقع في مثل هذه الأحوال في كثير من البلاد ؟

الثورة على الدين مردها في كثير من الاحوال إلى سوء معاملة رجال الدين وضعف أخلاقهم وفساد المجتمع

وافق على ذلك الشيخ الغزالي وقال أعرف رجلاً من هؤلاء المؤلفين وهوصديقي وزميلي في الأزهر كان من اعضاء جمعية دينية وفرداً في أسرتها، وكان يعيش عيشة ضنكاً وإخوانه الدينيون يعيشون حياة رغد ورفاهية، فلم يساعده أحد بمال ولم ير من كبيرهم ولا صغيرهم مواساة وبراً وعطفـاً انسانياً فضلاً عن عطف رفقة وزمالة، فساء رأيه في المجتمع الديني ورجاله، وأعتقد انه اذا ساد الإسلام وطبق نظامه كان رئيس هــذه الجماعه أو مثله وزير الخارجية أو وزير المالية ففضل ان يكون رجل لا ديني وزير الدولة مكان هذا الشيخ الديني الذي لم ير منه اخلاقاً عالية وانسانية سامية ! وما قاله الشيخ الغزالي هو منطبق على كثير من الأدباء والأذكياء الذين ولدوا وعاشوا في محيط ديني ثم ثاروا عليه ، فان الرجل اذا كان قوي الشعور مرهف الحس ثم ابتلي بمثل هذه التجارب القاسية أحدثت فيه

رد فعل عنيف وثورة فكرية هائلة ، وهـــذه قصة ماركس مؤسس الفلسفة الشيوعية وكثير من الثوار .

وتطرق الحديث الى التعليم الجامعي ورجاله ، وبعض المؤلفين والكتاب الكبار فقال الشيخ الغزالي مع الأسف ان كثيراً منهم متوفرون على العلم والثقافة وعندهم معلومات واسعة ودراسة كبيرة حتى ان بعضهم ليستحق أن يسمى موسوعة ودائرة معارف والفوا كتباً في تاريخ الإسلام وحضارته وأدوار حياتها لها قيمة علمية كبيرة ، ولكن أكثرهم لا يعنون بالجانب العملي من الإسلام فـلا نرى فيهم اهتماماً كبيراً بأركان الدين وأعماله أو محافظة على الصلاة ، وأخشى أن يذهب مذهب المرجئة ولا يعلق على الأعمال أهمية كبيرة ، وأمثال هؤلاء لا تأمنهم على سياسة التعليم وادارة المعاهد التي يراد فيها الجمع بين التعليم الديني والمدني وايجاد رجال يكونون الحلقة المفقودة بين التعليم الديني والتعليم العصري.

التعليم في الأزهر

وانتقد الشيخ الغزالي التعليم في الأزهر وقال انه يعنى بالتفصيل والنقاش أكثر مما يعنى بمبادىء الاسلام ومقاصده وأسسه وكلياته ، وقـــال ان الثقافة الدينية في الأزهر ضعيفة وضيقة ! قلت إذن فما هي الثقافة التي يمتاز بها رجال الأزهر ؟ قال : علوم اللغة الفلسفة التي دونت وتكونت في العصر العباسي .

الدعوة الدينية الكلية لا بد ان تتحرر من الخلافات المذهبية

اتفقنا على أن الدعوة الدينية التي تهدف إلى الاصلاح الإسلامي لا بد ان تتحرر من الخلافات المذهبية وإثارة المباحث الفقهية ، قال الشيخ الغزالي : ولعلكم لاحظتم أني أمر بمسألة فيها توسع في كتابي على حذر واتفقنا على أن نهضة الأمة لا تكون بالبحث في المسائل الخلافية وقال ما رأيكم لو صنف أحد كتاباً وسماه « إنهاض الأمة بمسألة القراءة خلف الأئمة » واستطرفنا هذا الاسم .

الشيخ الغزالي يرى التوسط في مسألة الحجاب

وكان من رأي الأستاذ الغزالي أنه لا بد من التوسط والاعتدال في مسألة السفور والحجاب فيكون حجاباً شرعياً تتمكن معه السيدات من المساهمة في النهضة الدينية والخدمة ، وذكر كيف قامت الأخوات المسلمات زمن اعتقال الإخوان المسلمين بمساعدة أسر المعتقلين ، قال وهن وحدهن كن الصلة والحلقة بين المعتقلين واسرهم، ولولاهن لوقعت هذه الأسر في متاعب عظيمة،قال والزمناهن أن يلبسن اللباس الساتر الذي هو أشبه بلباس الراهبات .

كيف تدوم الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية

وتكلمنا كذلك في مشكلة كبيرة هي مشكلة الجماعات الاسلامية كلها والعاملين للنهضة الدينية، وهي أن الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية لا تدوم بقوة واحدة فيعترضها من المد والجزر والاشتعال والبرودة، ما يؤثر في مصير الجماعة وحياتها ، فكيف يحافظ على هذه الحماسة والعاطفة والروح حتى لا يلي المد الجزر والاشتعال البرودة؟ هنالك يوصي بعض أهل التجارب بالذكر وتغذية الجماعة بالغذاء الروحي وما يشمل فيها العاطفة الدينية ويجعلها متقدة ملتهبة لا تنطفيء ، وعلى كل فلا بد للجماعة من العناية بهذه الناحية التي هي مصدر حياة الجماعة ومنبع قوتها ، واستأذناه وودعنا على أن نلتقي في وقت قريب .

زيارة شيخ فلسطين معمر

وبعد صلاة العصر ذهبنا نزور الشيخ عارف بن عبد الرحمن الشريف جد صديقنا السيد ياسين الشريف الفلسطيني ، والشيخ كان عميد الأشراف ومدرس المسجد الأقصى ، وهو كبير السن في الخامسة والتسعين من سنه يسكن كلاجيء في مصر الجديدة مع أولاده واحفاده ، قابلنا بحفاوة وإكرام ولم يزل

يرحب بنا ويردد قوله « وجدنا رائحة الاسلام » وقد أثرت في قلوبنا كلمته التي كان يكررها بعد كل بضع كلمات : المسجد حزين مسكين ، المسجد محزون ، ويمسح الدموع من عينيه وفي الحقيقة ان جرح فلسطين لا يندمل ، ولم يزل يذكر فضائل المسجد الأقصى وحرم سيدنا إبراهيم وما فيهما من بركة وسكينة وانوار، حتى اشتقنا الى زيارتها والصلاة فيها ، وسألناه الدعاء ورجعنا فجاء يودعنا على علو سنه .

مررنا في طريقنا الى مقرنا بشارع عماد الدين (شارع محمد فريد) وشارع فؤاد فإذا هما في أوج من الزينة والأضواء ودور السينما مزدحمة مكتظة بالزوار المتفرجين ، والناس صفوف على الأبواب ينتظرون دورهم، وسيول من السيارات تخترق الشارع ذهاباً وإياباً ، وكأننا في مدينة أوربية كبيرة لولا الخط العربي الجميل على الواح الدكاكين .

حديث مع الدكتور محمد احمد الغمراوي

الخميس ٢/٥/١٣٧٠ هـ - ٨/٢/١٩٥١ م

ذهبنا الساعة العاشرة نهاراً الى الدكتور محمد احمد الغمراوي في العباسية ، وقد عرفته أولا وانا طالب بكتابه « النقد التحليلي للأدب الجاهلي » ثم قرأت له مقالات ومقدمات تنبيء عن غيرته الدينية .

سبب انحراف بعض الأدباء عن الدين

وجدنا كما كنا نتوقع ، رجلا مؤمناً مثقفاً، سألته عن بعض الأدباء والكتاب الذين انحرفوا عن الدين وصدرت منهم كتب ومقالات تطعن في الاسلام والعقيدة الاسلامية ، قال هم ثمرة التربية السابقة ، قلت وفيهم من تعلم في الأزهر قال نعم ولكني أرى انه كان متهماً في الأزهر ، وكان عاكفاً على دراسة الأدب والشعر العربي ولم يشتغل بدراسة القرآن والحديث .

الأدب في هذه البلاد متجه اتجاهاً غير ديني

والأديب عندنا متجه اتجاهاً غير ديني من عهد بعيد، توفر على دراسة فن شعر مثل أبي نواس وأضرابه لا يتوقع منه أن يكون رجلا دينياً ، ثم التحق بالجامعة وسافر الى اوروبا ، قلت فكيف تغلب حضرتكم على هذه البيئة القاهرة وأنتم كذلك نتاج ذلك العصر وثمرة تلك التربية التي نتحدث عنها؟ قال أمري لا يقاس على هؤلاء ، فقد كان بيتي بيت دين وعلم ، وإخوتي كانوا يتعلمون في الأزهر وأنا أتردد معهم اليه ، ورأيت الأزهر ورجاله في عهد أحسن من هذا العهد وتأثرت بحياة بيتي ، قلت ولعل السبب في ثورتهم وشن الغارة على الدين وأهله انحطاط المسلمين وسوء حالهم وفساد الأوضاع، فان الرجل إذا كان مرهف الحس عصبياً فانه لا يطيق هذه الحالة وينقلب الى ثائر متهور ، قال ولماذا لم يثوروا ولم يتهوروا في الجانب الآخر ، يعني في الدعوة الى الدين الصحيح واصلاح هذه الأوضاع ؟ قلت هذا من التوفيق .

كيف يوجه الادب الى الدين ؟

قلت وكيف يوجه الأدب التوجيه الديني ؟ قال الأدب يتجه الى الدين بوجود حركة دينية ، وحياة اسلامية ، فان الأدباء والمؤلفين ينتجون ما يروج في السوق وما يقبل عليه الناس ، فاذا كان في الناس إقبال على الدين أنتجوا ما ينال إعجابهم وتقديرهم ، قلت وما تشيرون على الأزهر وترون من صالحه ؟

اقتراح على ادارة الازهر

قال: كنت اقترحت على عهد الشيخ الظواهري تأسيس مدرسة معلمين الأزهر تخرج مدرسين واساتذة لكل فن يدرسون في الأزهر وبذلك يستغني الأزهر عن استعارة اساتذة تلقوا ثقافة وتربية لا تلائم الأزهر ولا تنسجم معه ، وقد

يحدث هؤلاء الأساتذة الذين هم بأنفسهم غير مقتنعين بالدين والحقائق الدينية شكا وتذبذباً وصراعاً بين العقيدة الاسلامية او حقيقة دينية والعلم المصري فيقولون : هذا هو الذي اثبته العلم والتجربة في هذا العصر ، وما ندري كيف نوفق بينه وبين ما يثبته الدين فيحدث هذا اضطراباً عند الطالب وسوء ظن بالدين ، أما إذا كان الأساتذة متخرجين من هذه المدرسة الأزهرية فانهم يدرسون العلوم الكونية كتفسير للايات القرآنية ويستطيعون ان يوفقوا بينها .

لا ينقص الشرق الاسلامي إلا العلوم الطبيعية

ولكن يبدو لي أن اقتراحي هذا صادف مشاكل إدارية فلم ينفذ ، ولا ازال على رأيي ، قال ولا ينقص الشرق الاسلامي إلا العلوم الطبيعية فنحن نحتاج اليها فنأخذها كعلوم طبيعية اكتشفها الغرب لا كعلوم غريبة ولا نحتاج الى علوم الغرب الاجتماعية والآداب الغربية ، والعلوم الطبيعية ليس عليها طابع غربي .

طريقة تعليم العلوم الطبيعية

أما الآداب فعليها طابع الغرب ، وندرس هذه العلوم الطبيعية كتفسير للآيات القرآنية ونميز في هذه العلوم والنظريات بين ما يثبت منها وبين ما لا يزال في دور التجربة والبحث فنضع كلا منها في مكانه .

التحذير من تقليد مصر

ومما قاله الدكتور الغمراوي أنه كبير الأمل في باكستان والهند واندونوسيا قلت : وفي الهند وباكستان اليوم نشاط ديني ربما لا يوجد في البلاد العربية ، قال : ولكن ينبغي لهم ان يحتاطوا ولا يقلدوا مصر ، ويحتجوا بها على أن فيها

الجامع الأزهر فانها قد اتجهت هذا الاتجاه رغم الأزهر .

عن الازهر

وتحدث عن الأزهر ومستقبله وقال توجد الان معارضة قوية للأزهر ومؤامرة ضده ، وقد كان تقسيم الأزهر الى كليات وتوزيعه الى معاهد ومدارس في المديريات بايماز الانجليز ، فانهم لما رأوا هذا الجمع الحاشد من الطلبة يتعلمون في مكان واحد ويسكنون في بلد واحد ، خافوا سوء العاقبة وحذروا منهم فأشاروا الى تأسيس فروع للازهر في المديريات والمدن المصرية يتعلم فيها طلبة تلك الجهة بدل ان يؤموا القاهرة فيتكلفوا نفقات باهظة ، وكان في ذلك تخفيف على الطلبة وآبائهم ولكن فيه إضعاف لقوة الأزهر .

أهديت الى الاستاذ الغمراوي نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » واستأذناه .

زيارة القلعة ومسجدها

خرجنا من منزل الدكتور الغمراوي الى القلعة حيث كان مقر الحكم في عهد محمد علي باشا الكبير ، زرنا المسجد العظيم وأعجبنا بحسن بنائه وزينته واستحكامه ولا شك ان المسجد آية للفن ، ثم ذهبنا الى (الأوضات) التي كانت سكرتارية للحكومة الخديوية وإدارات الدولة ، وهنا وقفنا في الخارج نتفرج على القاهرة وعلى جوامعها العظيمة ومنائرها الشامخة ، وأهرام الجيزة تلوح لنا من بعيد ، وكان المنظر بديعاً جداً ، فقد كان الزمن شتاء ، والوقت ضحى ، والشمس لطيفة .

في مكتبة القلعة

وهنا زرت مجلدات « الوقائع المصرية » التي كنت اقرأ اسمها في تاريخ

الأدب العربي ، وتاريخ مصر السياسى والأدبي ، ورأيت مجلدات « اللواء » التي كان يشرف عليها ويكتب فيها المرحوم مصطفى كامل ، ومجلدات « المؤيد » ودخلنا في مكتبة احمد زكي باشا المودعة في مكتبة القلعة ، ورأيت بعض آثار هذا الباحث العالم الكبير ، ورأينا تلك المكتبة التي كانت في زمن زينة دار العروبة دار احمد زكي باشا العامرة .

المتحف الحربي

ثم زرنا المتحف الحربي بفروعه الفرعوني والعربي وما يرجع الى عهد المماليك ثم العصر العلوي ، ورأينا خرائط مفيدة ومعلومات قيمة ، وكان ممنا زكريا كال ابن الشيخ احمد عثمان وكان أعرفنا بهذا المتحف لأنه زاره مراراً مع زملائه طلبة الثانوية واساتذته فكان يشرح أشياء كثيرة وكانت زيارة مفيدة ممتعة .

زيارة المساجد والمقابر

صلينا الظهر في مسجد السلطان حسن ، ثم زرنا مسجد الرفاعي وهو مقبرة الملك فؤاد ووالده الخديوي اسماعيل وغيرهما ، ثم زرنا مسجد الامام الشافعي وقبره ومررنا بمقابر كثيرة وقلنا لو ان كل واحد من العظماء او العلماء او الصالحين بنيت له مقبرة لأصبحت مدينة الأموات أكبر من مدينة الأحياء ، ولما وجد الأحياء شبراً لبيوتهم .

موقف الاسلام ورسوله إزاء بناء المقابر ، وحكمته

وقد أحسن الاسلام إذ لم يشجع حركة بناء المقابر وجزى الله رسوله خيراً إذ حذر من ذلك وكرهه أشد الكره وتبرأ من اليهود والنصارى الذين اذا مات فيهم رجل صالح بنوا على قبره مسجداً .

الجمعة ٣/٥/١٣٧٠ هـ – ١/٢/١٩٥١ م

زيارة مدينة الفسطاط وجامع سيدنا عمرو بن العاص

ذهبنا اليوم صباحاً مع بعض الاخوان نزور مدينة الفسطاط ، دخلنا اولا في جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد وسعه السلاطين وزيدت فيه زيادات في عهود مختلفة ، فهو الان اوسع بكثير من جامع عمرو الا أنـــه لا يزال على طرازه الحجازي يذكر بمسجد الخيف في منى ومساجد الحرمين ، وقـد شعرنا بلذة روحية في هذا الجامع الذي هو أول مسجد أسس على التقوى وعلى التوحيد وعبادة الله وحده في أرض مصر ، وكان تأسيسه بالأيدي التي بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وصافحته مراراً لا تعد ولا تحصى .

شعورنا في جامع عمرو

فشعرنا في هذا المسجد بأنس وانجذاب قلب لم نشعر بـــه في أي مسجد من مساجد مصر العظيمة فهو أبسطهـــا على الإطلاق وأبعدهـــا عن الزينة والزخارف وما يسمونه « الفن » ولكنه في حالة إهمال مؤسفة ، تحيط به من الخارج مزابل وقاذورات وأكوام من الأتربة والخرائب .

حديث خرافة

سمعت أن الملك فاروق يصلي فيه الجمعة اليتيمة في كل عام، ولعل المستقبلين يكسونه بفرش تحول بين النظر وبين ما في هذا المسجد من إهمال ، وقد رأينا سارية من سواري المسجد تحيط بها شبكة من حديد وأخبرنا بأن هذه السارية لثقلها أتعبت الحمالين وشقت عليهم فعرفوا من ذلك أنها تأبى الدخول في المسجد وإنها لخبث سريرتها ممتنعة من ذلك ، ولذلك توارث المؤمنون تأديبها بالنعال وإهانتها وعقابها ، وقد حمتها الحكومة بشبكة من حديد تحول بينها وبين نعالي

المجاهدين المغضبين ، وقد أحسنت إذ منعت هذه الخرافة ، ووجدنا على العكس من ذلك في ناحية أخرى من المسجد الناحية التي اعتادت السيدة نفيسة أن تجلس فيها وتفيد الناس بعلمها ، ورأينا سارية سعيدة كان الناس يلحسونها بألسنتهم حتى حدث فيهـا قعر بلحسهم ، وقد منعت الحكومـة ذلك أيضاً بسياج من حديد .

في مصر القديمة

وخرجنـا من الجامع نؤم مدينة الفسطاط القديمة التي كانت أول عاصمة إسلامية في مصر ، فإذا بنا نمر في طريقنا بمقابر النصارى وصلبانهم وكنائسهم ، وقد كان الأجمل والأجدر بمركز هذه الآثار الإسلامية الأولى وكرامة التاريخ الإسلامي أن يكون محيط هذه المدينة الإسلامية محيطاً إسلامياً يبعث في النفس الجلال والسكينة ، ودخلنا في حدود مدينة الفسطاط ومشينا في خرائبهـا وحفائرها طويلاً وأنا أتمثل لمخيلتي مدينة الصحابة وثكنتهم ، وخيام المجاهدين ، وأقول لنفسي : لعل هنا كانت خيمة الزبير بن العوام ، وهنـا كانت خيمة عبادة بن الصامت ، ولعل محمد بن مسلمة كان مقيماً هنا ، ولعل هذا بيت الأمير عمرو بن العاص ، وهو بيت لا يرضى عامل أو فقير في القاهرة اليوم أن يسكنه ، ولكن صاحبه هو الذي هزم الرومان ، وفتح هذا الوادي ، ولعل ولده الحبر عبد الله بن عمرو كان يعبد ويحدث في هذا المكان .

الحقائق لا تغلب بالخيالات

هذا وأنا أحاول أن أركز فكري على هذا العهد السعيد وأنتقل لساعة من هذا الجو إلى ذلك الجو وأنسى أنني في مصر الجديدة ، وفي القرن الرابع عشر

ولكن الحقائق لا تغلب بالخيالات ، فلم أنجح في محاولاتي وإذا بي لا أزال في هذا العصر ، ولا أزال أسمع أصواته وأشاهد مناظره ، ووصلنا إلى الآثار التي

استخرجت من هذه المدينة المطمورة ، وهنا بقينا قليلاً نتكلم مع رجالها ونفيد منهم معلومات عن هذه المدينة وما خلفها من المدن في العهد الأموي والعباسي، وبينما نحن في ذلك إذ جاءت سيارة ونزل منها بعض الأساتذة من تركيا ومعهم الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش أول الآثار العربية ، وعرفه الأستاذ أحمد عثمان بنا ، فاستقبلنا ورحب بنا وقدم إلينا مساعدته في زيارة الآثار العربية ، فشكرناه على ذلك ووعدناه بالزيارة .

ومن مصر القديمة توجهنا إلى شركس حيث صلينا الجمعة في مسجد الشيخ سلمان ، وبعد الصلاة ألقيت كلمة دينية شرحت فيها طريق الدعوة الدينية في الهند وبعض تجاربها وثمراتها .

يوم السبت ٤/٥/١٣٧٠ هـ - ١٠/٢/١٩٥١ م

مضى أكثر النهار اليوم في تصحيح ملازم الرسالة « بين العالم وجزيرة العرب » في دار الكتاب العربي ، وملازم « المد والجزر في تاريخ الإسلام » في مطبعة أنصار السنة .

حديث مع الاستاذ محمد علي الطاهر

وبعد المغرب ذهبنا مع السيد ياسين الشريف كما كان تقرر من قبل إلى زيارة الأستاذ السيد محمد علي الطاهر صاحب الشورى ، وقد عرفناه في الهند باتصاله بالأمير شكيب أرسلان ونشره لمؤلفات الأمير ، وقد قرأت له في الحجاز شيئاً من كتابه الجديد « معتقل هاكستب ». وصلنا إليه فوجدنا عنده القائد عبد الله التل الفلسطيني ، وجلسنا نتحدث عن فلسطين وعن أسباب ضياعها ، والأستاذ محمد علي الطاهر هو الخبير الاختصاصي في مسألة فلسطين ، قال : أريد أن أؤلف كتاباً خاصاً بفلسطين ووصفها وتاريخها ، وما جرى فيها لأني أخاف أن تضيع فلسطين في التاريخ كما ضاعت في الواقع ، ويبحث المؤرخون والمؤلفون

بعد هذا العصر فلا يجدون المعلومات الكافية عنهـا ، فأريد أن يكون هذا الكتاب كوثيقة تاريخية تشتمل على مستندات ومعلومات، فإن فلسطين لشبيهة كل الشبه بالأندلس ، وقد كادت تضيع في التاريخ لولا أن المقري ألف كتابه العظيم « نفح الطيب » .

كارثة فلسطين وتقصير الدول العربية فيها

ثم بدأ يذكر كارثة فلسطين وتقصير الدول العربية في حقها ، بل جنايتها عليهـا وكيف كانت تنزع السلاح من أهل فلسطين ، وتجعل الشعب أعزل لا سلاح عنده ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه وشرفه ، ثم يأتي اليهود فيكون أهل البلد لقمة سائغة لهم ، فلو أن هذه الدول والجامعة تركت أهل فلسطين وشأنهم لدافعوا عن بلادهم مدافعة الأبطال كما ظلوا يدافعون عن أنفسهم هذه المدة الطويلة ، ثم تحدثنا عن انحطاط أخلاق العظماء والزعماء وقلت : إن علماء الرجال كانوا يؤلفون كتباً في الجرح والتعديل ، ولما كان هذا عصر السياسة والزعامة ، وقد طغت السياسة على كل شيء وحلت محل كل علم ، جئتم فألفتم كتاباً في جرح رجال السياسة والزعامة الإسلامية[1] ، وقدمت إليه كتاب « ماذا خسر العالم » وقدم إلي كتاب « ذكرى الأمير شكيب أرسلان » وهو مجموع ما قيل في رثاء الأمير وما ألقي في حفلات التأبين ، وما قال عنه أصدقاؤه وأصحاب الجرائد والمجلات وكتاب « أوراق مجموعة عن فظائع الإنجليز في فلسطين وغدر اليهود وصبر العرب » وكتاب « معتقل هاكستب » وجاء زواره فعرفهم بنا وتعرفنا بهم ، منهم الأستاذ أحمد الشقيري مساعد الأمين العام للجامعة العربية ، والقاضي محمد عبد الله العمري وكيل وزارة الخارجية في اليمن ، وقد اتفقنا مع سعادة الوكيل على زيارته في فندق « قصر الجزيرة »

---

(١) المؤلف لا يوافق الأستاذ محمد علي الطاهر في جميع آرائه وملاحظاته عن الشخصيات المعاصرة ، ففيها شيء كثير من القسوة وشيء من التجني .

يوم الثلاثاء وزيارة أحمد الشقيري يوم الثلاثاء أو يوم الأربعاء .

مشاهدة مؤسفة في الحمام

الأحد ١٣٧٠/٥/٥ ﻫ - ١٩٥١/٢/١١ م

ذهبت اليوم إلى حمام هو على نظام الحمامات التركية ودخلت أستحم ، فرأيت فوجاً من الشبان والأحداث والكهول عراة لا شيء على أجسامهم البتة ، ولا فرق بينهم وبين البهائم مطلقاً ، فدهشت لهذا الوضع الغريب المنافي للشرع والمروءة والإنسانية ، وخرجت من غير استحمام متكدراً كسيفاً .

وقاحة الصحف

طلعت جرائد اليوم تحمل صوراً للملك فاروق بمناسبة عيد ميلاده وصور خطيبته التي تمت خطبتها اليوم ، وهي صور لا تليق بالسيدات المسلمات ، وقد كان من حق سيدة ستصير بعد قليل ملكة مصر أن لا يظهر لها مثل هذه الصور على صحيفة وهي المسرح العام ، ولكن الأذواق والأنظار قد تبدلت وأصبحت الصحف حرة مطلقة تنشر ما تشاء والمنكرون لهذه الأوضاع قليل لا تأثير لهم .

زيارة الاهرام

ذهبنا إلى الأهرام هذه المباني العظيمة التي عدت من عجائب العالم وآيات الفن وآثار التاريخ الخالدة وكم قرأنا عنها وسمعنا عنها ، وصلنا إليها وعيوننا شاخصة نحوها وقلوبنا متطلعة إليها ، فوجدنا بناء عالياً مخروطياً من حجارة صماء تتحير العقول في طريق وصولها إلى هنا من جبل المقطم .

ذكرى السخرة الظالمة

ودرنا حول الهرم الأكبر ، وهو مقبرة الملك خوفو ، ولم يمنعنا ضخامة هذا

البناء وروعته وجلالة هذا الأثر التاريخي العظيم من إنكار هذه السخرة الظالمة التي أنتجت هذا الأثر الخالد ، وهل هو إلا مدفن ملك ؟ وقد كان يكفيه ذراع في ذراع ، ولكنه لقضاء شهوة الجاه والفخار ، وتخليد الآثار استخدم آلافاً من النفوس وشغلها لمدة طويلة لهذا العبث ، وهنا يذكر الإنسان قوله تعالى ويتمثل صدقه وجلاله: «أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون» وتأسفت على هذا المصرف للقوة والمواهب الإنسانية والأوقات الثمينة التي ليس لها بدل ، ثم ذهبت إلى المعابد التي لا تزال فيها بعض الصور والتماثيل والنقوش والكتابات ، والدليل يشرح لنا ما سمع من علماء الآثار وحفظه من أخبار هذه المعابد ورجالها ، ورأينا « أبا الهول » وبعد ما قضينا ساعات في هذه الجولة التاريخية رجعنا إلى مقرنا .

زيارة أثرية للأزهر وما حوله

الاثنين ١٣٧٠/٥/٦ هـ - ١٩٥١/٢/١٢ م

كان اليوم يومـــاً مطيراً ولكنه رش خفيف لا يمنع من الخروج والتنقل ، خرجنا قبل الساعة العاشرة وذلك ميعاد الاجتماع بالأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش أول الآثار العربية وزيارة الأزهر وما حوله من الآثار العربية .

في مكتبة الازهر

اجتمعنا على باب الأزهر ومعنا بعض الأصدقاء وزرنا مكتبة الأزهر التي أنشئت في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني في المدرسة الانبغاوية وبقايا المدرسة الطيبرسية الملحقتين بالأزهر ،وجمعت فيها الكتب المبعثرة وأهديت اليها مكتبات أهمها مكتبة المرحوم سليمان باشا أباظه ، وكان الأستاذ حسن عبد الوهاب يلفت نظرنا إلى مـــا تحتوي عليه مكتبة الأزهر من الكتب القديمة التي يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الرابع والقرن الخامس ، وقد اطلعنـــا على كتابات قديمة

ومخطوطات نادرة، ومصاحف وربعات ملوكية تتجمل بها كل مكتبة في العالم، ومن أهم ما اطلعنا عليه كتاب رسوم دار الخلافة لأبي إسحق الصابي، نقل من نسخته، ولعل مكتبة الأزهر هي التي تفردت بهذا الكتاب، ونشر هذا الكتاب يلقي ضوءاً كبيراً على أحوال الدولة العباسية الاجتماعية والاقتصادية. وكان الأستاذ حسن عبد الوهاب يستلفتنا دائماً في خلال زيارة المكتبة إلى طراز البناء والمحاريب والأروقة ويذكر تاريخها وتاريخ بنائها، ثم ذهبنا إلى الأزهر ورأينا الأزهر القديم من بناء المعز لدين الله الفاطمي وزيادة الأمير عبد الرحمن كتخدا وزيادات أخرى، والأستاذ يشرح لنا تاريخ هذا الجامع الكبير وما أدخل عليه وما أضيف إليه في عصور مختلفة، وهو من أكبر علماء الآثار في هذه البلاد، فكانت زيارتنا زيارة أثرية ودرساً في التاريخ، وخرجنا من الأزهر ودخلنا في الأسواق في طريقنا إلى مدرسة المنصور قلاوون، ومررنا بمدرسة السلطان صالح نجم الدين الأيوبي قاهر الصليبيين في المنصورة التي أنشئت لتدريس المذاهب الأربعة، ورأينا منارتها الجميلة، وقد أخبرنا الأستاذ حسن أن دفن السلاطين في المساجد إنما بدأ في آخر الدولة الأيوبية فلم يعرف ذلك في عهد الفاطميين، ودرج على ذلك السلاطين بعد الدولة الأيوبية.

في مدرسة المنصور قلاوون

ومررنا بسوق خان الخليلي، حتى دخلنا في مدرسة المنصور قلاوون وهي بناء ضخم أثري جميل اشتهر بين الناس أنه تم في أربعة عشر شهراً، بل يوجد ذلك منقوشاً على عتب الباب الرئيسي، ولكن الأستاذ حسن يؤكد أنه لم يتم إلا في سبع سنين وثمانية أشهر، وحجته في ذلك أن البدء في هذه العمارة كان بالاتفاق في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وتوفي السلطان منصور في ٦ من ذي القعدة سنة ٦٨٩ وحمل إلى قلعة الجبل، واستمر بها إلى آخر يوم الخميس غرة المحرم سنة ٦٩٠، وفي يوم ٢ محرم نقلت جثته من القلعة إلى تربته التي

أنشأها بالمدرسة المنصورية داخل القاهرة ، فلو كان البناء جاهزاً لبادروا بدفنه فيه ، وهذا البنـاء مجموع قبة ومدرسة وبيمارستان وهي مجموعة حافلة بمختلف فنون العمارة الدقيقة وأروع أثر من آثار العمارة الإسلامية في القاهرة ، وتقع في شارع المعز لدين الله بين القصرين الفاطميين القديمين .

في بيت السحيمي

ومن مدرسة المنصور قلاوون خرجنا نزور البيت الأثري الذي يمثل نظام منـازل الأغنياء والرجال الذين كانوا يجمعون بين الثراء والدين والعلم في العهد التركي ومعاشرة الطبقة الأرستقراطية وهو البيت المشهور بالسحيمي ، وهذه الدار ووضعها أكثر راحة وسهولة من البيوت العصرية .

اشتغلت بعد العصر بتصحيح ملازم «المد والجزر في تاريخ الإسلام» ومكثت في مطبعة أنصار السنة إلى ما بعد المغرب .

الثلاثاء ٧/٥/١٣٧٠ هـ — ١٣/٢/١٩٥١ م

حديث مع وكيل وزارة الخارجية اليمنية

(ذهبنـا اليوم لزيارة سعادة القاضي محمد عبد الله العمري وكيل وزارة الخارجية اليمنية في فندق قصر الجزيرة) دخلنا في غرفته في الدور العـالي فوجدنا المقام في فخامته ومظهره وتكاليفه أجدر بممثلي دولة وشعب غني جداً ، ولكن السياسه العصرية تفرض على الحكومات الشرقية أن تظهر بمظهر أوروبي ، رحب بنا سعادة الوكيل في أخلاق العلمـاء ورجال الدين وجلسنا نتحدث ، وذكرت لسعادته صلات الهند العلمية والثقافية مع اليمن ، وذكرت العلامـة السيد مرتضى البلكرامي الهندي صاحب تاج العروس الذي اشتهر لطول إقامته في اليمن بالزبيدي والشيخ حسين بن محسن الأنصاري الذي هو أستاذ أكثر

علماء الحديث في هذا القرن ، وذكرت له أن لليمن فضلاً علي كذلك في دراستي وعلمي ، لأني تلميذ الشيخ خليل بن محمد بن حسين اليماني ، وذكرت له رغبتي في زيارة اليمن لأنه القطر العربي الوحيد الذي لا يزال على الحضارة القديمة والحياة الأولى ولا يزال على طابعه القديم ، أما الأقطار الأخرى فأصبحت على غرار واحد ولون واحد من الحضارة الأوربية فلا يستفيد الإنسان من زيارتها جديداً ويكفيه في بعض الأحيان أن يزور قطراً من هذه الأقطار ويقيس عليه الباقي، فرحب بهذه الرغبة .

اليمن على مفترق طرق

ودعانا لزيارة اليمن قلت لسعادته إن الأقطار العربية قد أصبحت لا تملك من أمرها شيئاً فهي مندفعة مع التيار الغربي وليس لها الخيار ، أما اليمن فلا يزال على اختياره ولا يزال يملك أمره ، فأرجو أن لا يستعجل ولا يتهور في الاقتطاف من الحضارة الغربية ونظم تعليمها ومناهج حياتها، ولا يتساقط عليها تساقط الظمآن على المـــاء أو الفراش على النور ، فيختار منها ما يوافق حياته ودينه وطبعه ورسالته ويدع فضولها وشرورها ، وقد عاش اليمن في العزلة عن العالم وهو يعتقد أنه تخلف عن الركب فأخاف أن يستعجل السير ليلحق بالقافلة فيعثر أو يضل الطريق ، ويقع ما لا يمكن تداركه ولا تقال عثرته .

دعامتا الحياة في البلاد الاسلامية

قلت ودعامة الحيـاة الصحيحة عندي في البلاد الإسلامية وجود الشعور الديني الصحيح القوي في الشعب ، ولا يكون هذا إلا عن طريق الدعوة العامة والاتصال بالشعب وتربيته الدينية ، وإيجاد الوعي في طبقاته ، والدعامة الثانية منهاج التعليم الصحيح والجمع بين العلم المأخوذ من الوحي والنبوة الذي لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو علم كل عصر وأساس كل حيـــاة ومدنية فاضلة وبين العلوم الطبيعية والمعلومات العصرية

والتجارب والاكتشافات التي سبق إليها الغرب وانتصر بها على الشرق، وأرجو أن يوفق اليمن للجمع بين هاتين القوتين ، وإذن نرجو أن يكون له شأن غير شأن الأقطار العربية الأخرى التي أصبحت لا إسلامية ولا أوربية – قلت هذا وما معناه باختصار واختلاف يسير ، فوافق عليه سعادة الوكيل وأنصت إلى الحديث وأنست منه ذكاء واطلاعاً وسرعة فهم وثقوب ذهن ، وأهدى إلي كتاباً في الانجليزية عن اليمن وبعض مناظره ومبانيه وصور الأسرة الملكية . وفي خلال الحديث جاء السيد على المؤيد ممثل اليمن وجماعة من اليمنيين معه ، وعرف سعادته بعضنا ببعض فقلت « أتاكن أهل اليمن » والوكيل على جناح السفر إلى صنعاء ويعود مع السلامة إن شاء الله في الشهر القادم فعلى الطائر الميمون .

كلمة أمام الطلبة السوريين

جمع السيد ياسين الشريف بعد العشاء نخبة من الطلبة السوريين والفلسطينيين في غرفة في رواق الشوام وحضرنا وما شعرنا إلا ونحن في طلبة كلية أو جامعة من الجامعات العصرية الحديثة في الهند ، وألقى الأستاذ محمد الكنجي رئيس طلبة البعوث الإسلامية في الأزهر كلمة ترحيب وتعريف ، وتكلمت في موضوع واجبات طلبة العلوم الدينية ومؤهلاتهم وصفاتهم ولفت أنظار طلبة الازهر إلى العناية بالناحية الروحية وتغذية القلب وعلو الهمة في الدين والعبادة والمحافظة على الفرائض والواجبات الدينية والاهتمام بالنوافل وقيام الليل فضلا عن المكتوبات وحضور الجماعة ، وقلت إذا تتبعنا تاريخ الشخصيات والرجال البارزين الذين خدموا هذا الدين او احدثوا تجديداً او انقلاباً في المجتمع الاسلامي رأيناهم دائماً يمتازون ويفوقون العامة في حرارة قلوبهم وقوة عاطفتهم وكثرة العبادات ودوام الذكر ، وإذا لم يكن الانسان فائض القلب بالايمان واليقين ملتهب الروح قوي الشخصية الدينية لم يؤثر في غيره ، ولم يحدث في المجتمع حرارة وروحاً وحياة ونشاطاً دينياً ، ولكنا نرى مع الأسف ان

المعلومات قد توسعت وتضخمت جداً في هذا العصر حتى لو وزعت على بلد لوسعت أهله وجعلت من كل فرد من أفراده عالماً ولكن القلب قد ضعف جداً، وقوة الارادة اضمحلت اضمحلالا كبيراً ، وهزل الايمان ، فنحن الآن نعلم شيئاً كثيراً جداً ، ولكن هذا العلم لا يحملنا على العمل ولا نجد إيماننا مثل إيمان الصحابة ومن بعدهم ولاصلاتنا مثل صلاتهم ، وذلك لأن معلوماتنا قد اتسعت وتضخمت على حساب الايمان والعمل ، فيجب علينا أن نحاسب أنفسنا ونخلص لها في النصيحة والتربية ونعدها إعداداً كاملا قبل ان نخوض المعركة الدامية بين مادية هذا العصر وبين الاسلام ، فلا يمكننا ان نثبت في هذه المعركة وان نبارز هذه المادية القوية الفتانة إلا بروح قوية ودين متين وقلب عامر بالايمان واستقامة دينية .

وارجو ان لا تضيع هذه الكلمة ويكون لها بعض الأثر في نفوس السامعين

الأربعاء ١٣٧٠/٥/٨ هـ — ١٩٥١/٢/١٤ م .

في ادارة العالم العربي

ذهبنا اليوم الساعة العاشرة صباحاً الى إدارة مجلة « العالم العربي » في شارع ابراهيم باشا وسألنا عن الاستاذ اسعد حسني رئيس تحرير المجلة المسؤول وكان في بيته فحضر وتقابلنا وأخبرته أننا متصلون في الهند بالمجلة .

حديث عن اسباب فشل قضية فلسطين

ثم أبديت له بعض آرائي عن العالم العربي وقضية فلسطين وأسباب فشلها وأن السبب الأكبر في ذلك هو الافلاس الروحي وفقدان الايمان وانطفاء الحماسة الدينية في الشعوب والدول التي كانت تقاتل في ميدان فلسطين وقلت : إن الحضارة الغربية والمادية هي التي جنت على هذه الشعوب وقضت على قوتها

الروحية ومعنوياتها ، فقال : ولكننا نرى في الأمم الاوروبية روحاً أقوى من الأمة العربية وبهذه الروح حاربت الحروب ودافعت عن نفسها ، قلت : إن الأمم الغربية استبدلت بالروح الوطنية والشعور السياسي فحل هذا محل الروح وكانت قوة كبيرة .

أما الشعوب العربية فلا حافظت على روحها ولا اكتسبت شيئاً يحل محلها ويسد فراغها،فلا عندها روح دينية ولا وعي سياسي،ولذلك هي تواجه الفشل الذريع والهزيمة المنكرة في كل معركة وصراع ، قال ومن رأيي أن سبب فشل الدول العربيةهي العقلية العشائرية التي حاربت بها هذه الدول في ميدان فلسطين وقد أبديت هذا الرأي في أحد اعداد المجلة قلت : قد اطلعت على هذه الكلمة وأعجبني هذا التعبير .

الخميس ٩/٥/١٣٧٠ هـ – ١٥/٢/١٩٥١ م .

مع الاستاذ علي الغاياتي

توجهنا الى ميدان الخديوي إسماعيل لنقابل الأستاذ علي الغاياتي صاحب « منبر الشرق » وكنا مشتركين فيها في الهند،وكنا نلمح الايمان من خلال سطور مقالاته ، فوددنا ان نجتمع به فان الذين يشعرون الشعور الديني وينتصرون للدين الغريب أسرة صغيرة في كل بلد فلا بد أن يتصل بعضها ببعض، وقابلنا الاستاذ في منزله فرأينا اشراق الايمان في وجهه وبياض الشيب في شعره،وعرفته بنفسي وقدمت اليه محاضراتي ونسخة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وظل الشيخ يسألني أسئلة عن الهند وباكستان ومستقبلها والحياة الدينية واتجاه الحكومة فيها فأجبته بما أرى وأعلم

مثل بلاد العرب ومثل الهند وباكستان

وجرى ذكر الشعور الديني في البلدين فقلت : إن في الهند وباكستان عاطفة

دينية قوية واجلالا للدين وإكباراً أقوى واعظم مما نراه في البلاد العربيـــة فان البلاد العربية – لا مؤاخـــذة – قد أصيبت بما قد يصاب به الشبعان من الانصراف عن الطعام والزهد فيه ومثلها كمثل ولد نشأ في بيت دين وعلم ورأى المصاحف والكتب الدينية حوله فأصبحت لا تثير فيه الاهتمام والادب ولا تنال منه ما تستحق من التعظيم والاجلال ، وهكذا أصبحت هذه البلاد العريقة في الاسلام والعروبة تنظر الى الدين والرسول والقرآن نظراً عادياً لا غرابة فيه ولا جلال ، أما الهند وباكستان فنظرهما الى الاسلام والى الرسول صلى الله عليه وسلم كنظر رجل جديد الاسلام فهو متحمس في دينه أكثر من المسلمين القدامى وعنده من الاجلال للدين ما لا يوجد عند العرب أنفسهم ، ثم وصفت له النشاط الديني الحديث والدعوة الدينية للبلدين .

منبر الشرق وصاحبه

وتكلمنا في شأن « منبر الشرق » فقال أسستها في جنيف وأقمت فيها نحـو سبع وعشرين سنة ولم أزل والحمد لله محافظاً على ديني لم تؤثر فيّ البيئة والحضارة الغربية مع ان جنيف من أرقى مدن أوروبا مدنية وكذلك ظلت «منبر الشرق» محتفظة بطابعها الديني ومبدأها لذلك لم تنل من الرواج والذيوع ما نالته صحف أحدث منها عمراً ، وكان صديقنا الامير شكيب ارسلان يقول مداعباً «منبر الشرق فائز الآخرة » قال وانا من زمان من الذين يؤمنون بالجامعة الاسلامية وكلمت في ذلك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مرة وذكرت له قوة هذه الجامعـة ومساواة المسلمين في الدين فقال : « معلوم . بدليل سلمان الفارسي » .

في دار الارقم

ومن إدارة « منبر الشرق » توجهنا الى دار الارقم مركز شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد أخفقنا مراراً عديدة في مقابلة الاستاذ حسين يوسف

ولكن وجدناه هذه المرة،فقابلنا الشاب المسلم الذي يكتب هذه المقالات الحارة القوية الفائضة بالايمان الصادق والانكار الصارخ على الالحاد والاباحة والمجون ، وجدت شاباً ذكياً نشيطاً قد براه الشعور المتقد والحس المرهف . ذكرت له ما بين صحيفته وبين قرائها في الهند من الاتصال الروحي وما عندهم من الاعجاب الفائق والحب العميق ، وأثنيت على جهاده الموفق ضد الادب الخليع والصحافة الماجنة والصور العارية .

الحاجة الى جبهة قوية إزاء الادب الخليع المكشوف

وقلت له : لا بد من تكوين جبهة قوية ومعسكرضد هذا الأدب المكشوف وهذه الخلاعة والاستهتار ، وانه لا يخلو من فائدة فقال قد كان لبعض ما نشرته صحيفة شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الانكار على الصحف والمجلات الخليعة وتهديدها تأثير ، فقد دعاني الأستاذ فكري أباظة في إدارة المصور مرة واعتذر عن الماضي،ووعد أنه لا ينشر في المجلة ما ينافي الاخلاق وظل على وعده نحو ثلاث سنين ، ثم عادت المجلة الى سيرتها الأولى ، فقلت فلا بد من إعـــادة الانكار والتهديد فان هؤلاء ماديون بحيث لا تؤثر فيهم إلا التهديـــد وخوف الضرر المادي ، قال ولعلكم تستغربون ان الصحيفة الوحيدة التي لم تنشر إعلان الخمر في صفحاتها هي صحيفة المقطم المسيحية ولها أن تفتخر بذلك وان كانت صديقة للانجليز ولكنا نعترف لها بهذا الفضل وهي اقل الصحف المصرية خلاعة ونشراً للصور ، قال ومرة استلفت نائب البابا في رومة الأمير محمد علي توفيق الى هذه الصور المنافية للاخلاق والآداب والمثيرة للعواطف فأثارت كلمته اهتمام ولي العهد ورفع تقريراً الى السراي مع قصاصات من هذه الصحف والمجلات وشاركة في ذلك الأزهر ، وبقينا ننتظر النتيجة ولكن دفنت المسألة في مهدها ونامت الحكاية ولم نسمع شيئاً بعد ذلك .

الجمعة في جامع الازهر

الجمعة ١٠/٥/١٣٧٠ هـ – ١٦/٢/١٩٥١ م .

لم يتفق الى الان أن نصلي الجمعة في جامع كبير من جوامع القاهرة ونرى العادات البلدية في صلاة الجمعة فقد أصبح مع الأسف لكل بلد طابع ديني خاص وعادات وشعائر لا توجد في بلد آخر بما دخل في الدين وطرأ عليه مما ليس منه من العادات والاوضاع المحلية ، وآثرنا أن نصلي اليوم في الجامع الأزهر ، وصلنا قبل الصلاة بساعة وجلسنا بعد ركعتين خفيفتين وشرع القارىء في سورة الكهف التي جرت العادة في مصر بقراءتها جهراً . شرع القاريء في القراءة على المذياع و كلما قرأ آية هتفت الناس بأعلى صوتهم يمدحون حسن صوته ورخامته ويستزيدونه ويستعيدون ما قرأ ، فلا يشعر الانسان لسبب هذه الجلبة واختلاط الاصوات وارتفاعها إلا أنه في الهراج او في مجلس « مشاعرة » في الهند ، يقولون : بالله لا تبخل علينا بما أنعم الله عليك ، ويقولون : يا جدع ! والقارىء يقرأ آية ثم يعيدها على ثلاثة اوجه او أربعة او اكثر ويظهر براعته الفنية والناس يطربون لها ويهتفون بها ، ونحن مندهشون بهذا الوضع الغريب لا نستطيع ان ننتقل ولا ان نستلذ بهذه القراءة وننصت لها ، وعجبت كيف أباح رجال الأزهر وعلماؤه هذا التمثيل غير اللائق بجلال القرآن وأدب المسجد في أكبر مسجد له مركزه الديني وكل ما يكون فيه يحتج به ويكون كالفتوى في الأرياف والقرى ، ولم تكن الصلاة سارة في الحقيقة في أعظم مسجد في بلد من أعظم بلاد الاسلام فإنا لله وانا اليه راجعون .

أملي في حركة الاخوان

أصبحت اعتقد بعد زيارة بعض البلاد العربية والاطلاع على احوالهـــا ان حركة الاخوان إذا قويت وانتظمت على خطوط ثابتة هي المنقذ الوحيد بحول

الله للعالم العربي من الانحلال والاندفاع القوي الى الهاوية لذلك أصبحت اعلق عليها أهمية كبيرة واحمل لها بين جوانحي حباً عميقاً ، والحب يبعث على الاشفاق وذلك يدفع الى الصراحة فلي آراء وتجارب اكتسبتها من دراسة تاريخ الحركات السياسية في الهند أدلي بها اليكم كأخ مخلص وفرد من أفراد هذه الأسرة الكريمة .

ثلاث نقط هامة

وهي أنه لا بد لدعوة الإخوان وحركة مثل حركتكم من الانتباه لثلاث نقط هامة والعناية بها :

أولاً أن مرحلة الدعوة وغرس المبادىء والإيمان في قلوب العامة تتقدم على مرحلة السياسة والتشكيلات والحكم والوضع الإداري وبطول هذه المرحلة وامتدادها ومثابرة رجال الدعوة عليها وجهادهم في سبيلها تنجح المراحل الأخرى وتؤتي الشجرة أكلها ناضجة شهية أما إذا استعجل رجال الدعوة وقطعوا هذه المرحلة بسرعة زائدة او طفروا طفرة الى السياسة والحكم من غير دعوة يبثونها في الشعب او تربية يحكمونها لم تثمر الشجرة او كانت الثمرات فجة ناقصة ولنا عبرة في تاريخ الدعوة الاسلاميه الاولى فقد استغرقت مرحلة الدعوة ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنين في المدينة ، وكانت مدة الحكم والتشكيل في عهد الرسالة أقصر من مدة الدعوة ولعل الله قد أراد بهذه الدعوة الاخوانية خيراً إذ ردها قسراً إلى مرحلة الدعوة الاولى بينما كادت تتملك زمام الأمر وتعتلي كرسي الحكم لتزداد الدعوة نضجاً وليزداد رجالها تربية وحنكة ومبادئها رسوخاً وقوة ، فهذه فرصة غالية يجب على الاخوان أن ينتهزوها وينتفعوا بها كل الانتفاع ولا يضيعوا دقيقة واحدة في بث الدعوة الى الله وغرس الايمان في القلوب وتربية الرجال الدينية والاتصال بطبقات الشعب .

اهمية إنتاج الرجال الذين يديرون دفة الدعوة ويربون الرجال

والنقطة الثانية هي إنتاج الرجال الذين يقومون بالدعوة ويديرون دفتها ويربون الرجال ويملأون كل فراغ ، وكل حركة او دعوة او مؤسسة مهما كانت قوية او غنية في الرجال اذا لم تستمر في انتاج الرجال فانها معرضة للخطر وإنها لا تلبث ان ينقرض رجالها واحداً إثر آخر وتفلس في يوم من الايام في الرجال .

تغذية القلب والروح

والنقطة الثالثة هي تغذية القلب والروح بغذاء يحفظ على رجال الدعوة نشاطهم وحماستهم ويعوض ما يصرفونه من قوة فان الرجل كالمصباح إذا نفذ زيته ينطفيء ، وكم رأينا من حركات سياسية ودعوات دينية تقدم رجالها للسجون وصنوف العذاب ثم لم يلبثوا ان فترت نفوسهم وبردت عواطفهم فتراجعوا الى الوراء بل وراء الوراء وانحطوا عن مستوى العامة والسوقة ، فاذن لا عبرة بالحماسة فقط ولا ثقة بالتضحية فحسب بل الشأن في الاستقامة والدوام وليس ذلك إلا بالتربية الروحية وتغذية القلب بالايمان والذكر وشحن « البطارية » .

قلت والذي علمت من دراسة سيرة فضيلة المرشد رحمه الله واحواله أنه كان رجلا موهوباً ذا شخصية عظيمة أعدها الله لتربية الجماعة وقيادة الدعوة ، وكان معنياً بهذه الجوانب كل العناية ولكني أريد ان اسمع تفصيل ذلك من الثقات الذين صحبوه وعاشروه واعرف فكرتهم .

شخصية المرشد العام ومواهبه العظيمة

هناك انبرى الاستاذ محمد فريد عبدالخالق والقى الضوء على هذه النواحي

وذكر عناية فضيلة الشيخ رحمه الله واهتمامه بالتربية الروحية واعداد الرجال ونفوذه الشخصي في حياة الاخوان واتصاله الوثيق بهم ، حتى انه كان يعرف كل أخ باسمه وينصت الى الواحد منهم ساعة كاملة يحدثه حديثاً شخصياً حتى إذا اسرع دولاب العمل ودارت حوله دوامـــات عنيفة سياسية وتنظيمية واضطر الى ان يشتغل بأعمـــال متنوعة فكان يشرف على الصحيفة اليومية ويبيت بعض الليالي ساهراً ويقابل الوزراء ويشترك في المؤتمرات الصحافية .

اهتمامه بتربية الجماعة

ولكنه كان دائماً يقول : يا ليت احداً تولى هذه الاعمال وفرغت للاخوان، وشرح نظام الجماعة في التربية والتنظيم كله بأسلوب جذاب ، وابدى موافقته لكل ما تقدمت به من كلام ، وشاركه زملاؤه .

مقابلة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

ذهبنا الى دار جميعة الهداية الاسلامية وقـــد كان الاستاذ طه الساكت مراقبها العام طلب مني الحضور في دار الجمعية الساعة السادسة مساء ، وقابلنا هنا الشيخ الخضر رئيس الجمعية ومدرس في كلية أصول الدين سابقاً ، وكنت اعرفه من مقالاته ورسائله العلمية وبحوثه اللغوية من زمان ، واعرفـــه كعالم زاسخ في العلوم الدينية والأدبية .

معلومات عنه وعن جامع الزيتونة

وسألته عن مدة اقامته في مصر فقال: لي الان ثلاثون عاماً في مصر وأصلي من الجزائر ومولدي تونس ، وقضيت نحو عشرة اعوام قبل مصر في سورية وغيرها . وقد تخرج في جامع الزيتونة بتونس واقام في المانيا . كذلك سألته عن الأزهر وجامع الزيتونة ايهما اقدم وايهما اعظم ؟ فقال : الأزهر أقـــدم

وأعظم ويليه في التقدم وكثرة الطلبة جامع الزيتونة ، فان المتعلمين فيه الآن يبلغون عشرة آلاف مع ان إحصاء تونس لا يزيد على ثلاثة ملايـــين ونصف مليون ، ثم ذكر رده على القاديانية وسأل اسئلة عنها وعن بعض رجالها واهدى الينا كتباً من تأليفه منها : رسائل الاصلاح ، وهي مجموعة مقالاتـــه في الدين والاجتماع والاخلاق في ثلاثة أجزاء و«آداب الحرب في الاسلام» و «خواطر الحياة» وهو ديوان شعره و«طائفة القاديانية» وقد تذكرت برؤيته والحديث معه كثيراً من علماء الهند في الهدوء ورسوخ العلم .

يوم الاثنين ١٣٧٠/٥/١٣ هـ - ١٩٥١/٢/١٩ م

زيارة دار الاثار العربية

بعد صلاة الظهر ذهبنا الى دار الآثار العربية حيث وجدنا الاستاذ حسن عبد الوهاب مفتش الآثار العربية الاول في انتظارنا ، وتكرم فطاف بنا على الآثار العربية يشرح لنا تاريخها ومن أين استخرجت واهميتها والنواحي الفنية فيها فجمعنا بين زيارة الآثار وبين دراسة التاريخ المصري العربي «ولا ينبئك مثل خبير» رأينا آثاراً من الأواني والقطع الخشبية والاسلحة وغير ذلـــك استخرجت من حفائر الفسطاط وظننا انها من مخلفات فاتحي مصر والصحابة فاذا هي كما ذكر لنا الأستاذ حسن لا تتجاوز العهد الفاطمي ، ورأينا آثاراً جميلة للنجارة المصرية ، والقطع الجميلة من الفسيفساء والرخام المطعم والملـــون وأواني الخزف ، والأبواب الخشبية والنحاسية الجميلة وأدوات الزينة والتواليت والمحاريب المتنقلة والنسائج والسجاجيد ولاحظنا ان مصر قد تقدمت وفاقت كثيراً في فن النجارة فرأينا أمثلة بديعة جداً من النقش في الخشب وتزيينه . ومن أبدع ما رأينا المشكاوات التي ربما لا يوجد لها نظير في العالم ، ولا شك ان دار الآثار العربية في مصر من أغنى دور الآثار بالطرف في العالم .

زيارة الاستاذ احمد حسن الزيات

ومن دار الآثار العربية قصدنا دار الرسالة حيث اجتمعنا بالاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وصاحب تاريخ الأدب العربي، وقد كنت استاذ تاريخ الاداب العربية في دار العلوم بلكهنو لمدة سنوات ، وكان هذا الكتاب مقرراً للسنة السادسة فدرست فيه واشتغلت به زماناً واعجبت بأسلوب المؤلف الأدبي واقتداره على اللغة العربية فأصبح الكتاب بذلك يجمع بين التاريخ والادب ولعل الناحية الأدبية تفوق الناحية التاريخية ، وذكرت له هذه الصلة العلمية بيني وبينه ومن الطبيعي ان يسر الانسان إذا رأى غرسه يثمر وظله الأدبي يمتد حتى يتجاوز الى البلاد الاخرى . وتحدث معنا الاستاذ في نشاط وانبساط وسألنا عن الوضع التعليمي في بلاد الهند ومدارسها وطلبتها وعن مستقبل اللغة العربية في هذه البلاد ، وكان يتعجب حيناً بعد حين كيف يستطيع هندي درس اللغة العربية في بلاده أن يتكلم بها بطلاقه ، ويبدي اعجابه وسروره ، وقدم الى كل منا — ونحن أربعة — نسخة من تاريخ الأدب العربي الطبعة الحادية عشرة وثلاثة أجزاء .

يوم الثلاثاء ١٤/٥/١٣٧٠ هـ — ٢٠/٢/١٩٥١ م .

في ضيافة الاستاذ محمد فريد عبد الخالق

ذهبت بعد الظهر الى بيت الاستاذ محمد فريد عبد الخالق مع الاخ يس والشيخ عبيدالله. وجدنا هناك الشيخ محمد الغزالي وعبد الحفيظ الصيفي والاستاذ الدكتور توفيق الشاوي معلم كلية الحقوق وجلسنا نتحدث ، وانتقل الحديث الى التصوف ونشوئه فقلت : لقد كانت الخلافة الاسلامية تمثل ناحيتين : ناحية الادارة والسياسة ، وناحية الاخلاق والروح ، وكانت متكفلة بحفظ هذين الجانبين في حياة المسلمين وازدهارهما ، وكانت مسئولة عنهما في وقت واحد ،

فلما آلت الخلافة الى غير الأكفاء وانفصل الدين عن السياسة اصبحت الخلافة او الامارة بلفظ أصح – لا تمثل ولا تغني ولا تخلص إلا للناحيــة الادارية ، وأصبحت ناحية الروح والاخلاق ضائعة لا يدعو اليها أحد ولا يعنى بهـا فرد او جماعة ، وطغت المدنية وما تجلب من ترف وثراء وتحلل ، فكاد المسلمون يضيعون في هذا السيل الجارف ! فقام رجال وعارضوا هذا التيار ونشروا الدعوة الى الروح والاخلاق وصاروا يربون افراداً في احضانهم وجوهم الهادىء ثم يبعثونهم الى الخارج ليعارضوا هذا الاندفاع ويدعوا الى الله ، وقــد أثرت دعوتهم وجهودهم ولطفت حدة المادية ولولاهم لأصبحت المادية جارفة لامعارض لها ولا مقيد ، قال الاستاذ الشاوي : ولكن أساس التصوف غير اسلامي فهو يقوم على نظام الطبقات الذي يلغيه الاسلام ويعارضه ، فرجال التصوف طبقة ممتازة ووحدة قائمة بنفسها ثم هم فيما بينهم طبقات متميزة بعضها عن بعـــض فهذا شيخ وذاك خليفته ، وهؤلاء مريدون وهذا مخدوم واولئك خدام وعبيد، وقد رأيت في بعض الزوايا والحلقات استعباداً وسخرة ، ثم رأيت في التصوف فلسفة إغريقية وهندية وهذه ليس لها بالاسلام صلة ، قال الشيخ الغزالي وقلت: هذا كله قـــد طرأ على التصوف في العهد الاخير ولم يكن من هذا شيء أيام الحسن البصري ومن في طبقته ، وانتقد الشيخ الغزالي اوضاعـــاً أخرى حدثت في التصوف وتوارثها المتصوفون كالوراثة وخلافة الأبنـــاء والاحفاد للاباء والأجداد .

التصوف علاج مؤقت محدود

واتفقنا بعد ذلك على أن التصوف علاج مؤقت ومحدود إذا رجعت الحياة الاسلامية الى وضعها الصحيح وقامت خلافة إسلامية صحيحة وقامت بوظائفها الادارية والخليفية والروحية ، فلا حاجة الى رد فعل ولا الى اصلاح جزئي . وفي أثناء البحث جاء الاستاذ البهي الخولي أحـــد عقول الاخوان المسلمين وقادتهم فاشترك في هذا البحث العلمي .

طلب إلي الاستاذ عبد الحفيظ الصيفي ان أقابل اللواء صالح حرب باشا لأنه كلمه في شأن محاضرة القيها في جميعة الشبان المسلمين فأحب أن أقابله حتى يحدد الوقت والموضوع، فذهبنا اليه وجلسنا عنده قليلا واستطلع رأيي في مصر قلت: لا أزال في دراستها ومشاهدتها وفيها ما يسر وما يحزن ، قال ان موقعها الجغرافي قد اساء اليها أكثر مما أحسن اليها قلت : مما جنى عليها هذا الأدب التاجر ، قال هو أولى بأن يسمى الادب الفاجر ، وكان عنده محمود توفيق حفناوي وزير التجارة سابقاً وعضو إدارة التموين العالمي .

الشيخ احمد الشرباصي ومحاضرته

وقمنا من عند سعادة اللواء وشاركنا في محاضرة الشيخ أحمد الشرباصي وهو عالم شاب ملء العين والسمع ، وكان الموضوع «تحديد النسل في الاسلام» وكانت محاضرة قيمة تجمع بين حسن الالقاء والخطابة وغزارة المادة. وكلها تمتاز بفصاحة اللغة ونصاعة البيان ، وكان من رأي الشيخ الشرباصي أن الاسلام يسمح بتحديد النسل إذا كانت له دواع موجبة ومبررات ؟ وشرحها ، ولكن لا داعي اليوم الى تحديد النسل في مصر ، إنما نحن في حاجة الى تحديد نسل الكلاب المدللة التي تركب السيارات وتقيم عليها السيدات المآتم إذا ماتت ، وتقيم لها المقابر كذلك وان احوال مصر الاقتصادية والاجتماعية لا تستلزم تحديد النسل .

ورجعنا بعد المحاضرة الى سعادة صالح حرب فتقرر ان تكون المحاضرة يوم الثلاثاء الساعة السابعة مساء واخترت موضوع « العالم على مفترق الطرق »

الأربعاء ١٥/٥/١٣٧٠ هـ - ٢١/٢/١٩٥١ م .

في دار الكتب المصرية

ذهبنا الى دار الكتب المصرية التي تعد كبرى المكتبات وأثراها في العالم

الاسلامي ولا تفوقها في كثرة النوادر ونفائس الكتب والمؤلفات المخطوطة بقلم مؤلفيها إلا مكتبات الآستانة ، وقد رأينا كتباً كثيرة مكتوبة بخط المؤلفين الكبار كالبيهقي والذهبي وابن حجر وابن الشجري والشعراني ، واخبرنا أن المكتبة تحتوي على نصف مليون كتاب وخرجنا منها ونحن نعتقد ان هـذه الزيارة القصيرة لن تكفي ، واذا أردنا الافادة من هذه المكتبة الكبيرة فلا بد لنا ان نتردد اليها مدة طويلة .

اجتماع بالشيخ حسنين محمد مخلوف

صادفنا في دكان أخ من اخوان الجمعية الشرعية فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً . قابلنا الشيخ بدماثه خلق وتواضع ودعانا الى حلوان وعزم علينا ان نزوره ونقضي معه بعض الوقت ، واهدينا اليه بعض المحاضرات والرسائل .

الخميس ١٦/٥/١٣٧٠ هـ - ٢٢/٢/١٩٥١ م

حديث مع الدكتور احمد امين

قابلنا الدكتور احمد امين وتحدثنا في الادب والادباء . سألت عن رأيه في الكتب الاربعة التي عدها ابن خلدون من اصول الادب : الامالي لأبي علي القالي والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة .

رأيه في أصول الادب الاربعة

فقال أما أدب الكاتب فكتاب جاف ، وأما الكامل فليس صاحبه موفقاً في الاختيار ولا يحور في ذلك إلى ذوق بل كما قال صاحب العقد الفريد انه يعمد الى أحط القطع الأدبية مقداراً فيختاره ، وأفضل الأربعة البيان والتبيين. قلت ولكن ينقصه الترتيب فهو مجموعة قطع أدبية مبعثرة ومفككة لانظام فيها ، وقد كان بعض الأدباء في الهند يقول ان البيان والتبيين حماسة النثر . قال الدكتور

وقد ذكر المرزوقي في شرح الحماسة اسمه البيان والتباين وهو أقرب الى القياس لأن البيان والتبيين لا فرق بينهما .

الدكتور يفضل ابا حيان على الجاحظ

ثم قال انا أفضل أبا حيان التوحيدي على الجاحظ ، لأن عصره كان عميقاً قلت : ولكن ميزة الجاحظ كما قلتم في ضحى الاسلام أنه يصور مجتمعه وعصره تصويراً صادقاً . قال وكذلك ابو حيان يمثـــل مجتمعه وبيئته . ثم جرى ذكر مؤلفاته قال الدكتور ومن مؤلفاته « الحج العقلي » قلت وهذا غريب لأن الحج يمتاز في أركان الاسلام الأربعة بأنه يمثل العاطفة والحب قال . نعم ولم أر هذا الكتاب وأريد ان أقرأه واعرف فكرته وغايته .

شروح الحماسة

وتكلمنا عن شروح الحماسة ، ففضل الاستاذ شرح المرزوقي على شرح التبريزي ، لأن التبريزي لا يساعد الطالب في فهم الابيات بـــل يأتي بنكت وتحقيقات لغوية .

الادب الاندلسي

وجرى ذكر الاندلسيين فقلت : لاحظت ان الادب والعلم في الاندلس ليسا في عمق الأدب والعلم في المشرق، وان طابعهما سطحي في المغرب والناحية الأدبية العلمية فوافق الاستاذ على ذلك .

مع الاستاذ سيد قطب

الجمعة ١٧/٥/١٣٧٠ هـ - ٢٣/٢/١٩٥١ م

وركبنا سيارة الحاج حلمي المنياوي وتوجهنا الى حلوان لزيارة الاستاذ سيد قطب .

نقطة التحول في حياة سيد قطب

قلت له : كنت اعرفكم كأديب كبير من مدرسة الاستاذ العقاد وأقرأ لكم في « الرسالة » بحوثكم العلمية ومقالاتكم في النقد الأدبي ، فكيف كان اتجاهكم الى إنتاج هذا الادب الاسلامي القوي ؟ وما هي نقطة التحول في حياتكم الأدبية ؟ قال : لا شك أني تلميذ من تلاميذ الاستاذ العقاد في الأدب والاسلوب الأدبي ، وله علي فضل في العناية بالتفكير أكثر من اللفظ ، وهو الذي صرفني عن تقليد المنفلوطي والرافعي ، ولكن الذي وجهني هذا التوجيه الذي هو اكثر من الادب والنقد والمعاني الشعرية ، هو ان نفسي لم تزل متطلعة الى الروح وما يتصل بها وكنت في صغري مشغوفاً بقراءة اخبار الصالحين وكراماتهم ولم تزل هذه العاطفة تنمو في نفسي مع الايام ، والاستاذ العقاد رجل فكري محض لا ينظر الى مسألة ولا يبحث فيها إلا عن طريق الفكر والعقل ، فذهبت أروي نفسي من مناهل أخرى هي أقرب الى الروح ، ومن ثم عنيت بدراسة اشعار الشرقيين كطاغور وغيره ، وثانياً أني كنت أعتقد ان مثل الاستاذ العقاد في عقله الكبير وشخصيته العظيمة لا يخضع للضرورات والملابسات كالحكومة والسلطة ولكنه سالمها ، ولعل السبب في ذلك انه تقدمت به السن والانسان يعجز في شيبه عن تحمل شيء لا يعجز عنه في شبابه ، وقد مرت عليه أعوام تحمل فيها الشدة وضيق ذات اليد فلعل هذا وذاك كان من أسباب مسالمته للسلطة . قلت كان الاستاذ العقاد يخشى عليه ان يجنح الى الشيوعية كما فعل غيره فكيف جنح الى المعسكر المعارض لها ؟ قال : هذا يرجع الى سببين اولهما اعتقاده ان في الشيوعية ضغطاً عقلياً وكبت الافكار ، وانها لا تسمح لحرية التأليف وابداع الرأي وتنكر القيم الروحية ، والثاني سوء تمثيل بعض دعاتها وانصارها في مصر فذلك الذي حال بينه وبين الشيوعية . قلت : وكيف يهتم بالقيم الروحية وهو كما تفضلت فكري محض ؟ قال هو يعني بهذه القيم الروحية عن طريق الفكر والعقل أيضاً ولا يبيح لأحد ان يحظرها .

مؤلفات سيد قطب

وتناول الحديث كتبه ومؤلفاته مثل « العدالة الاجتماعية » و « التصوير الفني في القرآن » و «مشاهدة القيامة في القرآن» فذكر تاريخ تأليفهاوالاسباب التي دعت اليه وكيف تدرج في الفكر الاسلامي وارتقت دراسته الاسلامية ، وتغدينا معه وصلينا العصر ورجعنا قبل المغرب الى القاهرة .

بين الخيال والواقع

ومن الطريف أني كنت قد رسمت في مخيلتي صورة سيد قطب الخيالية شأني مع كثير من المؤلفين الذين أعنى بهم ولست أدري هل يفعل هـذا غيري أو لا ؟ كنت أتخيله أديباً في العقد الرابع من عمره فارع القامة عريض ما بـين المنكبين قوي البنية . فإذا هو الى القصر أقرب،يظهر انه في العقد الثالث تخرج في دار العلوم ولا يظهر بادىء ذي بـدء انه صاحب هذا الاسلوب القوي في الموضوعات الدينية ، وظهر لي في كلامه أنه واضح التفكير نقي الذهن .

السبت ١٨/٥/١٣٧٠ هـ — ٢٤/٢/١٩٥١ م

كتاب « معركة الاسلام والرأسمالية »

اشتغلت الى الظهر بالكتابة ومطالعة كتاب «معركة الاسلام والرأسمالية » للاستاذ سيد قطب ، واعجبتني قوة الكاتب وصراحته في هذا الكتاب وإيمانه ومن فتوح الاسلام الجديدة انه يسخر لرسالته مثل هـــذا الكاتب الكبير والأديب المثقف .

مع الاستاذ حسين يوسف

واشتغلت بعد الظهر ايضاً بالكتابة والقراءة . وقد وعدنا الاستاذ حسين

يوسف والاستاذ عبد الوهاب بالتشريف في العصر، وقد تأخر قدومهما الى ما بعد المغرب. وجلسا معنا الى الساعة التاسعة ليلا، وتذاكرنا في موضوع التحلل الخلقي في مصر ومقاومته، وحكيا لنا كيف دعا بعض رجال التعليم ووزير المعارف الى ان يحمل الشبان والفتيات شعلة من كل مديرية وإقليم في مصر ويحضروا الى القاهرة وماذا كان يجر هذا السفر ليلا في منتصف الليل من التهتك والفساد؟ ولكن شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم احتجوا على هذا العمل ورفعوا الاحتجاجات وبرقيات الانكار الى الملك ورئيس الوزراء يومئذ وهو النقراشي، فأصدر الملك أمره بتأجيل هذا العمل الى الاستقلال الكلي وكفى الله المؤمنين القتال. وتحدثنا اليهما بما نراه من وجوب التحرز من الوقوع في الشخصيات والبحث في الذاتيات فذكرا عذر الجماعة والصحيفة في ذلك وموجباته ودواعيه وفائدته، وأدلى كل منا بحجته واتفقنا على أنه لا بد من الاحتياط والاقتصار على ما لا بد منه والاعتدال في النقاش والمناظرة العلمية.

الاحد ١٩/٥/٧٠ هـ - ٢٥/٣/٥١ م

زيارة كلية الآداب

ذهبنا بعد الساعة التاسعة إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول في الجيزة وقابلنا الدكتور أحمد أمين، وكان عنده درس في الكلية اليوم فلما انتهى منه أخذنا الى الاستاذ الدكتور زكي محمد حسن عميد الكلية وقدمنا اليه وأبدى له رغبتنا في زيارة الكلية وأقسامها فرحب بنا وقدم الينـــا نسخاً من الكتاب الفضي لكلية الآداب، و « دليل الكلية » وذكر الدكتور أحمد أمين أن هؤلاء الضيوف ينتقدون طراز بناء الكلية الفرعوني، وأصحبنا الدكتور زكي عميد الكلية الاستاذ زكريا ليدور بنا على الكلية وأقسام الجامعة، وزرنا معه مكتبة الجامعة، وطاف بنا مدير المكتبة على مختلف أقسامها ومتاحفها، ثم زرنا قاعة الجامعة الكبرى وهي من أفخم وأعظم القاعات التي رأيناها إلى هذا

الوقت ، وحدثنا الموظفون الذين كانوا معنا أنها في الدرجة الثانية في قاعات جامعات العالم وهي تسع ثلاثة آلاف مقعد ، وأشار الحرس الذين كانوا معنا الى يمين المنصة وهو مجلس فخم أسدل عليه ستار يفتح ويغلق كهربائياً وقال هذا مجلس (مولانا) يريد الملك فاروقاً ، ودخلنا هذا المجلس فرأينا مثالا لقصور الملوك وما تحويه من رياش وزينة وأبهة وصالونات فخمة فرأينا شيئاً قد انقضى دوره في أكثر البلاد والاقطار ، ثم مررنا بمجالس الوزراء وخرجنا من القاعة والقينا نظرة عامة على مباني الجامعة واقسامها من كلية الحقوق وكلية التجارة، وقد لفت نظرنا كثرة الحرس وذلك شيء لم نره في جامعات الهند .

التعليم المختلط في الكليات والجامعات

أما التعليم المختلط فقد أصبح شعار « الجامعات المدنية » ورمز « الثقافة والحرية » بحيث لا يستطيع (المثقفون) أن يسمعوا كلمة نقد في هذا الموضوع أو يروا العدول عنه ، لحوادث كثرت وشاعت لاختـــلاط الجنسين في أخطر أدوار الحياة وسورة الشباب مع فقدان الوازع الديني والرادع الخلقي ووجود الأدب الذي يثير العواطف الجنسية ويزين لقرائه الاسترسال في الشهوات وإرضاء النزوات ، ويستخف بل يهزأ بالمثل الخلقية والتعاليم الدينية ، فكيف يرجى بعد ذلك بطبيعة الحال أن يتوقف الامر على الدراسة والمطالعة ولا يتخطاه الى معرفة ثم محبة ثم وثم ! وأخاف أن تكون هذه المجموعة من ثم آثاماً كثيرة فمن رجا ذلك من المثقفين — الذين يدرسون علم النفس ويحكمون على الاشياء بطبائعها ويربطون المسببات بالاسباب — كان حاله كما وصف الشاعر :

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له   إياك إياك أن تبتل بالمـــاء

كلمتي في مجلس الاخوان

ذهبنا بعد المغرب إلى منزل الدكتور خليل عشماوي حيث اجتمعنا بمجموعة

طيبة من الاخوان المخلصين ، وقابلنا الشيخ محمد الغزالي والشيخ البهي الخولي ، وقد كنت ذهبت لأسمع فإذا بي قد طلب مني أن أتكلم فقلت مـــا حضرني الساعة . قلت لهم إن هذه المحنة التي ابتليت بها دعوة الإخوان أعتقد أنهامنحة لا محنة ، « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » .

مهمة إعداد النفوس وتجريدها من الشهوات

وإن الله قد أخذ بنواصي العاملين الدعاة فردهم الى الدعوة والتربية وحاطهم بسياج الحل ، فينبغي لهم أن ينتهزوا هذه الفرصة لغرس الإيـــان ومبادىء الدعوة في النفوس أولا وتدريبها على الاحكام الشرعية ، ويجردوا أنفسهم من الشهوات والمطامع وحب العلو ويخلصوا كل الاخلاص للدعوة ويتجردوا لهـــا بحيث لا يساور نفوسهم حب العلو وأحلام الحكومة العذاب ، قلت لهم إن الله سبحانه وتعالى قد ذم إرادة العلو ووعد المؤمنين بالعلو فقال : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عـــلوا في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » وقال « وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » فنفهم من مجموع الآيتين أن إرادة العلو مذمومة لا يحبها الله ولكنها منحة وجائزة يجود الله بها على المؤمنين الصادقين والمجاهدين المخلصين ثم لا بد من تنفيذ أوامر الله وأحكام الشرع ، وبمقدار ما يخضع لها وتنقاد وتنشط لها وترتاح يخضع الناس لهذه الاحـــكام ويطيعونها ، وحكيت لهم قصة الرجل الذي جاء راكباً على متن وحش من السباع ففزع الناس واستغربوا فقال لهم لقد خضع لي هذا الوحش لاني خضعت لربي ، قلت: وان لم تكن هذه القصة حجة من الناحية التاريخية فان المغزى فيها صحيح .

مسؤولية الاجيال القادمة

وقلت لا بد أن تشعروا بمسؤلية الدعوة وخطرها وجلالة شأنها ، فليس عليكم مسؤلية الجيل الحاضر بل الاجيال القادمة كذلك ، كالبذرة تحمل قوى

الشجرة كلها ومباديها فإذا كانت البذور ناقصة جاءت الشجرة ناقصة وعلى بذرة الايمان والتقوى والعزيمة في القرن الاول نشأت هذه الامة ودرجت عليه أجيالها وكل ما نرى في هذه الامة من الايمان وقوة الدين يرجع في مبدئه الى الصحابة رضي الله عنهم ويتفرع منه ثم يرجع كل ذلك الى منبعه وهو ايمان الرسول صلى الله عليه وسلم .

كلمة الاستاذ البهي والشيخ الغزالي

وتلاني الاستاذ بهي الخولي وعلق على كلمتي وشرحها وزاد فيها معاني وأمثلة وحكايات مؤثرة ووجه الانظـــار والهمم إلى العناية بالتربية الروحية وتجريد النفس من الاوضار والاوساخ ، وقال ان كل ما يقع من الرجل من التفريط في جنب الله أو القصور في اداء حق من حقوقه يظهر في معاملة أهـــله وخدمه والمتصلين به معه ! وذكر أن بعض الصالحين كان يقول اني لارى التغـــير في أخلاق خدمي ودوابي وكان بعض أبناء الصالحـــين يقول اذا صدر منا شيء يغضب أبانا كان أرفق بنا وكان يرفع كفه الى السماء ويقول يا رب لعلي عصيتك وأغضبتك حتى تنكر لي أبنائي وأغضبوني،الى غير ذلك من الامثلةوالاحوال، وكنت أشعر بنفحة صوفية في كلام الاستاذ البهي ، وذلك لدراسته للتصوف الاسلامي الصحيح وتقديره له ، وأعقبه الشيخ محمد الغزالي فعلق على كلمتي مـع تعديل لكلام الأستاذ البهي الذي نزع في عقيدة الشيخ محمد الغزالي إلى النزعة الصوفية فأراد أن يتوسط بين ما يقتضيه هـــذا العصر من التبسط في المعيشة والتمتع بالمباحات وبين الناحية الخلقية وتربية النفس وتعجب من توارد الخواطر بيني وبينه .

وتعرفنا في هذا المجلس بالشيخ سيد سابق وهو رجـــل صالح فقيه النفس والعلم وقد سماه الشيخ الغزالي بفقه الجماعة ورأيت الناس يثنون عليه .

الاثنين ٢٠/٥/٧٠/ هـ — ٣٩/٢/١ م

مع الاستاذ علي الغاياتي

ذهبنا اليوم قبل الظهر الى الاستاذ علي الغـــاياتي صاحب « منبر الشرق »

فقد حصلت فترة طويلة بعد لقائنا فرحب بنا وأكرم وفادتنا وصادفنا عنده الاستاذ فتحي رضوان من كبار المحامين في مصر ولما اطلع على كتاب « ماذا خسر العالم » الذي كان عند الاستاذ علي الغاياتي – سألني عن رأيي في تعليم البنات الجامعي ومزاولتهن للحرف والوظائف فقلت : اني لا أنظر الى هذه المسألة كمسألة مستقلة وأعتقد أنه لا يصح الحكم فيها في مجتمع منحل وبيئة غير اسلامية لا تطبق فيها الاحكام الاسلامية والحدود الشرعية ، أما اذا كان المجتمع إسلامياً والحياة الدينية سائدة والحدود نافذة والضمائر حية والوعي الخلقي موجوداً ، فلا بأس اذن من التعليم العالي ومعالجة النساء بعض شؤون الحياة بشرط ان يتفق ذلك مع طبيعة الجنس اللطيف وضعفه ووظائفه الجنسية .

وارتضى الرأي ، وطلب الاستاذ الغاياتي صورتي فاعتذرت له كما اعتذرت للأستاذ أسعد حسني ، ووعدته بترجمة حياتي على تواضعها وخلوها من جلائل الاعمال والمآثر ، فرضي بذلك وأبدى حرصه على نشرها .

حديث عن الاخوان ومرشدهم العام

ذهبنا بعد المغرب الى منزل الأستاذ البهي الخولي في القلعة وجلسنا عنده أكثر من ثلاث ساعات تحدث فيها عن الإخوان المسلمين وتنظيمهم ونشاطهم قبل الحل وما أثرت دعوتهم في هذا الشعب الرخو الرقيق وأخلاقه ، وما ظهر من شبانها من قوة وثبات وإيمان وجلادة وصرامة حتى إبراهيم عبد الهادي باشا يقول : لو كان عندي ثمانون شاباً من هؤلاء الشبان الذين تحملوا صنوف العذاب في السجن ثم لم يتزعزعوا ولم يستكينوا لتحديت بهم العالم ، قال الاستاذ البهي: ولولا هذه الدعوة لكانت مصر فريسة هذا التحلل والتفسخ ولانهارت ، ولكن الله تبارك وتعالى تداركها بهذه الدعوة الاسلامية التي أمسكتها ووقفت في طريق اندفاعها ، ثم ذكر التفاف الإخوان حول قائدهم الأستاذ حسن البنا

وانبثاث عروق الجماعة في مصر كلها ، واجتماع القلوب على محبته وطاعته حتى قالت صحيفه مصرية : لو عطس حسن البنا في القاهرة لقال الاخوان في أسوان : يرحمك الله ، والاستاذ البهي كان زميلا للأستاذ البنا ، دخل معه في دار العلوم وظل له زميلا الى العهد الأخير وذكر تاريخ تقدمهاوتطوراتها إلى أن وصلت إلى ماوصلت اليه ، وذكر أمثلة كثيرة من حكمته وفقهه وإخلاصه وتفانيه في الدعوة ، وقد لاحظنا ان الأستاذ البهي رغم كونه قريباً له يحمل له تقديراً عظيماً وحباً عميقاً ، وهو متأثر بشخصيته القوية ومواهبه الفذة ، ولما عرف أن الأخ الشيخ عبيد الله قد اجتمع بالفقيد مراراً في الحجازسر كثيراً وردد مراراً : هل رأيت المرشد يا أخي ؟ هل سمعته يخطب ؟ وهذا يدل على ان الاستاذ رحمه الله قد ملك على أصحابه وزملائه الإعجاب وحل من قلوبهم ونفوسهم محل الزعيم المحبوب والقائد المفدى .

محاضرتي في دار الشبان المسلمين

ذهبنا بعد صلاة المغرب إلى دار الشبان المسلمين والليلة موعد القاء المحاضرة وصادفت على الباب الشيخ محمد الغزالي ثم الشيخ أحمد الشرباصي الأستاذ بمعهد القاهرة ورحب بي في حفاوة وحرارة ، وقال : قد شرعت في مطالعة كتابكم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » وأبدى اعجابه وتأثره بالكتاب والمحاضرات ، وقدم إلي مجموعة من مؤلفاته ورسائله ، وجلسنا نتحدث وجاء عدد طيب من أساتذة الأزهر وكلية الآداب ، ومن الإخوان المسلمين ورجال الهيئات الإسلامية وحضر فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز مدير معاهد الأزهر والأستاذ عبد المتعال الصعيدي أستاذ اللغة العربية والأستاذ عبد المنعم خلاف صاحب كتاب (أؤمن بالإنسان) وشيوخ وأساتذة آخرون وحان وقت المحاضرة فدخلت مع الشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ أحمد الشرباصي .

كلمة الاستاذ احمد الشرباصي

وتقدم الشيخ أحمد الشرباصي فألقى كلمة تعريف لمحاضر الليلة ونوه بالهند ومآثرها العلمية وقال : إن فرحتنا بولادة دولة باكستان أنستنا أن في الهند شعباً كبيراً من المسلمين وله مآثر جليلة وآثار علمية كثيرة ولا تزال الهند منفردة ببعض الآثار الإسلامية ومن الكتب القيمة ما لم يطبع إلا في الهند مثل كشاف اصطلاحات الفنون وقد طبع في الهند كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي قبل أن يطبع في بلد عربي وأشاد بكتاب ماذا خسر العالم .

محاضرتي العالم على مفترق الطرق

وتقدمت والقيت كلمتي في موضوع « العالم على مفترق الطرق »

التاريخ البشري في امتداده وانعطافه كالنيل

وخلاصتها : أن التاريخ البشري في امتداده وانعطافه يمكن أن يشبه بالنيل يجري طويلاً على خط واحد ثم ينعطف ويتحول ، كذلك التاريخ ينقسم بين قسمين (١) دور الاستمرار (٢) ودور التحول ، فالإستمرار أن يتجه التاريخ اتجاهاً واحداً ويجري في مجرى واحد وقد يستمر هذا الاتجاه مئات من السنين أو آلاف من السنين ولا تنافيه التغيرات في الحكومة اذا كانت فلسفة الحياة واحدة وأساس الحضارة واحداً ونظرية الحياة واحدة .

من عهد الاغريق الى عهد البازنطيين

وقد كان ذلك من عهد الإغريق إلى عهد البازنطيين فقد كان الاعتماد في تصميم الحياة على الحواس والقياس والأهواء ، وقد تم إفلاس هذه الحياة وانكشف فشلها في القرن السادس المسيحي وكانت البعثة المحمدية نقطة التحول

للعالم ، فاتجه العالم من الاعتماد على الحواس والقيـــاس والأهواء إلى الاعتماد على لوحي السماوي والتشريع الإلهي .

من البعثة المحمدية الى القيادة الاوربية

واستمر هذا الاتجاه قروناً وبقي هذا النهر البشري يجري في مجرى واحد إلا أنه يختلف في الاتساع والضيق والقوة والضعف ، واعـــترض هذا النهر صخرتان كادتا تحولان اتجاه هذا التيار ، الأولى الحروب الصليبية في القرن الهجري ولكن العالم الاسلامي تحت قيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي استطاع أن يدحر هذه الصخرة ويتغلب على هذه الصخرة ويتغلب على هذا الخطر ، والثانية غزو التتار وقد تحطم فيه العـــالم الاسلامي ولكن لم تتحطم فيه قوته المعنوية وروحه ، وقد انتصرت الدعوة الاسلامية على التتار وأسلموا جميعـــاً ولكن بعد ذلك حدث ما حول هذا الاتجاه تحويلاً كلياً وغير مجرى التاريخ وهـــو الهجوم الغربي على العالم الاسلامي واستيلائه عليه بفلسفته وحكمته وتجاربه واكتشافاته وبقي العالم العربي يبرز ما عنده ويطبق ما يدين به نحو قرنين ، وهذان القرنان يساويان آلافاً من السنين لأن أوربا وصلت إلى غايتها في مدة أقل من مدة الأمم السابقة لسرعة آلاتهـــا وقوتها وقد نثرت في هذه المدة كنانتها وأفرغت جعبتها .

إفلاس القوات الاوربية

وظهر إفلاسها وفشلها في قيادة الإنسانية وزعامة العـــالم البشري ، وأن المعسكرين الرأسمالي والشيوعي متحدان في أساس الحياة ونظريتها وفلسفتها وليست قوة الشيوعية إلا لمحاربة الرأسمالية وسوء تصرفهـــا ، فإذا انهارت الرأسمالية انهارت الشيوعية ، وبدأت الانسانية تيأس من الشيوعية ، ولا يبقى إذن إلا الدعوة الإسلامية والنظام الاسلامي .

العالم على مفترق الطرق

وقد نضجت أوربا بمعسكريها : - كالثمرة الناضجة وحان قطافها والعالم واقف على مفترق الطرق وهذا دور القيادة الاسلامية . فاذا تقدم المسلمون وتسلموا قيادة العالم الحائر فذاك وإلا اتجه العالم اتجاهاً آخر ، واستمر هذا الاتجاه قروناً وآلافاً من السنين وبقي الاسلام منعزلاً .

رأيي في المحاضرة

وكان الموضوع علمياً تاريخياً وكان الأولى بي أن أكتب المحاضرة وأقرأها ولكني أردت ان أرتجلها وظننت أن هذا ينافي تقاليد المحاضرات في هذه البلاد فاذا هم ينتظرون أني كنت قد كتبتها وأعترف هنا ان الكلمه لم ترضني وشعرت أني لم استطع أن أعبر عما في ضميري ولم أوف حق هذا الموضوع الجليل ، ولكن رد فعل السامعين كان غير ذلك فقابل المستمعون الكلمة بنشاط ورغبة .

تعليقات الخطباء

وعلق عليها الاستاذ الشرباصي ثم الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ثم الشيخ محمد الغزالي ثم الاستاذ عبد المنعم خلاف ، وانفضت الجلسة فأحاط بي الضيوف ورجال الجمعيات يشكرون ويهنئون ويصافحون وأنا أشعر أنهم يهنئون غيري لأني لا أستحق اليوم هذا الإكرام .

الأربعاء ٧٠/٥/٢٢ هـ - ٥١/٢/٢٨ م

حديث مع عبد الكريم الخطابي

في آخر النهار ذهبنا إلى الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف في حدائق

القبة ، وكنت متطلعاً إلى زيارته لأني كنت أقرأ وأسمع أخبار جهاده مع اسبانيا وفرنسا وأنا في الثانية أو الثالثة عشرة من عمري ثم سمعت من صديقي وزميلي في التدريس الاستاذ محمد العربي المراكشي شيئاً كثيراً من أساليبه الحربية وشجاعته وثباته وكتب الأمير شكيب أرسلان مرة إلى صديقي الكريم الاستاذ مسعود الندوي كتاباً خاصاً ينوه فيه ببطولة الأمير وعصاميته ويقول إنه أعظم شخصية الآن في العالم الاسلامي ، كل ذلك جعلني حريصاً على الاجتماع به وسماع أخباره منه من غير واسطة ، وصلنا الى منزله الذي يحرسه الحرس المصري وأخبر الأمير بقدومنا فدعانا فدخلنا ورحب بنا وعرفناه بأسمائنا ووطنيتنا وجلسنا نتحدث ورأيته مطلعاً على أخبار العالم الاسلامي وملماً بجغرافية الهند وقد اتصل بكثير من الهنود المسلمين في منفاه ريذيون Re. Union في بحر الهند وقد مكث فيه عشرين سنة .

معلومات عن جهاده

قلت لسموه على كم مساحة استوليتم في جهادكم فقال مساحة ما استولينا عليه أولاً خمسون في خمسين كيلو ثم اتسعت الرقعة جداً ، قلت وهل أخذتم تطوان قال تهيأنا للهجوم عليها ولكن وقع التسليم قبل ذلك ، قلت وكم جندياً كان يقاتل تحت رايتكم ؟ قال بدأنا الجهاد بأربعة آلاف جندي ثم أصبحوا في الأخير أربعين الف جندي ، قلت وكم كان جيش الاسبان ؟ قال كان في الأول مائة الف ثم انتهى في الأخير الى اربعمائة الف وكانت الجبهة التي نقاتل فيها نحو ستمائة كيلو فكنا نحتاج إلى الدفاع والهجوم في هذه المساحة الواسعة جداً ولم تكن الفتن الداخلية والحروب الأهلية التي أثارها العدو علينا أقل من الجهاد مع العدو ، وبدأت الحرب سنة ١٩١٠ واستمرت مع الاسبان أربع سنين وتدخلت فرنسا سنة ١٩٢٤ ووقع التسليم ١٩٢٦ لنفاد الذخائر وانقطاع الميرة واشتداد البرد وطول الحصار ، قال وقد غنمنا في بعض المواقف ذخائر حربية كبيرة

فقد غنمنا في موقف أربع مائة مدفع ، وكنا قد نفذنا أحكام الشرع والحدود فقطعت اليد في المرة الأولى ثم انقطعت السرقات واستتب الامن ، وهل كان المجاهدون يهدفون شيئاً آخر غير الجهاد الاسلامي وإعلاء كلمة الله وهل كانوا يعرفون الوطنية والقومية ؟ قال كان الغالب منهم لا يعرف إلا الجهاد الديني ولولا هذا لما نجحنا هذا النجاح ولما كان هذا النفوذ والتأثير في النفوس ، قلت وهل يصح ما سمعنا أن سموكم كان ضابطاً في الجيش الاسباني فحدث ما اثار حميتكم الدينية وغيرتكم العربية فكان نتيجة هذه الأنفة والثورة النفسية هذا الجهاد العظيم ؟ قال لم أكن ضابطاً في جيش إسبانيا ولم يحصل شيء من هذا . وكيف تعلمتم الفنون الحربية واستطعتم تدريب الجيش ومقاومة جيش عصري قوي ؟ قال : أما الفن الحربي فقد تعلمناه بالتجربة والمطالعة فنحن دائماً في جهاد وحرب مع الاسبانيين ، واما الاستراتيجي فهو موهبة لا كسب ولا دراسة ؟ قلت : وهل هناك أمل في استقلال الريف والمغرب الأقصى ؟ قال : لا بد من الاستقلال ولكن عقلية فرنسا عقلية ضيقة وعقلية الانجليز أوسع منها وأكثر مرونة . وطلب مني الأمير أن أكرر الزيارة فيزودني بمعلومات كافية .

وشكرت سموه ورجعنا إلى المدينة وذهبنا إلى مركز جمعيات الشبان المسلمين وكنا على موعد بيننا وبين فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي وبقينا أكثر من نصف ساعة ولم نتشرف به .

الخميس ٢٢/٥/٧٠هـ – ١/٢/٥١ م

ذهبت اليوم الى مطبعة السنة المحمدية لأرى ورق الغلاف وأتأكد من حسن طباعة « المد والجزر في تاريخ الاسلام » ولما رجعت قبل الظهر بقليل علمت أن الشيخ احمد الشرباصي كان جاء الينا واعتذر أنه كان في جمعية الشبان المسلمين ينتظرنا ولم يخبره أحد بقدومنا وكانت معه جماعة من أهل العلم يتكلمون في كتابي ماذا خسر العالم ؟ وينتظرونني ، وتأسفت جداً على عدم الاجتماع به

ونحن في مكان واحد ، ووجدت بطاقة زيارة سعادة اللواء محمد صالح حرب كذلك فتأسفت على عدم وجودي في المحل وقد جاء ليشرفنا وهو مريض يصعب عليه الطلوع والنزول وسنتشرف به رداً لزيارته

محاضرتي في دار الأرقم

كان الليلة موعد إلقاء المحاضرة في دار الأرقم مركز شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فذهبنا اليها وصلينا العشاء وقدمني الاستاذ حسين يوسف وافتتحت الكلام وذكرت الادوار الخمسة التي مرت بالدعوة الاسلامية في الهند .

ادوار الدعوة الاسلامية الخمسة في الهند

الدور الأول هو دور المجدد الديني الكبير الشيخ أحمد السرهندي (م١٠٢٤)م فإنه رأى أن الهند التي تحكمها أسرة اسلامية اندفعت اندفاعاً قوياً إلى الحضارة الهندوسية بل الوثنية الهندية والتحلل من ربقة الاسلام وذلك بميول ملكها الأمي السلطان جلال الدين أكبر الذي نزع إلى تقليد الكفار وإرضائهم ومزج الديانات بعضها ببعض وكان قد ظهر له تجديده واجتهاده فخلط العقائد والطقوس والعبادات وخرج منها بمزيج غريب وطارد الشريعة الاسلامية بكل قوته ، فكادت الهند تصبغ صبغة وثنية بتأثير ملكها الكبير ومن حوله من البلغاء والعلماء ، ورأى الشيخ أحمد أنه لا يستطيع أن يحدث انقلاباً عسكرياً أو يؤسس حكومة اسلامية لان الحكومة المغولية كانت شابة قوية لم يصبها شيء من الوهن والهرم ، فاختار طريقاً آخر وهو التأثير في بلاط الملك ورجال الحكومة فاتصل بهم اتصالا روحياً وعلمياً وبقي في سرهند يراسلهم ويملي عليهم آراءه ورغباته حتى خضع له هذا المحيط روحياً وأثرت شخصيته القوية واخلاصه الباهر وزهده في ما عندهم وتألمه من غربة الاسلام في دياره فاهتزوا لرسائله المؤثرة وانقادوا لإشاراته فتغير اتجاه الدولة وانقلب التيار وكان كل يوم في تاريخ هذه

الدولة خيراً للاسلام من اليوم الذي سبق حتى جاء على عرش الدولة التيمورية بتأثير ابناء الشيخ أحمد وأحفاده وتربيتهم – الملك الصالح الفقيه العادل السلطان اورنك زيب عالمكير الذي أبطل المكوس الجائرة عن المسلمين ووضع الجرية ونكس شعائر الكفر ورفع منار الاسلام وأمر بتـدوين الفتاوي الهندية التي كانت دستوراً للحكومة ، وما ذلك إلا غرس غرسه الشيخ أحمد وأولاده .

والدور الثاني هو دور حكيم الاسلام الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (١١٧٦ هـ) الذي عني في عصره بنشر العلم الصحيح ومحاربة البدع والخرافات وتمهيد العقول والمجتمع للانقلاب الاسلامي الصالح وعرض نظام الاسلام السياسي والاجتماعي والخلقي في كتبه فكان نتيجة ذلك أن وجدت جماعة تفهم الاسلام فهماً صحيحاً وتلتهب غيرة على الاسلام واستنكاراً للمجتمع الفاسد وتحاول تطبيق الاحكام الاسلامية على المجتمع والحياة .

والدور الثالث هو دور تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوي بن الشيخ ولي الله وفي مقدمتهم وعلى رأسهم السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد والشيخ المجاهد اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي ، نظموا جماعة كبـــيرة وأحسنوا تربيتها الدينية والحربية وهاجروا إلى حدود الهند الشمالية ليقدموا منهـــا – هازمين سكه (السيخ) الذين احتلوا بنجاب وأذاقوا المسلمين سوء العذاب – إلى الهند لإجلاء الانجليز ، وتأسيس الدولة الاسلامية على منهاج الكتاب والسنة وقد هزموا سكه في معارك كثيرة وأسسوا دولة إسلامية شرعية في الحدود تشتمل على بشاور وما جاورها ونفذوا الحدود الشرعية وطبقوا النظام الاسلامي المالي والاداري تطبيقاً دقيقاً ولكن ثار عليهم الافغان لمصادمة هذا النظام لمآربهم الشخصية وعقائدهم وعاداتهم الجاهلية فقلبوا هـذا النظام ثم اصطدم المجاهدون بجيش سكه في وادي بالاكوت فاستشهد الامام السيد أحمد وصاحبه الشيخ اسماعيل

وكبار أصحابها عام ١٢٤٦ هـ ولجأ الفل إلى الجبال ، ولم يزل هؤلاء وأصحابهم في الهند قائمين على الحق باذلين في ذلك النفس والنفيس . فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

والدور الرابع دور تلاميذ هذه الجماعة وأصحابها . رأوا أن الانجليز قد استولوا على الهند ورسخت أقدامهم واستقرت دولتهم وأصابت المسلمين دهشة الفتح وهيبة الاحتلال واستولى على نفوسهم اليأس بفشل الثورة التي قاموا بها سنة ١٨٥٧ م فلم يجدوا سبيلاً للاحتفاظ بالحياة الاسلامية وتربية المسلمين التربية الدينية والخلقية واعادة الثقة إلى قلوبهم بمستقبلهم ومكافحة تيار الغرب المدني والثقافي الذي كاد يجرف بالشعائر الدينية والبقية الباقية من حضارة المسلمين وثقافتهم لم يجدوا سبيلاً لكل هذا إلا إنشاء المدارس الدينية التي تكون معاقل الاسلام وحصون الشريعة والعلوم الدينية فأسسوا مدرسة ديو بند ومظاهر العلوم ودار العلوم التابعة لندوة العلماء .

والدور الخامس هو دور تلاميذهم وأصحابهم ، وعلى رأسهم الشيخ محمد الياس بن الشيخ إسماعيل الكاندهلوى (م ١٣٦٣ هـ) فقد رأى ما أصاب المسلمين من التحلل والافلاس في الإيمان والروح والشعور الديني في هذه المدة وما أثرت فيهم الحكومة الانجليزية والحضارة الغربية « التعليم المدني » وغفلة الدعاة والاشتغال بالحياة والانهماك بالمادة وأصبحت المدارس والأوساط الدينية كجزر في بحر محيط وأصبحت تتأثر بمحيطها الثائر على الدين ولا تؤثر لضعفها وعزلتها عن الحياة فرأى أن التعليم وحده لا يكفي والاعتزال والانزواء لا يصح ولا بد من الاتصال بطبقات الشعب ولا بد من التقدم اليها من غير انتظار لأنها لا تشعر بمرضها وفقرها في الدين ويبدأ بغرس الايمان في القلوب ومبادىء الاسلام ثم الأركان والعلم والذكر مع مراعاة الآداب التي تقوي هذه الدعوة وتحفظها من الفتن ومنها إكرام كل مسلم ومنها عدم الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي وترك كل ما لا يعني ودعا الى هذا النظام بكل قوته ونفوذه ودعا الى الخروج في سبيلها

وبثها في القرى والمدن وبدأت دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً وأبعدها عن المدن وأكثرها جهالة وضلالة وهي منطقة (ميوات) في جنوب دلهي عاصمة الهند .

دعا الناس فيها الى الانقطاععن أشغالهموالخروج من أوطانهم المدة المحدودة قد تكون شهراً وقد تكون أكثر من ذلك وعرف أنهم لا يتعلمون الدين ولا يتغيرون في الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط الفاسد الذي يعيشون فيه وقد قبل دعوته مئات وألوف في هذه المنطقةوخرجوا لشهور وقطعوا مسافات بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها ركاباً ومشاة وتغيرت أخلاقهم وتحسنت أحوالهم واشتعلت عواطفهم الدينية وانتشرت الدعوة في الهند منغير نفقات باهظة ومساعدات ماليةونظم إدارية بطريقةبسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الاسلام وتذكر بالدعاة المخلصين والمجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون – في سبيل الدعوة والجهاد – متاعهم وزادهم وينفقون على أنفسهم ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين .

وبعد ذلك وجهت الجماعة الىاختيار هذه الطريقة والقيام بتجربتهاوأبديت رغبتي في مصاحبتهم الى بعض المديريات او مركز من مراكزهم لتجرب هذا النظام فرحب الاستاذ حسين يوسف بهذه الفكرة ووعد أنه سيتفق مع بعض فروعه على هذه الجولة الدينية ويخبرنا بالموعد وخطب بعدي الأستاذ علي عدلي المرشدي رئيس فرع جماعة انصار السنة المحمدية بالسيدة زينب وعلق على محاضرتي ووجه الأنظار الى بعض النقط المهمة في خطبتي .

الجمعة ١٣٧٠/٥/٢٤ هـ – ١٩٥١/٣/٢ م .

طلعت الصحف اليوم بأخبار مراكش المؤسفة المحزنةلكل مسلم فقدطاردت فرنسا الحزب الوطني المراكشي وطوقت قصر السلطان وسجنت آلافاً من

المراكشيين وكانت حوادث مراكش الدامية حديث الناس اليوم .

رحلة الى بنها

كنا اتفقنا على زيارة بنها والرحلةاليها مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي وتوجهنا الى محطة القاهرة وهذه زيارتي الأولى للمحطة ورحلتي الاولى على القطار في مصر واعترف بأني كنت أشعر بشيء من الحنين الى القطار والسفر عليه فقد نشأنا في بلادنا بين صفير القطار وزحام المحطات ولعلي بدأت بالأسفار على القطار وانا رضيع محمول فلما وصلت المحطة وركبت القطار شعرت بنشاط ونفحة من نفحات الصبا (بالكسر) .

مشاهدة الريف المصري

وتحرك القطار ونحن نتفرج على أرياف مصر التي سمعنا عنها كثيراً ، ورأيت المصريين يحرثون الأرض وقد اعتدنا في بلادنا أن لا نرى إلا الفلاحين الوثنيين فالفلاحون المسلمون نادرون في مقاطعتنا ، وفي ساعة واحدة وصلنا الى بنها .

كلمتي في الجامع

ثم ذهبنا الى الجامع حيث صلينا الجمعة وخطب الشيخ محمد الغزالي وكان موضوع الخطبة قوة الشخصية التي يجب أن يعتني بها المسلم ويحافظ عليها ، وقد جمعت الخطبة بين التوجيه الديني وعلم النفس ، وبعد صلاة الجمعة أعلن بكلمتي فقمت وقلت :

بين الناحية البشرية العامة والناحية الايمانية الخاصة

ان المسلمين يجمعون بين ناحيتين الناحية البشرية العامة التي يشاركهم فيها الأمم البشرية كلها وكل إنسان مسلماً كان او غيره ومن لوازم هذه الناحية

ومقتضياتها ان يأكلوا ويشربوا ويتكسبوا ويتجروا ويزرعوا ويتوظفوا الى غير ذلك من لوازم الحياة الانسانية والمدنية ، والناحية الاخرى هي الناحية الايمانية وحملهم لرسالة خاصة وإيمانهم بعقيدة خاصة وتلك ما يمتازون بها عن غيرهم من الأمم وهي من خصائصهم وفيها سر قوتهم وانتصارهم ووقارهم عند الله ولم يبعث الرسل ولم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لشرح الناحية الأولى وإبرازها وتبليغها وإنما بعثوا جميعاً لشرح الناحية الثانية ، وإبرازها وتبليغها فليكن اهتمام المسلمين بها أكثر وأظهر .

جناية المسلمين على أنفسهم

وكان من جناية المسلمين على أنفسهم انهم قطعوا صلتهم عن الناحية الثانية وبقوا مرتبطين بالأولى يمثلونها ويعتنون بها فسقطوا من أعين الناس وسقطت قيمتهم عند الله ثم ضربت لهم مثلا بموظفي الحكومة قد يكون رجلا حقيراً يتقاضى راتباً زهيداً ولكنه ينتسب الى الحكومة ويلبس بذلتها الرسمية ويحمل شعارها ، فاذا أهانه أحد او ضربه او اعتدى عليه قامت الحكومة تدافع عنه وعن كرامته وتعد هذا الاعتداء الشخصي اعتداءاً على كرامتها ولا يتمتع أكبر الأغنياء واكبر التجار بهذه الكرامة ولا تغضب له الحكومة اذا أهين او اعتدي عليه وهكذا كان المسلمون في الزمن الأول يمثلون الحكومة الألهية وينتسبون الى دين الله ويعدون من رجاله فاذا اهين مسلم في بقعة من الأرض واذا تعرض أحد للامة الاسلامية بإهانة او اعتداء نزل غضب الله وانتقم منه انتقاماً شديداً وها نحن الآن هدف كل إهانة وعرضه للاعتداء ولحم على وضم ، هذه مراكش الاسلامية تضرب بالقنابل ويهان أهلها المسلمون ويدوس المستعمرون كرامتها ، ثم لا يحرك ذلك ساكناً ولا يثير انتقاماً. ولإصلاح هذا الوضع المخزي يجب أن نرجع الى الناحية الخاصة بنا المشرقة لنا الحارسة لكرامتنا ، وهي الناحية الإيمانية وناحية الروح والعقيدة والرسالة فنستعيد مجدنا ونسترد قوتنا وشبابنا .

السبت ٢٥/٥/١٣٧٠ هـ - ٣/٣/١٩٥١ م .

حديثي الى شباب الاخوان الازهريين

بقيت اليوم في المحل واشتغلت بالكتابة والتحرير ، وجاءنا بعد المغرب الأخ محمد الدمرداشي وأخذنا معه الى منزله بشبرا حيث كان قد تقرر ان نجتمع بالاخوان ونبيت عندهم هذه الليلة ووصلنا فوجدنا مجموعة طيبة من طلبة الأزهر وأكثرهم طلبة كلية أصول الدين .

الاحتفاظ بالامانة الدينية

وكان حديثي الليلة عن الأمانه الدينية التي خلفها النبي صلى الله عليه وسلم والجيل الاول من المسلمين وما ينتظر من العالم الديني ان يضطلع بها وهي تستلزم الاحتفاظ بالعقيدة الاسلامية الأولى والشريعة الاسلامية فيحرص على المحافظة على سلامتها وينفي عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ومنها الاحتفاظ بأركان الدين وفرائضه وواجباته فيحافظ عليها روحاً وشكلا ونظاماً ولا يتهاون بها أبداً وبمقدار محافظته على هذه الأركان وشكلها وروحها يهتم بها العوام فاذا أغفلها أو تساهل العالم فلا أمل فيها للعوام . ثم الاحتفاظ بروح الدين والكيفيات القلبية من إخلاص واعتماد على الله وإنابة اليه وابتهال في الدعاء وتلذذ بالذكر والخشوع في الصلاة وذلك أيضاً جزء مهم من أجزاء هذا الدين وإرث نبوي مما امتاز به الجيل الأول والصحابة رضي الله عنهم وكان ذلك سبباً من أسباب انتصارهم على العدو فقد سأل هرقل رجلا كان قد أسر مع المسلمين فقال أخبرني عن هؤلاء القوم ؟ فقال : أخبرك كأنك تنظر اليهم ، هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه فقال : لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين وقال آخر : أما الليل فرهبان وأما

النهار ففرسان لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما عـــلا من أصواتهم بالقرآن والذكر ، ومن واجبات العلماء ورجال النهضة الاسلامية ان يحرصوا على اتباع السنة وإحياء السنن الميتة وترويجها وأن يستلهموا السنة وليكن هدف جهادهم وجهدهم وحركتهم ودعوتهم إقامة الفرائض وإقامة الدين وأركانه وقد جعل الله ذلك ميزاناً وآية لإخلاصهم وقبولهم فقال : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » وبتنا الليلة مع الإخوان وفاءاً بالوعد السابق ونزولا عند رغبتهم .

الأحد ٢٩/٥/٧٠ هـ – ٤/٣/٥١ م

ذهبنا في الساعة التاسعة والنصف إلى مركز جمعيات الشبان المسلمين وقابلنا سعادة اللواء محمـــد صالح حرب الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين فذكر أن محاضرة (العالم على مفترق الطرق) أحدثت دوياً في الأوساط العلمية وتحدث بها الناس .

حديث للواء محمد صالح حرب

ثم تحدث الينا بحديث ينبىء عن إيمـــانه وسلامة فكره وبعد نظره وقوة عاطفته الاسلامية ، وكان ظني به أنه قائد حربي ووجيه من وجهـــاء مصر ولكني وجدت عنده دراسة طيبة وفهماً لبعض الحقائق التي قد تلتوي على العلماء وخطبه مؤثرة ، واعتذر عن تقصيره وتقصير جمعية الشبان المسلمين في الاتصال بالأقطار الاسلامية والتعرف بهـــا وخدمة قضاياها الاسلامية ، وقال : لقد أصبحت قضية اتحاد وادي النيل الشغل الشاغل لنا وقد شغلنا الانجليز بها .

اهمية مصر والشرق الاوسط

ثم شرح لنا أهمية مصر والشرق الأوسط السياسية والإستراتيجية وثروتها الزراعية والغذائية وامكانياتها الصناعية وكثرة الأيدي العاملة وغناها في الحديد

لأجل معدنه العظيم الذي اكتشف في أسوان ويعد من أعظم المناجم في العالم وذكر اهتمام الإنجليز بمصر وفصلهـــا عن أسوان قال : وليس السبب في اهتمام الإنجليز بالشرق الأوسط ومصر هو أهمية قنال السويس كما يظن أكثر الناس بل له سببان حقيقيان أولهما رغبة الاتحاديين في جعل الشرق الأوسط قاعدة الهجوم على الجبهة الروسية إن وقعت حرب حتى يتفادوا خسائر الحرب وفظائعها في أوربا ثانيهما لما نفضوا أيديهم من الهند وانتهت امبراطوريتهم في الشرق أرادوا أن يعوضوا هذه الخسائر باقامة امبراطورية في افريقيا وكان السودان ومـــا جاوره من البلاد خير قاعدة لهذه الامبراطورية لأنه غني جداً في معادنه وثروته الحيوانية والجنود المقاتلة ولا يزال على الفطرة والسذاجة فيأمنون على الاستعمار لمدة طويلة وهو مرتع خصيب لنشر الحضارة الأوربية والديانة المسيحية وأن مصر إذا اتحدت مـــع السودان حراب مسددة إلى صدر هذه الامبراطورية الافريقية .

اهمية القوة المعنوية

ثم تحدثنا عن القوة المعنوية للمسلمين فاستشهد بمحاضرة القائد كاظم قره‌جي من كبار قادة الحرب في تركيا الذي سمعها الباشا وهو طالب في مدرسة أركان الحرب في استنبول قال : لقد كانت تركيا تعاني المشاكل الداخلية والخارجية والتي لا تتحملها ولا تعيش معها أكبر دولة وكان لا يهدأ لها خاطر ، الدول الأوربية كلها حرب عليها ولكن مع ذلك استطاعت أن تقاوم هذه الدول كلها وتحافظ على حياتها وشرفها والفضل في ذلك يرجع إلى الجيش ولم يكن الجيش التركي من أقوى الجيوش واحسنها تدريباً وتسليحاً وإنما يرجع ذلك إلى القوة المعنوية والروح التي كان الجيش التركي يمتاز بها . قال كاظم قره‌جي فمن أراد أن يقتل هذه الروح ويقضي على هذه القوة المعنوية فهو عدو تركيا إلى آخر ما قال في هذا المعنى .

أعظم امراض الشعب في نظر الباشا

قال الباشا ومن أعظم امراض الشعب المصري ونحن المسلمين الذي قعد بنا عن كل مكرمة وبطولة وعن الدفاع والتقدم هو الترف والبذخ الذي نحن فيه وأرجو أن تختاروه وتكتبوا فيه مقالات .

وقدم الينا سعادة الباشا كل خدمة ومساعدة تقدر عليها جمعية الشبان المسلمين فسألنا تحديد موعد واسـع للحديث في هذا الموضوع فحدد الساعة التاسعة والنصف يوم الأربعاء ووعدنا بأنه سيضع له برنامجاً ونتكلم فيه .

محاضرة في دراسة علم الحديث في الهند

كانت الليلة محاضرة لي في الرابطة الاسلامية موضوعها دراسة علم الحديث في الهند ولم يكن عدد المستمعين كبيراً ولكن كان فيه بعض رجال العلم وعلماء الازهر مثل الشيخ أحمد الشرباصي والشيخ محمود حسن ربيع والشيخ عبدالمنعم النمر والشيخ محمد صبري عابدين المراقب العام للشؤون الدينية بالمجلس الاسلامي الأعلى لفلسطين ومدير مكتب جمعية علماء فلسطين المركزية ، وقدمني الرئيس الأستـاذ محمد شاهين حمزة إلى الحاضرين ، وافتتحت الكلام فذكرت احوال دراسة الحديث وكبار رجاله وأعمالهم وآثارهم الخالدة ، وذكرت أول من جاء بالحديث في هذه البلاد ونشره ، ونوهت بمساهمة مصر في ذلك وقدوم بعض علمائها المحدثين في القرن العاشر الهجري وذكرت علماء كجرات كالشيخ محمد طاهر الفتني وأشدت بكتابة المعظم مجمع البحار، وذكرت العلامة الكبير الشيخ عبد الحق البخاري الدهلوي وفضله في نشر علم الحديث في مركز الهند وجهود أبنائه وأحفاده حتى تعديت إلى القرن الثاني عشر فذكرت حامل لواء السنة في بلاد الهند حكيم الإسلام الشيخ ولي الله الدهلوي الذي أقام دولة الحديث مع ابنائه وخلفائهم وتلاميذهم الذين شمروا عن ساق الجد لنشر هذا العلم الشريف

تدريساً وتأليفاً ، وذكرت خصائص الشيخ ولي الله في فهم الحديث وشرحه وما تفرد به وما سبق اليه من عرض الفقـه على الحديث والتطبيق بينهما وترجيح الحديث الصحيح الثابت على مذهب الامام والتوسط بـــين الجامدين على الفقه والجاحدين له والفهم الدقيق في بيان أسباب الاختلاف وتعيين الطبقات للمحدثين والفقهاء وبيان أسرار الدين وحكمه وأصول التشريع الإسلامي ، ثم ذكرت مسند الحديث المظيم الذي انتهت اليه رياسة الحديث في الهند وهو الشيخ محمد إسحق وتلاميذه الكبار كالشيخ عبد الغني المهاجر إلى المدينة المنورة ثم تلاميذه وتلاميذ تلاميذه من الشيخ الجليل مولانا رشيد احمـــد الكنكوهي إلى مولانا محمود حسن الديو بندي ومولانا خليل احمد السهارنفوري إلى تلاميذهما كالشيخ أنور شاه الكشميري ومولانا شبير أحمد ومولانا حسين أحمد ومركزهم مدرسة ديو بند ومولانا محمد زكريا الكندهلوي وذكرت تلاميذ الشيخ إسحق الآخرين مثل الشيخ وجيه الدين وتلميذه الشيخ أحمد علي محشي البخاري وذكرت خدمته للحديث والقاريء عبد الرحمن الباني بتي وعـالم علي المرادابادي وتلميذه السيد حسن شاه الرامبوري ، ثم ذكرت المدرس الكبير الشيخ نذير حسين الدهلوي واتسـاع حلقته وطول قيـــامه لخدمة الحديث وتخريج الطلبة ، وذكرت منهم الشيخ شمس الحق الديانوي صاحب غاية المقصود والشيخ عبد المنان الضرير الوزير أبادي والحافظ عبدالله الغازي بوري والشيخ عبد الرحمن المباركبوري ، وذكرت السلسلة اليمنية التي جاء بها الشيخ حسين بن محسن الانصاري اليماني وذكرت الأمير السيد صديق حسن خان وخدماته ثم ذكرت مزايا تدريس الحديث في الهند وصفات علماء الحديث والمشتغلين به من التشبع بروح الحديث والانصاف بالهدي النبوي والعمل بالسنن والحرص على اقتفاء آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والاجتهاد في اتبـــاع الحديث في العادات والمعاشرة والشعائر وصورت لهم درس الحديث في مدارس الهند الكبيرة .

وكان جل اعتمادي في هذه الحديث في المعلومات التاريخية وطبقات الرجال

على كتاب سيدي الوالد عليه رحمة الله ومعارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف ، ولولا هذا الكتاب القيم الذي يساوي مكتبة واسعة لم أستطع أن ألقي في هذا الموضوع حديثاً دسماً بالمعلومات ، فجزاه الله عنا خيراً ورفع درجاته .

تنويه بخدمة الهند للحديث

وعلق على حديثي فضيلة الشيخ محمد صبري عابدين فنوه بخدمة الهند لعلم الحديث وما تفردت به من مطبوعات مثل السنن الكبرى للبيهقي ومسند أبي داود الطيالسي وغير ذلك من مطبوعات دائرة المعارف في حيدر أباد ، وألم بغيرة الهنود المسلمين على الاسلام واعتنائهم به ، حتى أقامت منهم جماعة بالحجاز لنشر الدعوة الدينية فيها . وعقبه الاستاذ عبد المنعم النمر فاعترف بهذه الخدمات والعناية بالدين واستشهد ببعض أقوال عظماء باكستان والهند ومواقفهم الجليلة في خدمة الاسلام ، وقام الرئيس فألقى كلمة بليغة في شكر المحاضر .

الاثنين ٢٧/٥/٧٠ هـ — ٥/٣/٥١ م

في حفلة جمعية الشبان المسلمين

توجهنا إلى جمعية الشبان المسلمين وكان اليوم موعد الاحتفال للاحتجاج ضد الاعتداء الفرنسي على مراكش ، وكانت الهيئات الدينية والجمعيات الاسلامية مدعوة وممثلة في هذه الحفلة . دخلنا أولاً في غرفة الرئيس العام فوجدنا هناك لفيفاً من كبار العلماء ومشاهير الزعماء ورؤساء الجمعيات في القاهرة ، أذكر منهم فضيله الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً وفضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز والأستاذ فتحي رضوان أمين الحزب الوطني والأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي والاستاذ محمود محمد شاكر وآخرين غيرهم ، وقد كتبت قرارات وأعدت للحفلة العامة ، ولاحظت روح المرح والنشاط في هذه

الجلسة الخاصة فنـــاس يترددون وناس يتكلمون كلام الاصدقاء بعضهم لبعض ويتقابلون ، مع أن غاية الحفلة – وهي مشاركة المراكشيين في مصيبتهم والتعبير عن الحزن العميق والغضب ضد الاستعمار الغـــاشم – تدعو إلى الجد وروح الاكتئاب والألم ، وكان الواحد يستطيع أن يستنتج أنها حفلة سرور وتهاني ، وكان اللواء محمد صالح حرب هو أكثر الحاضرين هما وشغلا ، وخرجنـــا إلى الحفلة العامة ويدي في يد فضيلة الشيخ حسنين مخلوف ، وافتتحت الحفله بآيات احسن القارىء اختيارها لهذه الحفلة وهي قوله تعالى في سورة الحج : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » الآيات ، فغشيت الحفلة سحابة من الخشوع والوقار ، وتقدم الصاغ محمود لبيب فرجا الحاضرين أن لا يهتفوا بهتاف الاخوان: الله أكبر ولله الحمد لأن الحفلة تمثل الهيئات الاسلامية كلها ليس الاخوان فقط ، ولا نريد أن تعلل فرنسا وتقول إن الحفلة كانت خاصة بالاخوان المسلمين وعلا الهتاف : الله أكبر ولله الحمد ، وساد الهرج والمرج وقام اللواء محمد صالح حرب وخطب خطبة حماسية وهو متوتر الأعصاب متألم الجسم ، وأثنى على الاخوان وعلى احترامهم للنظام ، وقال اني في غير هذه المناسبة أول الهاتفين بهذه الكلمة ، ولكن المصلحة تقتضي أن لا يكون لهذه الحفلة طابع الاخوان ، وتلاه الاستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي فخطب وتلاه الاستاذ سيد قطب فقرأ كلمة بمناسبة هـــذه الحفلة كانت موجهة إلى عبيد فرنسا ، وكانت كلمة أدبية تهكم فيهـــا بهؤلاء العبيد الذين يسبحون بحمد فرنسا بكرة وأصيلا ، ويرون فيها القدسية والجلالة ، ويدينون بحبها وولائها ، واقترح بأن تغـــير الكتب المقررة في الدراسة التي تتكلم عن ثورة فرنسا وتأثيرها في تحرير الفكر والمساواة بكتب تاريخ الاستعمار الفرنسي وفظائعه ، وكانت الكلمة تقاطـــع بهتافات صارخة وتصفيقات حارة وكان الجمع يهتف بين حـــين وآخر « تسقط فرنسا العاهرة» ونودي باسم الشيخ محمد الغزالي وجاء على المنصة فارتجت القاعة بهتافات الأخوان وخطب فمنع الاخوان عن هتافهم ، وقال إننا في دار جمعية الشبان

المسلمين وقد جاء في الحديث الشريف : لا يؤم الرجل في بيته ولا في سلطانه ، فسكت الاخوان وأعجبتني لباقة الشيخ وفهمه للموقف وإطاعة الاخوان له ، وقام اللواء محمد صالح مراراً وخطب خطبة متحمسة كان لها تأثير كبير وذكر عيوب الشعوب الشرقية والاسلامية ونعى على الترف والبذخ وحيـــاة النعيم والرفاهية التي تمنع هذه الشعوب عن مكابدة المشاق والمغامرة والدفاع عن شرفها وحريتها . وضرب مثلا بالشعب التركي للروح العسكرية والجلد والشظف، وتلا الاستاذ محمود محمد شاكر القرارات فلما قرأ كلمة الأمم المتحدة ثار ثائر الناس الناس وانكروا عليه وقام اللواء محمد صالح حرب وشرح الكلمة وقال إن المقصود منها أن قضية مراكش ليست قضية مراكشية فحسب ، بل هي قضية الدول العربية والشعوب الاسلامية كلها وهدأ النـــاس ، ومن القرارات طلب الفتوى من كبار العلمـــاء بتحريم التجنيد في الجيش الفرنسي وجيوش الدول الديمقراطية ، وأبدى الناس سرورهم وارتياحهم لهذا القرار لأنه أشد نكاية في العدو الذي لا يؤمن إلا بالمـــادة ولا يهتم إلا إذا تعرضت مصلحة من مصالحه السياسية للخطر أو الفشل .

وقد ذكرتنا هذه الحفلة التي هي أول حفلة شعبيه شاهدناها في بـــلد عربي بالحفلات السياسية والاسلامية التي كانت تنعقد أيام اشتداد حركة الخلافة والحركة الوطنية في الهند ، وقد اهتزت مشاعري وتوترت أعصابي لأني مرهف الحس جداً اذا سمعت شيئاً من فظائع الاستعمار الأوربي ، واعتدائه على شعب اسـلامي ، هنالك يتجدد حنقي الشديد وتثور ثائرتي ضد الأوربيين وذلك يرجع إلى نشأتي ، فقد نشأت في عهد نشوب الثورة الدينية والوطنية في الهند .

الأربعاء ٢٩/٥/٧٠ هـ — ٩/٣/٥١ م

حديث مع اللواء محمد صالح حرب

ذهبنا اليوم الساعة التاسعة والنصف صباحـــاً إلى اللواء محمد صالح حرب

حسب ما تقرر يوم الأحد وجلسنا معه ساعة نتحدث عن رجال العلم والدين في مصر ، وكان ينتقد العلماء في مصر واشتغالهم بالمادة وعدم تجردهم للعلم وخدمة الدين والغضب لله ولدينه . ذكرت له ما دهى به المسلمون في الهند بعد التقسيم بالانحلال وتسرب اليأس إلى نفوسهم والتزلزل في الدين والأخلاق وقيام رجال الدعوة الدينية وتجردهم للدعوة إلى الدين والحياة الاسلامية الصحيحة ومقاومة هذه الطوارىء وبعثهم في نفوس المسلمين الأمل واتصالهم بطبقات الشعب ،وما كان له من الأثر في اخلاق المسلمين ونفوسهم ، فأعجب بذلك سعادته وتمنى لو كان هذا النشاط في علماء مصر ورجال الأزهر . قلت له إني أود أن تدعو كبار علماء الأزهر ومن بيدهم الحل والعقد ومن تأنسون فيهم التفكير والنشاط فأذكر لهم الأخطار المحدقة بالدين والعلم في هذا العصر ، وأذكر لهم الحل الذي نراه لهذه المشاكل وطريق درء هذه الأخطار والقيام بنهضة دينية جديدة ، فوافق على هذه الفكرة واستحسنها ، واتصل بفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف فوعده فضيلة الشيخ بالحضور في المساء والاتفاق على هذا الموضوع ، ووعدنا اللواء محمد صالح حرب بحضورنا كذلك وتعارفنا في مجلسه بالدكتور يحيي أحمد الدرديري منشيء مجلة الشبان المسلمين ووكيل الجمعية ، وأهدى الينا مجموعة من مؤلفاته .

في دار الشبان المسلمين

ووصلنا بعد المغرب إلى دار الجمعية فوجدنا عند اللواء محمد صالح حرب فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز والأستاذ محمود محمد شاكر وآخرين ، وجاء بعد قليل الاستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي وفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف والشيخ أحمد الشرباصي ، واشتغلوا بتأليف اللجان المنفذة للقرارات التي قررتها حفلة أمس ، ثم أقبل إلى اللواء وجلسنا في جانب وأخبرني سعادته بأنه هيأ فهرساً للمدعويين وهم من كبار علماء الأزهر ، وتقررت دعوتهم لتناول

الشاي في دار الجمعية تكريماً لي يوم الاثنين القادم فشكرته على ذلك .

مع الاستاذ محمود محمد شاكر

كنت أريد الاجتماع بالأستاذ محمود محمد شاكر لما سمعت من دراسته واشتغاله بالمطالعة وتحقيقه ، وأود أن أزوره وأهدي اليه نسخة من كتاب ماذا خسر العالم فقدر الله الاجتماع به على غير ميعاد ، وانبسط وأنس بي ، وذكر أنه قرأ الكتاب وأعجب به وكان إعجابه بالباب الأول « العصر الجاهلي » أكثر ، واقترح أن أفرد لهذا الموضوع كتاباً خاصاً ، ولما علم بقصدنا لتركيا دعاني لمقابلة الأستاذ يحيى حقي مستشار السفارة المصرية في تركيا الذي هو ضيف عنده .

الشيخ حسنين محمد مخلوف

واجتمعت كذلك بفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وكنا قد اتفقنا على زيارته يوم الجمعة بحلوان وتناول الغذاء معه ، ثم حدث في ذلك تغيير لأن يوم الجمعة عندنا مشغول بعدة مواعيد ، فاعتذرت له عن ذلك وأبديت رغبتي في الاجتماع به ، وفي الحقيقة إنه من الرجال الذين أعجبت بهم ورأيت منهم صلاحاً وعلماً ورزانة ومتانة خلق ودماثة .

الجمعة غرة جمادي الثانية سنة ٧٠ ـ ٥١/٣/٩ م

صلينا الجمعة في مسجد المؤيد وهو قريب من محلنا ، وكنا نريد أن نصلي الجمعة في مسجد هادىء يخلو من التشويش ، ولم ننكر من أمر هذا المسجد إلا الجهر والتغني بسورة الكهف ، وهي عادة مطردة وسنة متبوعة في مصر إلا مساجد الاخوان الشرعيين ، وكان المؤذن جالساً على دكة من خشب على بعد من الامام يرفع صوته بورد بين الخطبتين لم نفهمه .

في جمعية مكارم الاخلاق

توجهنا إلى جمعية مكارم الأخلاق لحضور الحفلة التي عقدها الحاج جلال حسين ودعا اليها بعض أصدقائه ورؤساء الهيئات الاسلامية للاجتماع بنا ولأشرح لهم طريق الدعوة في الهند ، وكان بعد حفلة الشاي محاضرة لي في الجمعية موضوعها « رسالة المسلمين في هذا العصر » .

مع رؤساء الجمعيات الدينية وحضرات العلماء

حضر في هذه الحفلة الأستاذ حسين يوسف رئيس شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وزميله الأستاذ عبد الوهاب والأستاذ زكي ابراهيم رئيس جمعية العشيرة المحمدية واللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين وفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي والأستاذ الشاعر المرتجل صاوي علي شعلان وفضيلة الشيخ السيد مبشر الطرازي وبعض أعضاء جمعية مكارم الأخلاق ، بدأ الأستاذ صاوي شعلان يذكر مناقب علماء الهند ومآثرهم العلمية وأبدى إعجابه بالدكتور محمد إقبال والأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي واستاذه الشيخ شبلي النعماني ، وذكر دراسته لآثار هؤلاء العلماء وشغفه بمؤلفاتهم وذكر ما نشر عنهم من مقالات وتراجم ، وافتتح المجلس الشيخ جلال حسين فقدمني إلى الحاضرين ، وأشار إن الدعوة الدينية ونشاطها في الهند وكان يسميها الدعوة الندوية لانتسابها الينا في مصر وانتسابنا إلى الندوة . وذكر إلمامه بهذه الدعوة واتصاله ببعض رجالها في الهند وباكستان ، ثم قمنا إلى مائدة الشاي والفطور .

بعد ذلك افتتحت الكلام وقلت إن الهند لم تكن وليست في مركز الإرشاد والتوجيه للعالم العربي ، خصوصاً لمصر وهي زاخرة بالعلم والحركات الدينية ولكن امتازت الهند في العهد الأخير بحوادث وظروف أثارت فيها الاهتمام والتفكير في النهضة الدينية فوصلت إلى نتائج كبيرة ، ووفق رجالها

إلى طرق ومناهج تستحق الدراسة والعناية في كل بلد إسلامي

مثل الهند ومثل البلاد العربية

وإنما مثل الهند ومثل البلاد العربية كمثل طفلين ينشأ أحدهما في احضان أبويه تحت رعايتها وعطفها ، ويشبل في نعمة أبيها وله فرص سانحة في الحياة فلا يضطر إلى التفكير والابتكار وينشأ هادئاً مطمئن البال ، فذلك مثل البلاد التي تتمتع بحكوماتها ، والطفل الثاني ينشأ مهملاً فقيراً ثم يرث من أبيه ثروة فيضطر بطبيعة الحال الى جهاد الفكر والمغامرة إلى أن يشق طريقه بإرادته وقوة ذاته فربما يصل الى ما لا يصل اليه أولاد الأغنياء وأبناء الأمراء وذلك مثل الهند ، فإن كان في نهضة الهند الدينية وحركاتها الإسلامية شيء يلفت النظر ويستحق الأعجاب والاقتباس فإنه يرجع إلى هذا السبب ثم شرحت الأحوال السياسية التي دفعت الهند إلى التفكير في الدعوة الدينية والتجارب الجديدة .

موافقات ومفارقات

ثم ذكرت نشوء هذه الدعوة الدينية العامة وأسسها ومبادئها وما بينها وبين الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي والأقطار العربية من موافقات ومفارقات فتركت الموافقات وشرحت المفارقات ، منها ما تمتاز به هذه الدعوة من تقديم غرس الإيمان في قلوب المسلمين والعناية به ، ثم التقدم إلى الشعب من غير انتظار وبث الوحدة فيه على طريقة صدر الإسلام وعلى طريقة الدعاة الأولين ، وكنت في حديثي إذ أذن المؤذن ومضيت في حديثي ، واستقر الرأي على أن يكمل هذا الحديث يوم الثلاثاء في جمعية الشبان المسلمين بحضور رؤساء الهيئات الاسلامية ، وقمنا إلى الصلاة وقد حضر المستمعون إلى المحاضرة وبعد صلاة المغرب افتتح الأستاذ أحمد عثمان فنوه بافتتاح عهد جديد للجمعية برئاسة الأستاذ جلال بك حسين وعودتها إلى نشاطها الأول ثم أعقبه الشيخ جلال حسين .

محاضرتي في الجمعية

« رسالة المسلمين في العهد الحاضر »

وبعد ذلك طلب مني أن القي محاضرتي وأفتتحها .

وكانت خلاصتها ان الحياة الإنسانية تشتمل على ناحيتين الناحية الطبيعية وهي التي تفرض على كل إنسان أن يأكل ويشرب ويتكسب ويحصل القوت واذا مرض فيتعالج إلى غير ذلك من طبائع الحياة الإنسانية ، والناحية الثانية هي الناحية الإيمانية وهو تلقي الإنسان الأحكام من خالقه والعمل بها ، فيعرف ماذا يحل أكله وماذا يحرم ومن أين يكسب ، وما هي الطرق المشروعة للكسب وتحصيل القوت وجمع الأموال ، وما هي الطرق المحظورة وما غاية هذه الحياة وما مصير هذا العالم وماذا يرضي الله وماذا يسخطه ، والأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا لبيان الناحية الأولى فهي ناحية فطرية يهتدي اليها الإنسان بسائق فطرته : «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً » الآية، ولم يبعثوا ليزيدوا في نشاطها ويحثوا على زيادة العناية بها، فإن العالم لم يزل يعاني طغيان هذه الناحية وثورتها على الناحية الإيمانية . وطالما تضخمت هذه الناحية وكبرت على حساب الناحية الإيمانية وينصفوا لها من الناحية المادية الطاغية ويوجدوا التوازن الصحيح بين الناحيتين ، وإذا أردتم أن تعرفوا رسالة المسلمين فارجعوا إلى العصر الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم وتلمسوها . فإذا وجدتم أن الناحية الطبيعية كانت كاملة غنية بل طافحة بالجوانب المادية ولم يكن فيها نقص أو عوز بل كانت قد طغت على الجانب الإيماني في حياة الانسان وقضت عليه حتى أصبح نسياً منسياً ، وقد جدد النبي صلى الله عليه وسلم الجانب الإيماني وأحياه ودعا اليه وعلى أساسه أوجد أمة لا تزال تقوم بالدعوة اليه والمحافظة عليه والاعتناء به ، فاعلموا أنها هي رسالة المسلمين في كل عصر وهي رسالتهم في هذا العصر ، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر في دعائه

للمسلمين وشفاعته لهم : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » فذكر الغرض الحقيقي الذي بعث له المسلمون والذي يقوم به وحدهم .

اعتراف بفضل علماء الهند

استغرقت هذه المحاضرة أكثرمن ساعة ، أخبرني بعض الناس أنهااستغرقت ساعتين ، ولم أشعر بالوقت كيف مضى وتلاني الأستاذ صاوي شعلان فعقب على هذه المحاضرة ونوه بالهند وعلمائها وقرظ الدكتور محمد إقبـــال ومولانا السيد سليمان وذكر ان سيرة النبي أكبر كتاب في السيرة النبوية في مكتبة العـــالم الاسلامي ، وارتجل أبياتاً كثيرة قالهـــا عفو الساعة وفيض الخاطر ، وتلاه الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصي فألقى كلمة عن حاضر الأمة الاسلامية في أسلوب أدبي بليـغ ، وانتهت الحفلة مع كلمة شكر من صديقنا الشيخ أحمد عثمان .

السبت ٧٠/٩/٢ هـ - ٥/٣/١٠ م

مع الاستاذ عبد العزيز كامل

زرنا الأستاذ عبد العزيز كامل في داره ، وتحدثنا طويلاً وتناول الحديث نظام الدعوة والتربية في الهند والحاجة إلى إنتاج كتب دسمة قيمة تشرح الفكرة الاسلامية والحياة الاسلامية ووجود الصلة بين المفكرين الاسلاميين في الهند وباكستان وبينهم في مصر وتبادل الثقافة الإسلامية والمنتجات العلمية بين البلدين وأبدى أسفه على عدم معرفة المصريين لاقبـــال وآثاره الاسلامية ورسالته في شعره ، وأخبرته باستعدادي لالقاء بعض المحاضرات عنه وعن شاعريته ورسالته في كلية الآداب أو دار العلوم ، ففضل أن تكون هذه المحاضرة في دار العلوم ، وذكر إعجابه بكتاب ماذا خسر العالم وأنه قرر مطالعته للاخوان في منهاج دراستهم ، وأبدى موافقته على التفصيل الذي جاء في الكتاب لتاريخ الأخلاق الاوربية ونشوءها وتطورها ، وأثر الاخلاق اليونانية والروحية فيها ، وذكر

أنه يساعد في فهم القضية الاوربية الحاضرة ، وتشعب الحديث وامتد المجلس، وقد رأيت في الأستاذ شاباً واسع الثقافة جيد التفكير مؤمن القلب هادئاً وديعاً من خيرة من تعرفت بهم من المثقفين ، ويعد كمراقب ثقافي للاخوان .

وفي الساعة السابعة خرجنا مع الأخ ياسين إلى زيارة الدكتور محمد يوسف موسى استاذ الفلسفة في كلية أصول الدين بالأزهر في شارع الملك المظفر بالجزيرة والدكتور ممن قرأوا كتاب ماذا خسر العالم واعتنوا ونوهوا به وكنت أريد أن أفيد من معلوماته وملاحظاته ، فاتفقت معه على هذا الموعد ، وقابلنا الدكتور بحفاوة .

حديث مع الدكتور محمد يوسف موسى

وذكر أنه قرأ مقالتي « اسمعي يا مصر » وأعجب بها ، وذكر أنه اشترى كتاب ماذا خسر العالم على أثر صدوره في الصباح وأتمه قبل النوم وكتب ذلك على وجه الكتاب ، وتناول الحديث الوضع التعليمي في مصر فقال إن التعليم في مصر قائم على أساس الثنوية في التعليم وهي التي جرت علينا شروراً كثيرة،قال وقد كتبت مقالة في الرد على هذا الأساس ونشرت في الأهرام وقوبلت في أوساط الأزهر بالاستنكار والمعارضة ولا أزال على عقيدتي في وحدة التعليم على أساس متين من الثقافة الإسلاميه [1]. ومن رأيي أن الأزهر يجب عليه أن يتطور مع الزمان كما تطورت كمبردج وأكسفورد فقد كانتا مدرستين دينيتين كالأزهر ولا يزال نظام الأروقة في أكسفورد مثل الأزهر .

اقتراحه على الازهر

وكان يجب أن يحتضن الأزهر التعليم المدني ويكون هو مصدر التعليم في

(١) يقول صاحب الرأي انه صار رأي صفوة المشتغلين بالتعليم،ورأي المركز العام للاخوان المسلمين أيضاً ، كما هو واضح هذه الايام (عام ١٩٥٣ م) . محمد يوسف موسى .

البلاد فلا تنشأ طبقتان متميزتان لا وصل بينهما ، فهنا من يتعلم الدين ولا يحكم ، وهنا من يحكم ولا يعرف الدين ، ثم تكلمنا في كون اللغة العربية اللغة الرسمية في باكستان وما في هذا السبيل من مشاكل .

***

ظهر لي أن أعد مقالة أقرأها في حفلة التكريم يوم الاثنين ، وأن يكون موضوعها الدعوة الاسلامية في الهند وتطوراتها ، وبذلك أنتفع بهذه الفرصة الغالية وأوجه الرسالة إلى علماء الأزهر والضيوف الذين يلبون هذه الدعوة ، وملكت الفكرة تفكيري فاشتغلت بالكتابة إلى نصف الليل ، ولم أنم وإلا وأنا متعب لا أستطيع التحرير .

الأحد ٧٠/٦/٣ هـ - ٥١/٣/١١ م

أسئلة الشيخ أحمد الشرباصي

جاء في الساعة التاسعة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي وأبدى رغبته في معرفة مراحل تعليمي ونشأتي وحياتي وقبلت دعوته ، وصار يسأل ويقيد وألقى عليّ كثيراً من الأسئلة ، وعرف عني النقير والقطمير ، وعرف كل دقيق وجليل في حياتي ، حتى تحدثنا عن الألعاب التي لعبتها ، والأطعمة التي أكرهها ، والأيام التي لا أزال أذكرها والأمراض التي أصبت بها ، والشخصيات التي تأثرت بها ، والكتب التي أعجبت بها ، وعن حسنات مصر وسيئاتها ، فقلت له : ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟ وأحببت أن أعرف غرضه من الوقوف على هذه المعلومات كلها وسألته عنه قال : ربما أكتب عنكم شيئاً أو ألقي كلمة ... ولم يزل يسرنا بطرفه ونفثاته اللطيفة وروحه المنتفتح حتى قام[1].

---

(١) اعتمد الاستاذ الشرباصي على هذه المعلومات في كتابة مقدمته للطبعة الثانية لكتاب : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) .

الاثنين ٤/٩/٧٠ هـ - ١٢/٣/٥١ م

حديث مع احمد لطفي السيد

ذهبنا في الساعة العاشرة لزيارة الأستاذ أحمد لطفي شيخ هذا الجيل ورئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، قابلنا معاليه في مكتبه في المجمع فرأيت فيه شخصاً من الرعيل الأول الذي أنتجه التعليم الأوربي في بلادنا الإسلامية يمثل عقليته وثقافته ونظره إلى هذا التعليم العصري ودفاعه عنه خير تمثيل ، فكأنما رأينا فيه رجلاً قد تخرج في مدرسة العلوم بعليكره في عهد مؤسسها السيد أحمد خان .

الاخلاق بين الماضي والحاضر

سألت معاليه : هل أنت مرتاح إلى نتائج التعليم الجامعي من جهة الأخلاق الذي كنت بلا شك من واضعي أساسه في هذا البلد ؟ قال : من غير شك أنا متفائل فإن الأخلاق في تحسن وتقدم بالنسبة إلى الماضي ، وقد كانت الأخلاق الظاهرة والمجاملات أجمل وأحسن في العهد الماضي ، ولكن ذلك تحت الضغط والخوف ، وأنا أعتقد أن الشيء الذي يكون بتأثير الخوف ليست له قيمة كبيرة ، وقد زال الاحتلال الأجنبي بعدالفي سنة وزيادة [١] ، وحصلت الحرية فتحسنت الأخلاق ، إلا أن هناك شيئاً من التطرف وسوء استعمال الحرية،وذلك طبيعي يزول في وقته فمثل الطالب كمثل طائر خرج من القفص ، فلا بد أن يجمع قواه ويطير من هنا إلى هناك ، ولكني أفضل سوء استعمال الحرية على عدم الحرية . والحكم على اختلاف الاخلاق وفشل التعليم في التربية وإخراج الجيل

(١) هذا يدل على أن الرجل كان يعتبر دور الفتح العربي ، والحكم الاسلامي . احتلالاً أجنبياً ، كما نطق به بعض قادة مصر في العهد الاخير ، وفيه ما فيه من الغرابة ، والنزعة القومية المتطرفة .

الصالح حكم قبل أوانه . وأنا أعتقد أن التربية الأولى يتلقاها الطفل في أحضان أبيه وأمه فإذا كان هذا الجيل الذي هو ابن اليوم الأب المربي في الغد ، فإن الجيل الذي ينشأ في تربيته يكون أحسن من هذا الجيل .

قلت : حقق الله آمالكم وأقر عيونكم بأبنائكم ، ولكني أخشى أن ينتقل الأمر من سيء إلى أسوأ ، لأن هذا الجيل الذي يتخرج من جامعتنا جيل منحل لا تماسك عنده ولا تربية ، فكيف نرجو أن المستقبل سيكون أحسن من الحاضر؟ قال معاليه : أنا أعتقد أن العلم إذا انتشر أصلح الأحوال ، وأنا لست سيء الظن بالفطرة البشرية ، واعتقد أن الفطرة صالحة بالطبع ، فإذا زال الكبت فإنها ترجع إلى أصلها .

هل الجامعات مقصرة في التربية الخلقية ؟

قلت : وهذه فكرة الإسلام . ولكن الجامعات مقصرة في العناية بالتربية الخلقية . قال معاليه : ولكني لا أعتقد في التلقين ، والمؤثر هو المثل الاعلى والاسوة العملية الحسنة . قلت : لست أعني بتقصير الجامعات التقصير في التلقين والدروس الخلقية فلا أؤمن بتأثيرها ، وأنا مع معاليكم في عدم تأثير التلقين والدروس النظرية ولكن الجامعات مقصرة في اختيار المعلمين وضرب الامثله العملية وعرض النماذج الخلقية الجميلة ، وذلك يجعلني أشك في مستقبل هذة الجامعات من ناحية الاخلاق .

قال : إن التعليم الجامعي في مصر وليد نحو ثلاث وثلاثين سنة ، فالحكم عليه بالفشل حكم قبل وقته فلننتظر ولنر .

قلت : إن التعليم المدني والجامعي في الهند أكبر سناً منه في مصر ، ولكنه لا يختلف في ثمراته عن ثمرات التعليم الجامعي في مصر .

النقص في أساس التعليم

وبذلك يخيل إلينا أن النقص في أســـاس هذا التعليم ، وإذا لم يزل هذا النقص فإن التعليم لا يزال يؤتي هذه الاكل ، والنقص هو اختلال الاتزان بين المعلومات والاخلاق .

قلت لمعاليه : هل أدركت السيد جمال الدين الافغاني وقرأت عليه ؟ قال : تتلمذت على السيد في الآستانة مـــدة شهر ، وكان الدرس عاماً استفدت منه توسيع آفاق الفكر .

في حفلة التكريم

وصلنا إلى دار جمعية الشبان المسلمين الساعة الخامسة إلا ربعـــاً ، وحضر الضيوف ، أذكر منهم سمو الامير عبد الكريم الخطابي ، وشقيقه الامـير محمد عبد الكريم الخطابي ، والشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير المعاهد الدينية بالازهر وعضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ محمد الشربيني رئيس جبهة علمـــاء الازهر وعضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ مبشر الطرازي ، والشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ أحمد فهمي ابو سنة أستاذ كلية الشريعة ، والدكتور محمد يوسف موسى استاذ كلية اصول الدين والاستاذ عبد المنعم النمر استاذ معهد القاهرة ، والاستاذ أحمد الشرباصي استاذ معهد القاهرة ، والاستاذ محمد عبد التواب مفتش الوعظ بالازهر ، والاستاذ عبد القادر مختار ، والاستاذ عبد المنعم خلاف ، والشيخ السعيد الشرباصي ، والشيخ علي رفاعي مفتش الوعظ بالازهر فضلاً عن صاحب الدعوة اللواء محمد صالح حرب .

جلسنا حول مائدة الشاي وهي طويلة زاهية بالازهار وقام الاستاذ محمد صالح حرب فألقى كلمة تكريم لهذا العاجز وحياه عن نفسه وعن الضيوف

وقدم اللواء إلى الحاضرين فضيلة الاستاذ احمد الشرباصي فقـــام وشفع كلمته بكلمة وجيزة ذكر فيها ان السـيد أبا الحسن قد هيأ حديثاً عن تاريـــخ الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها لهذا المجلس .

كلمتي في الحفلة

وقمت فشكرت اللواء محمد صالح حرب على هــذا التكريم والضيوف على التشريف ، وقلت إن وقت الضيوف الكرام وكبار العلماء الذين شرفوا هذا المجلس أعتقد أنه وقت ثمين وأمانة ، فخفت أن يضيع في تكريم رجـــل مثلي فأعددت لهذا المجلس حديثاً عسى أن يعوض هذه الخسارة ويخفف من ثقلي الذي أشعر به ثم بدأت في المحاضرة وقلت في أولهـــا : « سادتي ! حرصت على أن أقوم بواجب الشكر والاعتراف بالجميل لهذه الحفلة التي يعقدها معالي اللواء محمد صالح حرب تكريماً لشخصي الحقير مؤمناً بأنه تكريم لضيف مسلم ينسب إلى العلم وإلى شعب إسلامي عريق في الدين والعلم ، فليس تكريم فرد بـــل هو تكريم للعلم ولهذا الشعب الهندي المسـلم بأسره الذي أتشرف بالانتساب إليه وأردت أن أحييه وأحيي ضيوفه الكرام الذين يشرفونني بالحضور باسم العلم واسم الشعب المكرم في شخصي رداً للتحية الرقيقة ومكافأة لصنيعه الجميل .

وفكرت طويلاً في الهدية التي أتقدم بها اليكم وماذا يكون حديثي اليوم ؟ فإن حدثتكم أيها السادة عن موضوع ديني علمي عام كنت كناقل التمر إلى هجر أو مهدي العلم إلى الازهر ، هنالك تذكرت أنه مما جرت به العـــادة قديماً وحديثاً ومما يستطرف أن يحمل المسافر هدية من طرف بـــلده أو منتجات وطنه ، وإن كان شيئاً متواضعاً أو عادياً ، لا أن يشتري شيئاً من سوق بلد مهما كلفه من الثمن ويهديه إلى أهلها ، ففضلت أن يكون حديثي اليوم عن الدعوة الإسلامية في الهند ، وما مر عليها من أدوار وما تناولهـــا من تجديد وتطور وابتكار » . ثم تحدثت عن الدعوة الإسلامية الاولى التي نشرها في الهند السادة

الصوفية والدعاة إلى الله ، ثم ذكرت كيف تغير اتجاه الدولة المغولية من الإسلام إلى الكفر والإلحاد ، وكيف قيض الله لتحويل هذا التيار وتجديد الدين في هذه الديار الإمام الشيخ أحمد السرهندي وكيف جاء بتجديده وتربية أولاده ـ مثل السلطان أورنك زيب على عرش أكبر ، ثم ذكرت دور الشيخ ولي الله الدهلوي وتمهيده العقول والارض لانقلاب إسلامي صالح على أساس العلم والدين، ثم جهود السيد أحمد الإمام الشهيد والشيخ إسماعيل الشهيد وجهادهما في تأسيس حكومة شرعية ، وفشل هذه الجهود والتجاء العلماء إلى تأسيس المدارس الدينية ، ثم الاسباب التي دعت إلى تأسيس ندوة العلماء ، وإلى بث دعوة دينية شعبية تقوم على أساس غرس الإيمان في جماهير المسلمين والتربية الدينية وهي الدعوة التي قام بها الشيخ محمد الياس الكاندهلوي ، وقد استمع الضيوف إلى هذه المقالة على طولها بنشاط ورغبة واقترحوا نشرها ، وانتهى المجلس .

الثلاثاء ٥/٦/٧٠ هـ – ١٣/٣/٥١ م

التقصير في نشر آثار اقبال في العالم العربي

جاء الاستاذ الصاوي شعلان وجلس يسمعنا ترجمة شعر محمد إقبال إلى العربية ، وله قدرة على ترجمة الشعر مع أن ذلك اصعب شيء، وهو حريص جداً على الحصول على ديوان الشاعر الأخير « أرمغان حجاز » ومع كل أسف أن الباكستان لا تزال مقصرة في التعريف بمؤسسها الفكري العظيم ونقل آثاره الفكرية إلى العالم الإسلامي ، ومثل الاستاذ صاوي شعلان يستحق ان تستعين به الحكومة أو المجامع العلمية على الأقل في نشر شعر إقبال في العالم العربي الذي يعرف طاغور أحسن مما يعرف إقبال ، وتلك سبة وعار على الباكستان والهند قبل ان يكون عاراً على العالم العربي .

وبعد انصراف الاستاذ صاوي شعلان جاء الاستاذان الأزهريان الشيخ أحمد الشرباصي والشيخ عبد المنعم النمر وجلسا طويلا ، وتحدثنا عن الدعوة الدينية والقيام بنشرها في القرى والأرياف وتنظيم الرحـــلات الدينية إلى الضواحي والمدن .

كيف يشتغل طلبة المعاهد الدينية ؟

ذكرت لهما أن هذا الطريق الوحيد لصرف طلبة المعـــاهد الدينية عن الاشتغال بالحركات الطائشة وعن الاستهداف للدعوات الهدامة وبعث الروح الدينية والنشاط العملي فيهم ، فوافقا على ذلك ولكن اعتـــذرا بالمشاكل التي تعترض هذا النشاط والتنظيم وما أثر حل جماعة الإخـــوان المسلمين في عقلية الشعب وما أوجده من اليأس والتبرم من الدعوة الدينية والوعظ ، والانصراف عن الدعاة المتطوعين ، ولكن اتفقا على أنه لا بأس بالشروع في هذا العمل في نطاق ضيق محدود ، ووعد الشيخ أحمد الشرباصي بأنه سيكلم في هذا الموضوع الشيخ محمد الغزالي واعظ الأزهر ، لأنه أعرف بالقرى والأرياف وأكثر اتصالاً من زميليه بها .

تنظيم اتصالات علمية بين علماء مصر وعلماء الهند

واقترح الشيخ أحمد الشرباصي تنظيم اتصالات علمية بين علماء مصر وعلماء الهند والباكستان عن طريق التعارف بتبادل الخطابات والرسائل والمؤلفات والنشرات والمجلات والصحف وغير ذلك ، وقد أيده في ذلك الاستـــاذ عبد المنعم النمر وذكر أنه لم يكن يعرف شيئاً عن الحركة العلمية والدينية في الهنـــد قبل ان يتعرف بي ولم يسمع قط أسماء هؤلاء العلماء الكبـــار الذين ذكرتهم في محاضرتي عن دراسة علم الحديث ، واقترح فضيلة الشيخ الشرباصي كذلك تنظيم مراسلات بين طلبة الأزهر الشريف وبين طلبة الجامعات الدينية الاسلامية في

العالم الإسلامي حتى يتعارف شباب الإسلام ، وحتى يرتبطوا بالعجلة الإسلامية ، بدل تراسلهم مع الطلبة الغربيين أو الطالبات الأجنبيات ، وذكر أن أكثر طلبة الجامعة وطلبة الكليات يتراسلون مع طلبة الجامعات في أوربا ، وغالب الطلبة في مصر في الجامعة أو الكليات لهم أصدقاء ومراسلون في أوربا ،ويحرضهم على ذلك اساتذتهم ، بل وصل الأمر إلى أن المعلمات في مدارس البنات يحرضن المتعلمات في مدارس المسلمات على أن يراسلن المتعلمات في اوربا أو يراسلن المتعلمين في اوربا ، فبعض المتعلمات هنا لهن أصدقاء في أوربا .

ووافقناعلى أن يبدأ الشيخ الشرباصي بكتابه كشف بأسماء الطلاب الازهريين الراغبين في المراسلة مع عناوينهم ومميزاتهم ، وأقوم أنا بكتابة كشف آخر باسماء الطلاب المسلمين في الهند والباكستان وذلك للبدء في المراسلة .

واخذ الاستاذ عبد المنعم النمر اجزاء (أوجز المسالك) ليعرضها على بعض الناشرين لعلهم يستعدون لنشرها .

قرأت مقالة الاستاذ البهى التي نشرت في العدد الأخير للدعوة تحت عنوان « تحت ظلال التوحيد » وهي مقالة جميلة وجدت فيها نفس ابن القيم رحمه الله في شرح الآيات وحقائق القلب ، وما ذاك إلا بشغف الاستاذ البهى بكتب الحافظ ابن القيم وتفكيره في القرآن ،وظل الشيخ يفسر لنا بعض الآيات ويشرح لنا معنى الحياة في القرآن في أسلوبه الجميل فكان حديثاً مغذياً للفكر والقلب ، وذهب الإخوان بعد المغرب ليشاركوا في محاضرة الشيخ أحمد الشرباصي عن (عبقرية المكفوفين في التاريخ) بدار الشبان المسلمين ويعتذروا إليه عني لعدم الحضور فقد شعرت بتعب عظيم .

الأربعاء ٧٠/٦/٦ هـ - ٥١/٣/١٤ م

جاءنا الشيخ عبد المنعم النمر عند الظهر ليرافقنا إلى منزل الشيخ احمد ماضي

أبي العزائم وأهدى إلينا الشيخ أبو العزائم مجموعة من مؤلفات والده ومنظوماته وزرنا قبر والده السيد محمد ماضي أبو العزائم ، ورأينا لوحة على قبره مكتوباً عليها « يا أبا العزائم مددَك » فأنكرنا ذلك وقلت للسيد هذا لا يجوز أبداً ولا يتفق وتوحيد الاسلام ولا يوافق ما أمرنا به في سورة الفاتحة من قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » وما نقوله مرات في الصلاة ، ولم أر من السيد تلك الخشونة والإنكار الذي تعودناه من مشائخ بريلي وبدايون[1] في مثل هذا الموقف.

حديث مع الاستاذ عبد الوهاب خلاف

ذهبنا بعد العصر الى الاستاذ عبد الوهاب خلاف استاذ الشريعة في كلية الحقوق وقابلناه في منزله بشبرا وكان الحديث معه علمياً وتاريخياً ، قال : قد أعجبني كلامكم مع احمد لطفي السيد باشا ؛ وكنت ألاحظ ان المقياس بينكم وبينه مختلف فمقياس الاخلاق عندكم القرآن فما حسن منها فهو عندكم حسن وهو لا يرى هذا .

من أسباب التحلل الخلقي في مصر

قال إن أعظم أسباب التحلل الخلقي في هذا البلد هي البعثات التي عادت من فرنسا ، وقد لاحظنا أن الثقافة الانجليزية تمتاز عن الثقافة الفرنسية بالجد ، قلت له قرأتم على الشيخ محمد عبده ؟ قال : نعم أدركت درسه في الرواق العباسي بالازهر وهو في تفسير سورة النساء (حرمت عليكم أمهاتكم) الآية واستمرت دروسه إلى تفسير قوله تعالى : « لا خير في كثير من نجواهم » الآية ، وهنا مرض مرضه الأخير ، وتوفي رحمه الله .

---

(١) بلدان في الولاية الشمالية في الهند ، تزعما حركة التكفير ، ومحاربة الدعاة الى التوحيد والدين الخالص .

الاستاذ يصف درس الشيخ محمد عبده

ووصف الاستاذ عبد الوهاب درس الشيخ قال : كان الشيخ بهي الطلعة كث اللحية شجي الصوت لا يمله الطلبة والحاضرون ، وكان يسر السامعين بنكته اللاذعة ونقده ويدفع السآمة عنهم ، وكان لا يعتني كثيراً بالنحو والبلاغة ويعني بموضوع القرآن وهو عنده الهداية ، ودائماً يستشهد بقوله تعالى : «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » يقول : ولم يذكر الله ثمة أنه أنزل القرآن للبلاغة أو النحو وإنما أنزله للهداية .

الاساتذة الذين أعجب بهم الاستاذ خلاف

قلت : ومن أثر فيكم من أساتذة الأزهر ؟ قال هما رجلان غير الشيخ محمد عبده أولهما الشيخ عبدالله دراز وكان يدرس المنطق في المسجد الذي أمـــام الأزهر وكان عذب الحديث بليغا ، والثاني الشيخ إبراهيم الجبـــالي الذي توفي قريباً ، ثم أسست مدرسة القضاء الشرعي فالتحقت بها ، وكان اساتذتها مزيجاً من شيوخ الازهر والاساتذة المدنيين فكانت ثقافتي مزيجاً ، وكان ذلك خيراً لي.

لماذا لم يعش منهب الامام الليث ؟

قلت كان الإمام الليث بن سعد فقيهاً كبيراً ويفضله بعض الناس على الامام مالك ، فلماذا لم يعش مذهبه ولماذا اندرس ولم يبق له أتباع ؟ قال هنالك سببان لانتشار المذهب وبقائه أولاً أن يدون صاحب المذهب مذهبه ويحرره ، ثانياً : ان تنتحل هذا المذهب دولة وتقوم بنشره وقد اجتمع هذان السببان للمذهب الحنفي ؛ فقد حرره ودونه الإمام محمد بن الحسن الشيباني وكان مذهب القاضي أبي يوسف وكان لا يولي القضاء إلا من كان حنفياً ، اما مذهب الليث بن سعد

فلم يقم به بعده من يحفظه وينشره .

وكيف انتشر المذهب الشافعي في مصر ؟

وكان هو المذهب المتبوع السائر في مصر حتى جاء الامام الشافعي وكان ذا عقلية جبارة وذكاء باهر ونزل ضيفاً عند آل الحكم وتغلب مذهبه على مصر وانتشر ، ولما جاء الفاطميون في مصر وأسسوا الازهر كمسجد ضرار لأنه هو المسجد الرابع في مصر وكان الامــــام الشافعي يدرس في مسجد الفسطاط ، واضطر الفاطميون أن يمالئوا النزعة السائدة فضموا التدريس للفقه الشافعي إلى درسهم في فقه الشيعة الذي كان يقوم به الخليفة الفاطمي بنفسه ، ولمـا قامت دولة الأيوبيين شجعوا تدريس الفقه الشافعي بالاموال والاوقاف حتى كان هو الغالب .

داء العلماء في كل بلد

ومن بيت الاستاذ عبد الوهاب ذهبنا إلى جمعية الشبان المسلمين ووجدنا هناك جماعة من كبار العلماء وشيوخ الازهر وهم يبحثون في تأليف لجنة تضع كتباً في شرح النظام الاسلامي المالي والسياسي والاجتماعي ، فلم تتفق كلمتهم على شيء وشعرت في مباحثاتهم بضعف في التفكير وضعف في الإرادة وذلــك داء العلماء في كل بلد ، وقد شعرنا بذلك في علماء بلادنا أيضـــاً ، وذلك الذي يجعلنا نخاف على مستقبل الدين في بلاد الإسلام ،فأحوال العالم ووجود اضطراب شديد وقلق عند الناس وسرعة الدوامات التي تدور حولنا تطلب عبقرية وقوة إرادة وصراحة ، وذلك لا يوجد في المعسكر الديني وحماة العلم والإســـلام ، وتأكدت أن الأمة وخصوصاً المنتسبين إلى الدين والعلم قد فقدوا مقداراً كبيراً من المقدرة الاجتماعية والاستعداد للتعاون العلمي ، وأن الأعمال الجليلة لا يقوم بها ــ والحالة هذه ــ إلا أفراد ممن ملكت الفكرة أو المقيدة عليهم فكرهم ونشاطهم وهم الذين قاموا بواجبهم من غير انتظار لأحد أو تكليف من أحد .

الخميس ٧/٦/٧٠ هـ – ١٥/٣/٥١ م

زيارة حديقة الحيوانات

ذهبنا الى حديقة الحيوانات وكان الجو جميلا جـــداً ، فتنقلنا في حديقة الحيوانات بين عجائب المخلوقات والحيوانات المفترسة والطيـــور الجميلة ، ومن أعجب ما رأينا سبع البحر والإنس الوحشي ، وكثيراً ما تذكرنا قوله تعالى ونحن نمر بالسباع والوحوش : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيـــلا » وقوله تعالى : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » وكان الأستاذ محمد عبد الوهاب البناء قد أخذ معه غذاء يكفي لجماعة كبيرة يشتمل على أنواع الإطعمة وصلينـــا الظهر وتغدينا على العشب نتمتع بجمال الطبيعة ونظافة الهواء ولذة الطعام .

الجمعة ٨/٦/١٣٧٠ هـ – ١٦/٣/١٩٥١م

خطبتي في قويسنا

سافرنا اليوم مع الشيخ محمد الغزالي إلى قويسنا وصلينا الجمعة وخطبنا الشيخ الغزالي ، وطلب مني إلقاء كلمة وكنت أريد أن أفسر سورة العصر ، فإذا هو يسبقني إلى تفسيرها ، فأخذت آية مما قرأ الشيخ الغزالي في الصـلاة وهي قوله تعالى ، « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لـكم عدو مبين » وشرحت كيف يكون العبد حرباً لربه ، وحذرتهم من ان يكونوا في حرب مع الله وهي مشاقة أوامر الله والإباء من اجرائها على النفس ، وقلت قد يكون المسلم مصالحاً مع ربه ما دام في المسجد فإذا خرج منه عـاد محارباً لله فتكون نسبة محاربته لله مـــع صلحه معه ، نسبة وقته الذي يقضيه خارج المسجد بوقته القليل الذي يقضيه في المسجد ، فلينظر كل أحد ما نصيب

المحاربة في حياته ، فليترك الحرب مع الله وليدخل في السـلم ، والمسلمون لا يستحقون النصر ولا يجلبون إلى انفسهم الرحمة حتى يدخلوا في السـلم كافة ، وخطب بعدي الشيخ أحمد سليمان العشماوي خطبة حماسية بليغة ذكر فيها أن محنة الإخوان زادتهم إيماناً وحماسة ونشاطاً وقوة والحركة انتشاراً ورسوخاً ، وسمعت أنه عذب في السجن كثيراً .

السبت ٧٠/٦/٩ هـ - ٥١/٣/١٧ م

جاء في الصباح الأستاذ صاوي شعلان ، وكلما جاء تجددت ذكرى شاعرنا العظيم محمد إقبال وهبت نفحة من نفحات الهند الإسلامية تلك النفحة التي تحمل معها شذى الإيمان وأريج الحب والحنان ، ومكث الاستاذ ينشدنا قصيدة مولانا الرومي في زيارة رومي لأمير المؤمنين عمر وسؤاله عن هذه المهابة التي ملكت قلبه وسرها ، وقد نظم الاستاذ صاوي هذه القصيدة بالعربية وأنشدنا إياها وأبدى رغبته في ترجمة حديثي (من العالم الى جزيرة العرب ومن الجزيرة الى العالم) الى الشعر العربي ، وأهديت اليه نسخاً من « اسمعي يا مصر » وأبدى استعداده لنقلها كذلك الى النظم العربي .

في منزل الشيخ حسنين محمد مخلوف

توجهنا في الساعة الثانية عشرة الى حلوان فقد دعانا فضيلة الشيخ الاستاذ الكبير حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء لتناول الغداء في منزله العامر بحلوان، وتفرجنا في الطريق على القرى والأرياف وكان السفر ممتعاً ، ووصلنا ووجدنا الشيخ في انتظارنا في منزله ، فرحب بنا وفرح لقدومنا .

استأذنا فضيلة الشيخ وقد أهدى الينا مجموعة من رسائله ومنشوراته ومجموعة

من مؤلفات والده العظيم الشيخ محمد حسنين مخلوف مدير المعاهد الدينية بالأزهر وعضو كبار العلماء سابقاً .

تقليد الاجانب جنون ذو فنون

وخرجنا لزيارة حديقة حلوان وقد دهشت برؤية تماثيل بوذا في الحديقة وصف من التماثيل ، وقلت لصديقي الكريم أحمد عثمان أي داع لنصب هذه التماثيل في هذا البلد الاسلامي وقد طهرها الله من هذه الأوثان ؟ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيراً اهبطوا امصراً ، فقال متهكماً : هذه حديقة نسقت على طراز الحدائق اليابانية فأراد منشؤهـا أن تضاهي هذه الحديقة الحدائق اليابانية في كل شيء ، حتى في الأوثان وتكون صورة صادقة لها وقد أنفق اسيادنا المصريون آلافاً من الجنيهات على هذه التماثيل فلا حول ولا قوة إلا بالله . ان تقليد الأجانب في الحقيقة جنون ذو فنون .

الاثنين ١١/٦/٧٠ هـ - ١٩/٣/٥١ م

مع سعادة الشيخ محمد صادق المجددي

بعد العصر زارنا الاستاذ عبد الله الكابلي وخرجنا معه لزيارة سعادة الشيخ محمد صادق المجددي سفير أفغانستان واجتمعنا بسعادته في السفارة الأفغانية بالزمالك وجلسنا معه مجلساً طويلاً ، وظل سعادة الشيخ يتكلم معنا في أمور ، وصلينا خلفه المغرب وتعرفنا بنجليه الكريمين وسررنا بهذه الزيارة ، فإن سعادته لا يمثل الحكومة الافغانية فحسب ، بل يمثل ذلك البيت العظيم الذي له منة على كل مسلم في الهند ؛ وتربطنا به روابط دينية وصلات روحية قديمة ، وكان جدنا الكبير السيد علم الله النقشبندي خليفة السيد آدم النبوري وهو خليفة الامام الرباني الشيخ احمد السرهندي صاحب الطريقة المجددية .

الثلاثاء ١٢/٦/٧٠ هـ - ٢٠/٣/٥١ م

مقابلة الاستاذ مصطفى مؤمن

ذهبنا الى الاستاذ مصطفى مؤمن ، وقد عرفته في دهلي عام ١٩٤٧ وقد جاء يمثل الإخوان المسلمين في المؤتمر الآسيوي الثقافي ؛ واجتمعت به مراراً مع الصديق الجليل الاستاذ محمد عمران خان الندوى الإزهري ، وتعرف بعضنا ببعض ، وكانت لي رغبة في الاجتماع به وسألت عنه فأخبروني أنه اعتزل الإخوان وانه يحرر في صحيفة « الزمان » ، وذلك لم يعقني عن زيارته لأني كنت أعرف فيه رجلاً مؤمناً مثقفاً نشيطاً صاحب مواهب ، والحياة الإنسانية ذات عقد وتركيب عجيب ، فلا يستطيع الإنسان بسهولة أن يعرف مشاكل الإنسان وتطورات فكره ،وعلى كل فقد اجتمعت به وحيّا بعضنا بعضاً وجددنا ذكريات الأيام الماضية وقلت له بصراحة : أنا أقابل سيادتك بصفة الاستاذ مصطفى مؤمن الذي جاءنا في الهند يمثل الإخوان المسلمين لا بصفة محرر صحيفة الزمان و... و .... وكان لا يزال يتذكر إقامته القصيرة في دهلي وحوادث تلك الايام والمجالس التي اجتمعنا فيها وطلب مني حديثاً ينشره في « الزمان » فوعدته به.

الاربعاء ٣/٦/٧٠ هـ - ٢٠/٣/٥١ م

في كلية الشريعة

ذهبنا في الساعة التاسعة صباحاً لزيارة كلية الشريعة . ثم دخلنا في درس الاصول وكان ، فضيلة الشيخ عبد الله موسى يدرس كتاب « منهاج الوصول في علم الاصول للأسنوي » وكان يقرر المسئلة ويحاضر بها من غير استعانة بالكتاب ، ولا شك انه كان قوياً بارعاً في محاضرته ، ثم خرجنا من الازهر بعد ما أخذنا فكرة مجملة عن منهاج التدريس واسلوبه ، وكانت فكرة لاثقة بمقام

الازهر العلمي ولكنها غير لائقة بمقام الازهر الديني ، فلم نشعر بروح دينية ولا بجو ديني يذكرنا بالسلف ويتفق مع حياة العلماء وسيرتهم ، ولم نشعر إلا ونحن في القسم الشرقي في جامعة مدنية فلا روح الخشوع ولا سكينة العلوم الدينية – القرآن والحديث – ونفحاتها التي يشعر بهـــا الداخل في مدارسنا الدينية الهندية ؛ أما اللحية فكأن سادتنا علماء الازهر قد اجمعوا على حلقها .

في دار العشيرة المحمدية

وذهبنا إلى دار العشيرة المحمدية وخطب الشيخ زكي إبراهيم ثم الحاج جلال حسين ، ثم القيت خطبة استلفت فيها الحاضرين إلى الخروج الى الارياف للدعوة والاتصال بالشعب ، والى ان ينظموا رحلات أسبوعية الى الريف المصري ، ثم تبعني الاستاذ عبد العليم ، وخطب خطبة حماسية اعتاد الناس أن يسمعوها وينصرفوا ولا يخلو الخطباء ولا السامعون من هذه التبعة ، فقد تعودوا ان يلقوا خطباً كانت أقل منها تقيم القيـــامة في العصور الأولى ، ولا تزال تؤثر تأثيراً كبيراً وتغير الوضع في بعض الأحيان في الأمم الحية ، وقد تعودت الجماهير أن تسمع هذه الخطب وتهضمها وتمضي ، فقلت للاستاذ : لا بد أن نصل الى نتيجة عملية وإني أرى القلوب متأثرة فلا بد ان يعزموا على شيء فطلب الاستاذ منهم توفير وقت للخروج في يوم الجمعة الى بعض الأرياف ، فتقرر الخروج في الجمعة التالية الى بلد العامرة ووعد كثير من الحاضرين بالخروج في هذه الرحلة إن شاء الله .

يوم الخميس ١٤/٦/٧٠ هـ – ٢٢/٣/٥١ م

جاء الاستاذ البهي الخولي في الساعة العاشرة ومكث ساعة وقرأت له مقالة « الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها » واقترح عليّ ترجمة كتابه : « تذكرة الدعاة » فأبديت رغبتي في ذلك واستعدادي له .

مع طلبة الأزهر

وفي الساعة الرابعة بعد العصر ذهبنا الى الأخ عبد الخالق وقد سبقنا اليه عدد من طلبة كليات الأزهر ، فألقيت كلمة في موضوع العناية بتغذية الإيمان وتنميته وعدم إستعداد الجو المدني لذلك وإعراضنا عن هذه الناحية في التربية، مع أننا لسنا أقل حاجة لذلك من العامة ، وشرحت لهم بعض طرق هذه التربية ، منها مطالعة كتب السيرة وأخبار الصحابة رضي الله عنهم، والخروج من هذا الجو المدني الفاسد الى بعض الضواحي مع الطلبة ، والاشتغال بالدعوة الى الله . وأخبرتهم بأنا خارجون غداً الى القناطر الخيرية ، ونرحب بمرافقتهم فوعد كلهم بذلك .

من بيت الأخ عبد الخالق توجهنا الى دار جمعية الشبان المسلمين لزيارة اللواء محمد صالح حرب ولكن لم نجده ، فجلسنا قليلاً عند الاستاذ عبد القادر مختار ورجعنا الى محلنا .

يوم الجمعة ١٥/٦/٧٠ هـ — ٢٣/٣/٥١ م

ركبنا سيارة ووصلنا الى القناطر ، وهنا لحقنا الاستاذ لقمان الهندي شيخ رواق الهنود ، تجولنا في حدائق القناطر ، وتفرجنا على متنزهاتها ، ومشينا بين أشجارها وأزهارها ، ورأينا نظام القناطر ذلك المشروع العظيم والتنظيم الخطير الذي استطاعت به مصر أن تنتفع بمياه النيل وتسقي بها مزارعها وبساتينها ، وتنظم الري حسب ضرورتها ، وقد أفاد القائمون على نظام القناطر وإدارتها من ماء النيل ، فسقوا حدائق ذات بهجة ، فأصبحت هذه القطعة كلها حديقة غناء ولم ندخل فيها إلا وذكرنا كشمير وحدائقها مثل « شالامار » و « نسيم باغ » و «نشاط باغ» ولا شك أن بعض الحدائق هنا لا تقل في نضارتها وبهجتها عن حدائق كشمير ، الا ان بعض حدائق كشمير تمتاز بأن لها طبقات،

فهذه الطبقة الأولى من الحديقة وعليها الطبقة الثانية فالثالثة ؛ وكانت هذه الرحلة من غير شك رحلة لطيفة ممتعة يرجع الفضل فيها الى صديقينا المخلصين الاستاذ البنا والاستاذ المرشدي جزاهما الله على هذه المحبة خير الجزاء .

* * *

وصلت جماعة الطلبة كما تقرر بالأمس ومعهم رهط على أهل قليوب الذين رافقوهم من الطريق ، صلينا الجمعة في المسجد اللاصق بالمحطة ، وكان الخطيب من الجماعة الشرعية ، القى كلمة طيبة مفيدة قبل الصلاة في معنى التوحيد ، واجتمعوا بعد الجمعة في هذا المسجد ، والقيت كلمة قصيرة بعد الصلاة ، وتكلم الإستاذ محمد عبد الوهاب البناء في جماعتنا في موضوع التوحيد ونفي الشرك والاستعانة بغير الله ودعائه والاستعانة به وغير ذلك ، فكان له وقع حسن .

في نكله

وبعد الصلاة توجهنا الى نكله وقد سبقنا اليها الأخ عبيد الله والأخ محمد معين ، وتغدينا هناك مع الجماعة ، وهذه القرية تبلغ عدد نفوسها أربعة آلاف أو يزيدون ولأنصار السنة فيها أنصار كثير ، ولها فيها فرع تام وقاعة للمحاضرات ، اجتمعنا فيها مع أخواننا وقد أكرمونا جد الإكرام ، والتفوا حولنا ووجدنا فيهم روحاً طيبة ، وبعد العصر القيت كلمة وجيزة ذكرت فيها أن نعمة التوحيد أجل نعمة ينعم بها الله على عبد ، وهي النعمة التي حرم منها رجال لم نكن أشرف ولا أزكى ولا أقرب الى الإنبياء منهم ، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهي نعمة تستحق أكبر شكر ، ومن شكرها القيام بالدعوة اليها ونشرها بين الناس .

السبت ٦/٦/٧٠ هـ – ٢٤/٣/٥١ م

في مكتب الارشاد للاخوان

جاء الاستاذ صاوي شعلان وقد ترجم بعض أبيات إقبال التي أمليته إياها

قبل اليوم ، وعرضت عليه بعض الأبيات الفارسية من « جاويدنامه » أريد أن أنقلها وأستشهد بها في محاضرتي يوم الأربعاء في دار العلوم فكتبها على ورق بآلة الكتابة ، وكان منظراً غريباً فالأستاذ مكفوف البصر وكان يكتب كالمبصرين والآلة تشتغل ، فما لبثنا أن رأينا نقوشاً ناتئة على القرطاس ما نراها الا نقطاً بعضها فوق بعض وبعضها جنب بعض لانفقه لها معنى ، ولكن الاستاذ يقرأها كما تقرأ صحيفة مكتوبة وأنشدنا الأبيات الفارسية التي أمليناها .

الأحد ١٧/٦/٧٠ هـ = ٢٥/٣/٥١ م

اشتغلت بإعداد محاضرتي التي سألقيها ان شاء الله في كلية دار العلوم عن شاعر الإسلام محمد اقبال ، والوقت قليل والعمل طويل والكتب التي استند اليها وآخذ منها لا توجد هنا ، كل ما استطعت ان احصله ديوان (بانك درا) ومجموع مقالات اسمه « حكمت إقبال » و « شاعر الشرق » باللغة الإنجليزية للأستاذ أنور بيكا فاعتمدت على ذاكرتي واقتصرت على هذه الكتب ، وبدأت أكتب ، وأعانني الله.

مع الشيوخ الشباب

خرجنا بعد الظهر الى دار العشيرة المحمدية ومن هناك توجهنا الى منزل الشيخ زكي ابراهيم ، وهو كما وصفه بنفسه برزخ بين مدينة الأحياء ومدينة الأموات ، فهو في آخر القاهرة بعد الأزهر وأول الجبانة بني هو فيها ، ووجدنا هنا جماعة من الضيوف وتلاهم آخرون وأكثرهم أصحاب الفضيلة أو أصحاب المشيخة وقد جمع الاستاذ زكي ابراهيم مجموعة طيبة من مشايخ الطرق ، وان كانوا شباناً وبعضهم مثقفون الثقافة الأدبية أو الجامعية كالاستاذ التفتازاني شيخ الطريقة التفتازانية ، وهو شاب يجمع بين ثقافة الازهر وثقافة جامعة فؤاد متخرج من كلية الآداب وقد قدم كتاباً للدكتوراه .

وقد تذكرت برؤيتهم مشايخ بنجاب الشبان المثقفين المدنيين الذين يجمعون بين المشيخة التي وصلت اليهم بالوراثة من غير كد أو اعداد لها أو تربية روحية وبين الافندية وقد يجمعون بين المشيخة والوظيفة الرسمية ، وجلسنا بعد الغداء، وحضرتني كلمة في مسئولية أصحاب الطرق في هذا العصر وأن قوتهم التجرد من الشهوات والتغلب على اغراء الماديات والزهد في ما عند الناس من مال وجاه، فبذلك وحده يستطيعون أن يحاربوا المادية في هذا العصر ويهزموا دعاتها ، ويؤدوا رسالتهم الروحية والدينية ، أما بتقليد أهل العصر والاندماج في مجتمعهم والاندفاع وراء التيارات المدنية فلا يستطيعون أن يعملوا شيئاً ، ولا بد من حركة ونشاط ودعوة والا ضاعوا وابتلعتهم المدنية فيمن ابتلعتهم .. الخ

يوم الثلاثاء ١٩/٦/٧٠ هـ — ٢٧/٣/٥١ م

خرجنا بعد المغرب الى دار جمعية الشبان المسلمين وصادفنا هناك الاديب الكريم سيد قطب فعاتبنا على عدم الاتصال به بعد المرة الاولى وقال قرأت « اسمعي يا مصر » وأرجو أن تسمع ، قلت: إذا سمعتم فقد سمعت مصر، وكان موعد محاضرة الشيخ أحمد الشرباصي عن كتاب التصوير الفني في القرآن لسيد قطب فتناوله بالبحث والتحليل ، وكانت محاضرة فنية دينية علمية .

الأربعاء ١٠/٦/٧٠ هـ — ٢٨/٣/٥١ م

محاضرتي في دار العلوم عن الدكتور محمد اقبال

بعد صلاة العصر توجهنا إلى دار العلوم ووصلنا قبل الخامسة وجلسنا مع الاستاذ محمد مبروك استاذ التاريخ الاسلامي في الدار نتحدث عن تاريخ دار العلوم ومكانتها في مصر ، وعن دار العلوم وندوة العلماء في لكهنو ومركزها في الهند ثم دخلنا في مدرج علي باشا مبارك وهو خاص بالطلبة والمستمعين

وقدمني الاستاذ مبروك ، وافتتحت المحاضرة وكانت تقاطع بتصفيقات حادة وهتافات الإخوان ، وكان عنصر الإخـوان بارزاً ومتحمساً ، وكان يظهر ان شعر محمد إقبال والتعليق عليه يصادف هوى في قلوبهم ويعبر عن شعورهم ، وقد أرضت المحاضرة وعقبها الاستاذ مبروك بكلمة وتلاه طالب بقصيدة وعقب الاستاذ فريد عبد الخالق بكلمة خطابية متحمسة ، ثم جلسنا بعد الصـلاة نتحدث عن إقبال وعن الجيل الجديد والعالم الإسلامي ، وشارك في الحديث الدكتور محمد يوسف موسى استاذ الفلسفة في كلية أصول الدين ، والاستاذ عبد الحكيم عابدين وكيل الإخوان المسلمين ، والاستاذ عمر الدسوقي استاذ الأدب في دار العلوم والاستاذ مزيد عبد الخالق وقـد كان الاستاذ عمر الدسوقي من كبار المعجبين بالمحاضرة وبشخصية محمد إقبال وقد فطن لروح المحـاضرة وعمادها . قال : إن أكبر ما نميز محمد إقبال عن شعراء عصره هو أنه كان صاحب رسالة وقد استخدم شاعريته لرسالته ، ومـع الأسف إن شعراءنا في هذا العصر ليسوا بأصحاب رساله ، ولي كتـاب في الشعر العربي الحديث . والاستاذ من تلاميذ شيخنا الدكتور تقي الدين الهلالي قرأ عليه في بون ويعرف صديقنا الاستاذ مسعود عـالم الندوى وكان من كتاب الفتح من سنة ١٩٢٦ م

الخميس ٢١/٦/٧٠ هـ — ٢٠/٣/٥١ م

في جبهة علماء الازهر

كان موعدنا الساعة الخامسة مساء اليوم في جبهة علمـاء الأزهر للاجتماع بأعضائها ، فذهبنا ، وهناك وجدنا جماعة من كبار علماء الأزهر .

وتقدم فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي وحياني بالنيابة عن الجبهة واقترح على الجبهة الاتصال الثقافي بالهند ومراسلة طلبة الأزهر وطلبة المـدارس الهندية الدينية وتنظيم الرحلات الدعوية والنشاط الديني في الأرياف والقرى ، وقمت فرددت على تحيته واستلفت نظر علماء الأزهر إلى نشر الدعوة الدينية خارج

الأزهر وتهيئة الشعب لقبول مبادىء الدين وتربيته الدينية . وقلت . يعتقد كثير من الناس أن اصول المدارس في داخلها ، وأنا اعتقد أنها في خارج المدارس وهي في نفوس الشعب فإذا كانت تستمد غذاءها ورواءها من التربة كانت المدارس مخصبة مخضرة ، واذا ذويت وماتت وانقطع منها الغذاء والري سرى الذبول في عروق المدرسة وفروعها وأوراقها ولم يمكن إعادة الحياة والخصب اليها عن طرق صناعية ، واذا كان في الشعب إقبال على الدين واهتمام به وشعور بالحاجة الى العلم كان الاقبال على المدارس بطبيعة الحال ، واذا انصرف الشعب عن الدين وزهد فيه تبعه الانصراف عن المدارس والزهد فيها بطريق الأولى ، فالمهم إيجاد الوعي الديني والشعور بالحاجة الى العلم في العامة ، فإذا وجد هذا فصدقوا أن الشعب لا يصرفه عن المدارس شيء ، وان المدارس تنال منه كل مساعدة وتشجيع وإقبال وعناية ، والا اصبحت جزراً متقطعة ويثور عليها الشعب ويعارضها ، والأمر التالي هو إقبال الأزهر على البعوث الإسلامية والعناية بتربيتها وتزويدها بالثقافة الإسلامية والتربية الخلقية والدينية والسهر على تعليمها وتقويمها الخلقي ، فإن هذه البعوث تقصد مصر لأجل الأزهر من أنحاء بعيدة ومن الاقطار الإسلامية وغير الإسلامية ، وأملها قوي في انها تنال كل إرشاد وتوجيه من الأزهر الشريف أكبر جامعة دينية في العالم وفي مصر الإسلامية مركز الدين والعلم ثم لا تتحقق آمالها ، وها نحن نرى شباب العالم العربي والعالم الإسلامي يهيم على وجهه ويسرح ويتمشى من غير شغل ولا يوجد موجهاً ولا مربياً ، فهذه مأساة دينية كبيرة ووصمة عار على الأزهر ، ولو أحسن الأزهر وعلماؤه توجيه الشباب وانتهزوا الفرصة لكان هذا حقلاً كبيراً لدعوتهم وعملاً عظيماً .

وقد نالت هذه الكلمة تأييد أعضاء الجبهة وأبدوا موافقتهم ودراستهم لهذه الاقتراحات ، وتقرر عود المجلس الى النظر في هذه الاقتراحات في جلسته يوم الجمعة .

وللجبهة مواقف محمودة في الذب عن الدين والرد على أعمال الملحدين والسعي في تحفيظ القرآن ، وقد أظهرت نشاطها في ذم كتـــاب « الفن القصصي في القرآن » واستنــكار تبجح الفتيات وتمردهن الى غير ذلك .

وكان في هذا الاجتماع رئيس الجبهة فضيلة الشيخ محمد الشربيني عضو جماعة كبار العلماء والشيخ ابراهيم النجار المدرس بكلية أصول الدين ، والاستاذ أحمد الشايب استـــاذ كلية الآداب في جامعة فؤاد والشيخ محمود خليفة والشيخ أحمد فريد والاساتذة حسن وهدان ، ومحمد العتريس وأبو زيد شلبي والدكتور محمد يوسف موسى والشيخ أحمد أحمد علي صالح بكير والشيخ عبد العظيم بركة .

الجمعة ٢٢/٦/٧٠ هـ — ٣٠/٣/٥١ م

في العزيزية

سافرنا مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي الى بنها حيث قصدنا دار الحاج عبد الله النبراوي ومن بنها ركبنا قطار العزيزية ووجدنا جماعة كبـيرة من الإخوان في انتظارنا وصلى الشيخ محمد الغزالي وخطب كالعادة ، وجلسنا في بيت من بيوت الحاج عبد الله عامر وحضر الغداء ، وقدم الى بعض الحاضرين بعض الاسئلة عن الهند فرددت عليها ، ثم قمنا في المساء إلي المحطة والجمع لا يفارقنا ، فتذكرت أيام حركة الخلافة في الهند ولم يتركونا إلا عند تحرك القطار فانصرفوا مودعين، وقد تركوا في نفوسنا أثراً طيباً وصورة خالدة لحبهم وإخلاصهم .

يوم السبت ٢٣/٦/٧٠ هـ — ٣١/٣/٥١ م

مع الاستاذ سيد قطب

ذهبنا لزيارة سيد قطب وتحدث عن محاضرة « محمد إقبال شاعر الإسلام »

وقال : سررت بهذه المحاضرة كثيراً وقد رأيت بين أفكار محمد إقبال وبين وجهة نظري توافقاً غريباً قد تخطى المعاني الى الكلمات خصوصاً في ما يخص الوجدان والروح ، وإني لشديد الشوق الى دراسة إقبال ونصوصه وقد أرجأت لذلك تأليفي « لحظات مع الخالدين » وأرجو أن تزودوني بالكتب عن إقبال ودواوين شعره فوعدته بذلك ، ورجاني أن أواصل المحاضرات قبل مغادرتي لمصر .

قلت للاستاذ : اليست عندكم فكرة في زيارة الهند والباكستان ؟ قال بلى وعندي باعثان الى هذه الزيارة الباعث الديني والباعث الطبعي ، أما الباعث الديني فواضح فإني أريد أن أزور هذه الأمة الإسلامية العظيمة ، وأما الباعث الطبعي فلأن جدنا السادس كان هندياً وهو الفقير عبيد الله ولا تزال السحنة الهندية موروثة في أسرتنا ، وسررنا بذلك كثيراً وعزّزنا رغبته في هذه الرحلة وأهدى إليّ الاستاذ نسخاً مما بقي من مولفاته « النقـــد الأدبي » و « كتب وشخصيات » و « طفل من القرية » و « أشواك » وأهدى الى زملائي « العدالة الاجتماعية في الإسلام » و « التصوير الفني في القرآن » و « مشاهد القيامة في القرآن » وقد كان أهدى إليّ هذه الكتب في الزيارة الأولى .

الأحد ٢٤/٦/٧٠ هـ - ١/٤/٥١ م

حديث الى طلبة الازهر الاتراك

كنا طلبنا من الأخ ضياء الدين علوي التركي وهو شقيق صديقنا علي علوي أفندي المدني أن يعقد اجتماعاً للطلبة الاتراك في الأزهر لنتحدث اليهم ونتعرف بهم ، فعقد اجتماعاً بعد المغرب في لوكاندة بغداد حضرته مجموعة طيبة من الطلبة الأتراك ، وسررنا بالاجتماع بهم والتعرف اليهم ، ونشطت للكلام لأني وجدت الحيوية فيهم والنشاط ، وتمثل لي ماضيهم الاسلامي المجيد وحسنات أسلافهم

وأعمالهم الإسلامية الخالدة ؛ ثم إني رأيت هذه الشبيبة لهذه الأمة العظيمة ضائعة مهملة في مصر ، لا تلقى فيها مشجعاً ولا مساعداً علمياً ولا موجهاً دينياً فهم كزرع كريم لا يتعهده أحد بالسقي والحراسة فتعيث فيه الحيوانات.

افتتحت الكلام وذكرت صلة مسلمي الهند الروحية بالأتراك وحبهم فيهم وما تحملوه في سبيلهم من أذى وعذاب في عهد حركة الخلافة . وذكرت آثار أسلافهم وجلائل أعمالهم في تاريخ الإسلام ، وقلت لهم : ان مسئوليتكم أيها الطلبة عظيمة ضخمة لا أعرف لشباب إسلامي هذه المسئولية ، وستواجهون اذا رجعتم إلى بلادكم مشاكل معقدة ومسائل خطيرة لا أظن شباباً يواجهها في قطر من الأقطار الإسلامية ، ومهمتكم في مصر كذلك عظيمة ومدة وجودكم فيها ودراستكم للدين فرصة فريدة لا تجدون أحسن منها لإعداد النفوس وتربيتها وفهم الإسلام الصحيح ؛ ولكن ثقوا كذلك بأنه لا يعينكم فيها أحد ولا يعينكم إلا أنفسكم فانصحوا لأنفسكم وكونوا لها أوفياء مخلصين ، وأعلموا أن كل ساعة تنفقونها في هذه البلاد محسوبة على أمتكم وبلادكم ، وإنما تنفقونها من رصيد أمتكم فدققوا في إنفاقها وتحرزوا من اتلافها ، واتقوا الله في أمة بعثتكم ووضعت ثقتها فيكم وعقدت بكم الآمال ، ثم ذكرت لهم كيف ينتهزون هذه الفرصة ، وكيف يفيدون من هذا الوقت ، فذكرت لهم توجيهات ونصائح ، منها أن أول مهمتكم أن تفهموا الإسلام فهماً صحيحاً والسبيل إلى ذلك القرآن والسنة والسيرة النبوية ، وذكرت لهم طريق تلاوة القرآن والتدبر فيه فلا يقرأونه إلا وهم يعتقدون أنه انزل جديداً وأنه أنزل لهم . قلت : وبذلك تستطيعون أن تستلهموا القرآن وتتذوقوه . ثم الاعتناء بالتربية الروحية والخلقية والمحافظة على الفرائض والتحرز من التحلل . والتجنب عن ضياع الأوقات والاشتغال بما لا يعني ، ثم لا بد لكم من أن تفكروا دائماً كيف تخدمون بلادكم من الناحية الدينية إذا رجعتم اليها وتستعدون لها . ومن وسائل هذا الاستعداد دراسة الدعوة الإسلامية والحركات الدينية في مختلف الأقطار الإسلامية والاطلاع على

تاريخ المجددين الدينيين ومشاريع التعليم وأساليب الدعوة والتمرن عليها في مدة اقامتكم هنا ، وسوف أشرح ان شاء الله في الاجتماع القابل بعض الحركات الدينية في بعض البلاد الإسلامية ، ثم أشرت عليهم بمطالعة بعض الكتب التي تشرح الفكرة الاسلامية وتبعث الروح الديني وتمد للتفكير الإسلامي السليم ومواجهة المسائل التي حدثت في هذا العصر .

وعلق طالب تركي اسمه علي أرسلان تبدو على وجهه آثار النجابة والذكاء على كلمتي بلغته التركية ، وكنا جميعاً مسرورين بهذا الاجتماع ويا ليته استمر وتعدى الى جاليات أخرى كالسودانيين والاريتريين والمغاربة والفلسطينيين وغيرهم ، فإني أعتقد أن الدراسة وحدها لا تكفي أبداً حتى تكون معها رسالة وفكرة وغاية وروح وتوجيه فكري ديني ، ولا يمكن ذلك إلا عن طريق هذه الاجتماعات غير الرسمية أو الأشخاص الذين يتطوعون لهذه الخدمة والدعوة ، ولا أظن الأزهر بما هو فيه من مسائل وشواغل يتفرغ لهذا العمل .

الثلاثاء ٧٠/٦/٢٦ هـ — ١٩٥١/٤/٣ م

مقابلة عبد الرحمن عزام باشا

مر بنا الاستاذ محمد رشاد عبد المطلب في الصباح وأخبرنا بأنه حدد موعداً مع معالي عبد الرحمن عزام باشا للمقابلة اليوم الساعة الثانية عشرة ظهراً ، وهكذا كان ، فتوجهنا الى الإدارة في دار الجامعة ولم يخبره أحد بوجودي في الإدارة ، وعلى وشك انتهاء الميعاد المحدد أخبره أحد الموظفين فطلبني واعتذر عن عدم علمه بوجودي وقال : انه على موعد مع معالي صلاح الدين بك وزير الخارجية ، فيريد مني موعداً آخر يتسع للكلام والجلوس فوعدته بذلك ، وأهديت اليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم) والمؤلفات الصغيرة .

الأربعاء ٧٠/٦/٢٧ هـ – ٥١/٤/٤ م

في اجتماع الطلبة الفلسطينيين

كنت قد رجوت الأخ ياسين الشريف أن يعقد اجتماعاً للفلسطينيين خاصة فانتهز فرصة اجتماعهم في الحفلة الأسبوعية لناديهم ، وطلب مني أن أحضره فحضرت هذا الاجتماع وتكلمت غير نشيط للفتور الذي كنت أشعر به ، ومما قلت : ان لنصر الله أسباباً معلومة مذكورة في القرآن ، ومن أهم أسباب هذا النصر الإيمان والإخلاص في إعلاء كلمة الله : « ولينصرن الله من ينصره » فلا بد للجهاد والحركة من الإيمان والاحتساب ، ولا يقصد الا رضا الله وامتثال أمره .

انتقادي لزعماء المسلمين

ومع الأسف قد تجرد أكثر زعمائنا وأبطالنا وقادة الحركات السياسية والحزبية من هذا الروح والفكر ، وتشبعوا بالمادية والمصالح الشخصية أو الروح الوطني والقومي ، ودرسوا تاريخ الحركات السياسية والانقلابات في أوربا فحاولوا أن يقلدوها ويعيدوها في الاقطار الإسلامية ، واجتهدوا في تطبيقها في ميدان الجهاد الإسلامي فوكلهم الله إلى نفوسهم وخذلهم ، فلا بد من تجديد الروح الديني واستحضار الثواب والفضائل حتى نستحق من الله النصر والتوفيق .

كيف ننقذ فلسطين ؟

وقلت لهم : كونوا على ثقة بأن الدول والشعوب لا تنصركم ولا تنقذ فلسطين ، إنما تنصرون أنفسكم اذا صدقت نفوسكم وصحت عزائمكم ، وملكت

فلسطين عليكم مشاعركم وتفكيركم وشهواتكم، وإنما مثلكم ومثل الدول والشعوب الأخرى كمثل الكلب والغزال ، قال له الكلب : لمـــاذا لا أدركك وأنا شديد الجري عداء ؟ قال .. لأنك تعدو لسيدك وأنا أعدو لنفسي ! فهذه الدول لا تستطيع أن تكون جادة في مسألة فلسطين مثل مـــا يمكنكم ، فربوا أنفسكم وأحسنوا القيام عليها حتى تنقذوا وطنكم العزيز وتردوه إلى الاسلام والمسلمين .

وعقب فتحي البلعاوي وهو طالب بكلية اللغة العربية على هذه الكلمة والقى خطبة حماسية بليغة .

الخميس ٧٠/٦/٢٨ هـ - ٥١/٤/٥ م

مع الطلبة الاتراك

وصلنا بعد الساعة السابعه الى لوكاندة بغـــداد حيث تقرر اجتماع الطلبة الأتراك، وانتظرنا قليلاً حتى تكامل الجمع فتكلمت وشرحت لهم طريق الدعوة بعد رجوعهم إلى بلادهم ، ونصحت لهم بالمبادرة إلى الدعوة على إثر وصولهم الى بلادهم قبل أن تشغلهم تكاليف الحيـــاة أو تبتلعهم دعوة أخرى أو جهود في ميدان آخر ، وأنه لا بد لهم من الجمع بين الاتصال بالشعب والجمهور عن طريق الدعوة والإرشاد .

الجمع بين الاتصال بالجمهور والاتصال بالطبقة المثقفة

ووصفت لهم الدعوة الدينية في الهند وأساليبها والرحلات الأسبوعيـــة والشهرية الى القرى والمدن، وفائدة الاتصال بطلبة الكليات والجامعات والطبقة المثقفة عن طريق المقابلات الشخصية والنوادي الأدبيـــة والعلمية وعن طريق النشرات الدينية والمحاضرات التي تبث فيهم روح الدين وتوجه عقولهم توجيهاً دينياً ، وذكرت لهم ما لهذه الطبقة من أهمية ونفوذ ، وما جر ويجر على الاسلام والأمة إهمال هذه الشبيبة والإعراض عن توجيهها الديني وتربيتها الاسلامية من

بلاء وشقاء وذكرت طرق الاتصال بهم والنفوذ في عقولهم ونفوسهم ، ومـــا يتطلب ذلك من استعداد ومؤهلات ودراسة ومطالعات ، وثقافة ومعلومات ، وعزمت عليهم الجمع بين هاتين الطبقتين وأن لا بد من الاستعداد والجهاد في سبيله حق تتفادى بلادهم العزيزة مـــا أصيبت به في الماضي من فصل الدين عن السياسة والعداء بين المتدينين والمتمدينين وسحب الدين ورجاله من ميدان الحياة واتجاه الدولة الاتجاه اللاديني .

وقيد الأخ ضياء الدين علوي التركي النقط البارزة في الخطبة ووعد بترجمتها الى اللغة التركية وإلقائها في الاجتماع القابـــل ، وعلق على هذه المحاضرة الأخ علي أرسلان التركي ، وقابلهـــا جميع الطلبة بسرور عظيم وإخلاص وترحيب كبير .

الجمعة ٧٠/٦/٢٩ هـ — ٥١/٤/٦ م

جولة في الريف

سافرنا إلى الحامول وقصدنا بلد العامرة نمشي بين الحقول والمزارع الخضراء والجو لطيف والهواء نقي منعش ، فكانت رحلة ممتعة ، ولم نشعر إلا وكأننا في قرية جميلة من قرى الهند، وقصدنا المسجد وصلى بنا الاستاذ زكي ابراهيم وخطب خطبة الجمعة ، والقيت بعد الصلاة كلمة ، وقصدنا محطة الحامول يشيعنا جمع كبير من أهل العامرة وشبرا بلوله ، وركبنا القطار إلى مصر ووصلنـــا بين المغرب والعشاء .

السبت غرة رجب ١٩٧٠ هـ — ٥١/٤/٧ م

في اتحاد اندنوسيا

كان الأخ الشيخ عبدالله قد اتفق مع الاستاذ ذو الكفل محمد الاندنوسي على

عقد اجتماع لزملائه الأندونوسيين في دار اتحاد أندونوسيا القي فيه كلمة خاصة بالأندونوسيين ، وقصدنا دار الاتحاد في ميدان لاظوغلي، واستقبلنا هناك الاستاذ ذو الكفل وزملاؤه،وما زلت من مدة طويلة معجباً بنشاط إخواننا الاندونوسيين وذكائهم ، وكان منهم عندنا عدد من الطلبة في دار العلوم في لكهنو ، يمتازون بنشاطهم واجتهادهم ورزانتهم ، ولا أزال أذكر الطالب النجيب الاستاذ محمد عدنان الندوي من سمائرا . فكان من خيرة من أفاد من دراسته في مدرستنا وأقام في الهند وقد درس الأردية ودرس شعر إقبـــال ، وكتب عن الهند وثقافتها الإسلامية .

دور الشباب في توجيه البلاد الاسلامى

جلسنا قليلاً في غرفة من دار الاتحاد وتعرفنا بالإخوان وأكـــثرهم طلبة الأزهر ، ثم حضرنا في قاعة المحاضرات وقدمني شاب من طلبة كلية الحقوق في جامعة فؤاد وهو أندونوسي مولود في القاهرة ، ولغته عربية فصيحه،ثم تقدمت والقيت كلمة تليق بهذا المقام ، وتتفق مع عقيدتي القديمـة ودراسي وتجربتي ، فقلت لهم ان دولة أندونوسيا الوليدة محط أنظار المسلمين الآن ، وهي تشارك دولة باكستان في الأهمية والآمـــال الإسلامية ، ولو وفقت هاتان الدولتان الجديدتان القويتان ، لمثلتا دوراً عظيماً في التاريخ ، وأدتا رسالة الإســـلام في العصر الحديث ولكن ذلك يتوقف على توجيه المعارف توجيهاً إسلامياً وسبك التعليم في البلدين سبكاً جديداً واقتناع رجال الحكم والتعليم برسالة الاسلام وإيمانهم بها وتشبعهم بروحهـــا واتجاههم بالدولة ووسائلها والشعب وقواه إلى الحياة الاسلامية والحكم الاسلامي ، وهنالك تقع المسئولية على أكتافكم أيها الشباب الاندونوسيون ، فإن أحسنتم هضم تعاليم الاسلام واحسنتم تمثيلهافي بلادكم، واتصلتم برجال الحكومة وموجهي البلاد ورجال المعارف والطبقة المثقفة اتصالاً وثيقاً متيناً وأثرتم في عقولهم تأثيراً حسناً ، وتملكتم زمـــام التعلم والثقافة

والأدب وكل ما يؤثر في عقول الناشئة ونفوسها في بلادكم فأخضعتموه لرسالة الاسلام وجعلتموه أداة ووسيلة للتوجيه الاسلامي والتربية الصحيحة، واستطعتم أن تتسربوا في عقلية البلاد وأدبها وصحافتها بذكائكم ومهارتكم ورقة أدبكم وشخصيتكم العلمية فتتجه هذه البلاد العظيمة اتجاهاً إسلامياً وتخدم الاسلام خدمة عظيمة ، أما إذا قصرتم في الاستعداد العلمي والروحي وأداء رسالتكم والاتصال بالشعب ورجال الحكومة والتعليم والنفوذ في عقليتهم وتزعم البلاد التعليمي والادبي فلا ينفعنا ولا ينفع الاسلام قيام هذه الدولة نفعاً كبيراً ؛ فليس الشأن في وجود دول وقيامها وإنما الشأن في تنظيمها على أساس الدين وحسن تصرفها وحسن تمثيلها للاسلام .

الاحد ١/٧/٧٠ هـ - ٨/٤/٥١ م

رحلة الى المحلة الكبرى

حضر الاستاذ عبد الرحمن جانو وصاحبنا إلى المحلة الكبرى وكان قد اتصل بصديقه الدكتور سعيد طبيب الاسنان وعضو الجمعية الشرعية العامل ورئيسها في المحلة بالتليفون من طنطا ، وأخبره بقدومنا فاستقبلنا مع أصحابه وصلينا المغرب في مسجد الجمعية ، وذهبنا الى بيته حيث تناولنا العشاء ، ورجع الاستاذ جانو على أثر ذلك إلى مصر وصلينا العشاء في مسجد الجمعية وصلى الدكتور محمد سعيد رئيس الجمعية في المحلة ومضيفنا ، فكانت أطول صلاة صليناها في حياتنا ، وخطبت في الناس واقتصرت على بيان الدعوة التي قمنا بها في الهند وما أثمرت من ثمرات ودعوت الحاضرين الى القيام بهذه الدعوة في المحلة والخروج إلى الأرياف والقرى وكان للكلمة، والحمد لله وحده، أثر حسن؛ وكأن الاخوان الشرعيين كانوا متعطشين إلى دعوة عملية وتوجيه عملي ،ورحب الدكتور بهذه الدعوة وحدث في هذا الاجتماع ما كدر الصفو قليلا ، فقد حضره

بعض الاخوان المسلمين وتأثروا لبعض الكلمات في اثناء كلامي فهتفوا هتافهم المعروف ، فثار الدكتور محمد سعيد وأخذته حدة .

الاثنين ٣/٧/٧٠ هـ – ٩/٤/٥١ م

صلينا صلاة الفجر في مسجد الجمعية وطلب مني الدكتور أن ألقي درساً فامتثلت أمره ، وبعد الدرس صلى الحاضرون ركعتي الإشراق ثم تريضوا في المسجد ، ويظهر ان الدكتور نشيط جداً في عمله ، ولعل فرع المحلة الكبرى بفضل رئيسه النشيط أنشط فروع الجمعية الشرعية في مصر وأنماها ، وذلك يرجع دائماً إلى طبيعة رؤساء الجمعيات وأعضائها العاملين ، فإذا وجدت شخصية مؤثرة عاملة نشيطة في جماعة كانت الجماعة كلها نشيطة وعاملة ، واذا كانت عكس ذلك كانت النتيجة بالعكس .

وبعد العصر ألقيت درساً في حفلة السيدات ، ومن خصائصي أني لا أحسن الخطبة المنبرية يوم الجمعة والخطبة في اجتماعات النساء ، وكان يتخلل المجلس التشويش وحديث السيدات وبكاء الأطفال وذلك طابع المجالس النسوية الذي لا يخلو منه مجلس من مجالسهن .

وصلينا المغرب في مسجد الجمعية وخطبت خطبة وجيزة ، وكانت عملية أيضاً ومقتصرة على أصول الدعوة وأساليبها وتجارب الهند ، ورجعنا إلى القاهرة .

الثلاثاء ٥/٧/٧٠ هـ – ١٠/٤/٥١ م

محاضرة في كلية الآداب

كان اليوم موعد إلقاء محاضرتي في كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، وكان موعد الحفلة الساعة الثانية عشرة ، ولعل القائمين بأمر الحفلة حددوا هذا

الموعد ليشارك الطلبة في هذه الحفلة بعد انتهاء الدروس في الجامعة ، مع أنه وقت السآمه والإعياء من الدروس ويصادف وقت الغداء أيضاً .

دخلنا في مدرج المرحوم مصطفى عبد الرزاق وهو قاعة واسعة جـــداً ، ورأيت عدداً كبيراً من الطلبة والضيوف ، وجلست على منصة المحاضرات مع خطباء اليوم وهم الدكتور عثمان امين استاذ كلية الآداب والدكتور محمد محمود الصياد والاستاذ عبد المنعم الكرمي وحضر معالي محمد علي علوبه باشا وسعادة عبد الستار سيت سفير الباكستان في مصر مع آخرين من المستمعين ، وحضر عدد كبير من طالبات الجامعة وجلسن مع الطلبة جنباً لجنب ، وتقدم الدكتور عثمان أمين وألقى كلمته عن الدكتور محمد إقبال وكانت مكتوبة ، وتلاه الدكتور محمد محمود الصياد وقوبلت كلمته التي كان يلقيها شفهياً بالهتافات والاستحسان .

عدم نشاط الطلبة لسماع المحاضرة

وتبعه الاستاذ عبد المنعم الكرمي ، وقد تسربت السآمة – التي لا تحتملها الشبيبة اليوم - إلى النفوس ، وبدأ الجوع يساورهم ، فأبدوا رغبتهم في اقتضاب هذه الكلمة والانتهاء منها سريعاً ، وكان دوري بعد الاستاذ الكرمي ، وكان موقفي حرجاً جداً ، لقد عيل صبر الطلبة – ورصيده دائماً قليل وسريع النفاد عند الشباب المثقف – ثم إني غريب لا يعرفونني ، ومظهري لا يلائم ذوقهم ولا يبعث فيهم الإجلال ، وقد قصر من قدمني إلى المستمعين فلم يذكر اسمي كاملاً ، ولم ينسبني إلى بلدي حتى آخذ نصيبي من احترام الضيوف الأجانب والاستماع اليهم ، ثم كانت الأفلام السينمائية عن الدولة الباكستانية ستعرض بعد محاضرتي فقمت حائلاً بينهم وبين ما يشتهون من التمتع برؤية الأفلام ، افتتحت المحاضرة بعرض حياة الدكتور محمد إقبال فطلب مني الدكتور عثمان أمين أن أطوي هذا الفصل وآخذ في الموضوع فافتتحت المحاضرة وأنا منكسر الخاطر ، فما مضيت قليلاً حتى تلقيت منه إشارة الاقتضاب وكان يطلع الضجر في وجوه الطلبة

ويسمع همساتهم ، ومضيت في المحاضرة طمعاً في أن تشغل المستمعين وتثير فيهم الذوق والإعجاب ، فقد كنت واثقاً بما اشتملت عليه المحاضرة من معان سامية ومادة غزيرة ، وقلت مخاطباً للحاضرين : إني ضيفكم وحضرت بدعوتكم ، فأرجو أن تعيروني دقائق حتى أستطيع أن ألقي هذه المحاضرة ، ولكني وجدت أن هذه الكلمة أيضاً لم تصادف آذاناً صاغية، وبجانبي المشرف على هذه الحفلة يطالبني بالانتهاء من هذه المهمة التي لا تلقى الترحيب ، ويأتيني آت فيخبرني ان السيد إلطاف حسين محرر جريدة « الدون » الباكستانية وهو عضو الوفد الصحافي سيخطب ، ونفد صبري فجلست وأنا منكسر الخاطر متهدم الأعصاب ثائر الفكر ، فقد منيت من الإعراض والانصراف بما لم أعرفه طول عمري ، وقبل ان تعرض الأفلام خرجت مع جماعتي وتبعني الاستاذ عبد الحكيم عابدين ، وجاء على أثري الشيخ عبد الوهاب بك خلاف ، فاعتذر إلي فهونت الخطب وقلت لا بأس وأظهرت التجلد ، وسمعت بعض الناس يقولون : إن هذه المعاملة القاسية كانت بإيعاز الطلبة المسيحيين ، لأن المحاضرة كانت صريحة جداً في الإشادة بالمسلم ، وقد وردت فيها بعض عبارات شائكة لغير المسلمين مثل قول محمد إقبال : « إنك أيها المسلم حق وحدك ، وكل ما عداك سراب خادع ودرهم زائف » إلى غير ذلك وأظن أن أسباب هذا الحادث كانت طبيعية تافهة ترجع إلى سوء التقدير في تحديد الموعد ، وكون المحاضرة يغلب عليها الطابع العلمي وكل ما يدعو هؤلاء الشبان إلى شيء من إجهاد الفكر بغيض ثقيل ، وعلى كل فقد انتهى هذا الفصل من الرواية وقد تلقيت عنه دروساً نافعة وإن كانت قاسية قليلاً ، أدعو الله ان ينفعني بها .

الأربعاء ٧٠/٧/٥ هـ - ٥١/٤/١١ م

دار المنار وصاحبها

كنا اتفقنا مع صديقنا الشيخ أحمد الشرباصي على زيارة دار الهلال اليوم

وتناول الغداء في بيته ، واجتمعنا عند جامـــع السيدة زينب ، وقصدنا دار الهلال ومررنا في طريقنا بدار المنار فتذكرت صاحبها العظيم ووقفت عندهـا وقلت للشيخ الشرباصي :

ما في وقوفك ساعة من بأس تقضى زمـــام الأربع الأدراس

ودخلنا مكتبة المنار وتجولنا قليلاً في مطبوعاتها :

زيارة دار الهلال ووصفها

ودخلنا دار الهلال ، وهــاك وصف هذه الدار وهذه الزيارة الممتعة وهي بقلم صديقنا الفاضل الشيخ أحمد الشرباصي قال : « استقبلنا في دار الهـــلال الاستاذ خليل جرجس خليل مندوباً من الدار ، ليطوف معنا على أرجائها ورحب بنا كل الترحيب ، وجلسنا قليلاً في البهو الكبير الفسيح في الطابق الأول من دار الهلال الهائلة ، وفي هذا البهو يوجـــد مكتب الاستعلامات واستراحة للزائرين كما توجد فيه منافذ لأقسام التحرير والاشتراكات وغير ذلك ، وبدأنا بقسم « جمع الحروف » في الدار ، فرأينا هناك طريقتين للجمع ، الأولى هي طريقة جمع الحروف من الصناديق وتكوين الكلمات ثم السطور منها ، وهي العادة القديمة الشائعة ، والثانية وهي طريقة صب الحروف بسرعة من الرصاص المذاب بوساطة « ماكينة » ضخمة معقدة الأجزاء ، ويكفي هنا ان يضغط العامل على زر خاص بالحرف فيصب ثم غيره وغيره هكذا ، والآلة تكوّن من نفسها الكلمات والسطور ، وترتب الحروف تباعاً بنفسها ، والآلة تسمى اصطلاحياً « ماكينة الانترتيب » ثم انتقلنا الى قسم « البروفات » ، أي تجارب الطباعة التي تؤخذ أولاً للتأكد من صحة المجموع ، وتصحيح الأخطاء التي قد تكون قد وقعت من العامل ، فرأينا أيضاً لهذه التجارب طريقتين : الطريقة

الأولى تؤخذ بوساطة الورق العادي ثم تراجع وتصحح ، والثانية تؤخذ بوساطة الورق الحساس جداً اللامع الشفاف ويسمى « السلوفان » والطريقة الأخيرة نافعة في طريقة الطبع بوساطة الإسطوانة النحاسية التي يطبع عليها ما يكون على ورق « السلوفان » بطرق كيماوية خاصة ، ثم تدار لفات الورق على هذه الأسطوانة ، فيُطبع على الورق ما على الأسطوانة .

ثم انتقلنا إلى قسم التصوير ، فرأينا كيف تؤخذ الصور بالأحجام المختلفة والأوضاع المتعددة ثم ترتب كل صورة في مكانها ، ثم تنقـــل الصور إلى قسم (الرتوش) وهو قسم الإصلاح والتزيين في الصور ، ومهمته أن يصلح ما قـــد يكون في الصورة من عيب أو نقص ، وقد يدخـــل عليها أشياء من التزيين التحسين ، وقد يلونها بالألوان الطبيعيه حتى تخرج الصورة مطابقة للواقع ، ولهم في ذلك وسائل علمية مختلفة من تعدد أصول الصورة وتعدد طبعها وتتابع الوان الحبر عليها أثناء طبعها وهكذا .

وشاهدنا كذلك الإسطوانات النحاسية ، وقد نقشت عليهـــا السطور والصفحات تهيئة لإدخالها في آلة الطباعة ، وشاهدنا هذه الأسطوانات بعد انتهاء الطبع عليها ، وهي تطهر بمواد كيماوية خاصة ليعاد استعمالها من جديد .

وشاهدنا آلة الطباعة الهائلة المدهشة ، التي تسمى آلة (الروتوغرافور) وهي آلة ضخمة الشكل كبيرة الحجم جداً ، فيها أدوات وأجهزة يمكنها أن تطبع المجلة ذات الصفحات التي تعد بالعشرات وتلونها وتطويها وتخرجها أعداداً كاملة ، وذلك بأن تركب في أحد طرفيها لفتان من الورق لتخرج هاتان اللفتان من الطرف الآخر مجلة كاملة مطبوعة بالألوان بمعدل ثمانية آلاف نسخة في الساعة ، ورأينا كذلك أقسام التجليد والتسليك وقص الزوائد من الأعـداد ، وكذلك قسم الإرسال الذي يتولى وضع الأعداد في غـــلافات المشتركين لترسل اليهم بالبريد .

وعلمنا أثناء زيارتنا أن دار الهلال تخرج مجلات المصور والاثنين والهلال باللغة العربية وكذلك مجلة « إيماج » باللغة الفرنسية ، وتخرج مجلة سينمائية تسمى « الكواكب » كما تخرج روايات الهلال الشهرية » اهـ .

هذا ما كتبه الاستاذ الشرباصي عن هذه الزيارة الممتعة لدار الهلال ، وقد سألت العمال عن عدد نسخ (المصور) المطبوعة كل أسبوع ، فأخبروني أنها تطبع مائة الف وخمساً وعشرين الف نسخة ، ولم أزل طول زيارتي لهذه الدار ومشاهدة نشاطها الضخم الهائل ألاحظ واتأسف على أن هذا الصرح الطباعي والأدبي الهائل والمؤسسة المظيمة التي كرست هذه الجهود الكبيرة والأموال الطائلة في سبيل الطباعة والنشر لا تحمل رسالة ولا دعوة ، وإنما هي تجارة وارتزاق على حساب أخلاق الشعب وإيمانه ، فتنشر الصور العارية الخليعة والروايات الغرامية المثيرة للعواطف والمقالات التي لا تعود على القراء بفائدة جدية أو تربية خلقية ، ويتدفق سيل هذه المطبوعات من هذه الدار كل أسبوع وكل شهر ، فيكتسح العالم العربي كله ، ويغزو الحجاز ، ويجوس خلال الديار ، ويدخل على ربات الخدور ، ويسمم العقول والنفوس ، ويفسد المراهقين ومن دونهم في السن ، فضلاً عن الشباب

ساورتني هذه الفكرة طول الزيارة ، ولم أر حيلة إلا أن أهدى لأصحاب الدار والأستاذ فكري أباظه (باشا) المشرف على مجلة المصور نسخاً من رسالتي الصغيرة « اسمعي يا مصر » لعلها تنوب عني وتعبر عن شعوري ورجائي .

وبعدما انتهينا من هذه الزيارة صلينا الظهر في مسجد السيدة زينب وقصدنا بيت أخينا الشيخ الشرباصي ، وهنا حضر الدكتور محمد يوسف موسى وتناولنا غداءاً أطابه إخلاص صديقنا الشيخ الشرباصي ، وعناية أهل بيته ، وحضور

الدكتور محمد يوسف موسى ، ومكثنا هناك بعد الغداء نتحدث في موضوعات دينية وعلمية وقضينا وقتاً من أهنأ الأوقات في مصر .

الخميس ٧٠/٧/٦ هـ - ٥١/٤/١٢ م

عرفنا من الشيخ الشرباصي أمس أن فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف أخبره أنه مريض من أيام ، وهو يعتذر عن عدم زيارتنا والاجتماع بنا هذه المدة ، وتأسفنا بهذا الخبر فإن الشيخ ممن نشعر بانجذاب نفسي اليه ، وعزمنا على عيادته في منزله العامر بحلوان ، وركبنا القطار من محطة باب اللوق ووصلنا في الظهر ودخلنا عنده ، فوجدنا الشيخ الشرباصي قد سبقنا هناك ، جلسنا عند فضيلة الشيخ ساعة ووجدناه يشتكي من عرق النساء ، وكانت النوبة شديدة جداً حتى أصبح رهين الفراش ، لا يتحرك على فراشه إلا بالمساعدة ، ولم يمنعه هذا المرض الشديد من الحديث العلمي والديني والفقهي ، فذكر ما كتبه الحافظ ابن القيم في زاد المعاد عن عرق النسا ، وتكلم في الأدوية التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم ومكانتها في التشريع ، وتكلم في موضوع الصبر وحقيقة الموت ، فكان كلامه كلام المؤمنين .

واستأذناه بعد ساعة لنخفف عنه ، وانصرفنا مع الشيخ الشرباصي ، وكانت رحلة ممتعة معه ، تحدثنا فيها عن شيوخ الأزهر السابقين ، وعن أخلاق الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق وحياته وبره ومواساته لطلبة الأزهر ، وعن أنفة الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغي وكبر نفسه ونفوذه – وافترقنا في محطة السيدة زينب ، فنزل الشيخ الشرباصي هناك ونزلنا عند محطة باب اللوق ، واجتمعنا بالاستاذ وهبه في مكتبته في شارع إبراهيم باشا حيث كتبت عقد اتفاق معه لطبع الرسائل .

حديثي في اجتماع الاريتريين

اجتمع الإخوان الاريتريون المتعلمون في الأزهر في معهد القاهرة على طلبنا واقترحنا ، وحضرت هذا الاجتماع ، وفرحت بلقائهم ونشطت للكلام معهم ، فإني أرجو أن يأتي دور هؤلاء الذين تخلفوا عن قافلة الحياة وانطووا على أنفسهم ، إذا احتضنوا الرسالة الإسلامية ، واضطلعوا بالدعوة إلى الإسلام وقوي إيمانهم به ، وتكلمت في نفس هذا الموضوع وافتتحته بقوله صلى الله عليه وسلم : «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » واستشهدت على صدق ذلك بالتاريخ ، وتلقى الإخوان هذه الكلمة باستماع وترحيب وحيونا وأكرمونا .

في اجتماع الأتراك

ومن هناك توجهنا إلى لوكاندة بغداد حيث اجتمعنا بالطلبة الإتراك ، وقرأ الأخ ضياء الدين علوي ترجمة محاضرتي السابقتين باللغة التركية ، وهو يريد أن يرسلهما إلى بعض صحف تركيا الدينية ، وألقيت كلمة حضرتني كانت خلاصة ما قلته في المرتين السابقتين مذكراً لها . وعقب على كلمتي الأخ علي أرسلان ، واقترحت عليهم الخروج معنا في رحلة صغيرة إلى سنتريس فقبله بعض الطلبة ، رغم قرب الامتحان وصعوبته على الطلبة الإتراك لضعفهم في اللغة العربية ، وكان محمد أمين التركي مسروراً جداً لهذه التوجيهات الدينية والعلمية ، ويقول إنه كان يتلقى هذه التوجيهات في تركيا من الاسناذين الفاضلين علي حيدر والاستاذ محمود جودت ، ولكنه لا يجد هذا الغذاء الروحي والتوجيه الفكري في مصر .

في سنتريس

يوم الجمعة ٧٠/٧/٧ هـ — ٥١/٤/١٣ م

ركبنا من شبرا سيارة أقلتنا إلى سنتريس ، وهي قرية جميلة ريفية بعـــد

القناطر الخيرية في مديرية المنوفية مركزها أشمون على شاطىء النيل ؛ تسكنها أسرة عربية علوية ، صلينا الجمعة في مسجد أهل السنة ، وخطب الاستاذ محمد ماضي من الاخوان المسلمين ، وخطبت بعد الصلاة خطبة حثثت الناس فيها على تنظيم درس ديني عام كل أسبوع ، وتتبع الحالة الدينية في البلد والاتصال بمن لا يحضر في المسجد أو يرى فيه كسل أو ضعف في أداء الواجبات الدينية وترغيبهم بلطف ورقة في التمسك بالدين ودعوتهم إلى المسجد ، وقد قبله الناس.

في جبهة علماء الأزهر

وأدركنا اجتماع جبهة علماء الأزهر وقد يئسوا من قدومنا ، فتكلمنا معهم في موضوع البعوث الإسلامية ، وان تتولى الجبهة مساعدتها وتوجيهها الديني والعلمي وتقيم لهم داراً خاصة يجتمعون فيها ، ويشرف عليها ويحضر جلساتهم استاذ او اساتذة منتدبون من جهة الجبهة ، وأيد هذا المشروع الدكتور محمد يوسف موسى تأييداً قوياً ، ووضع قرار في هذا المعنى سوف يعرض في جلسة مقبلة على أعضاء الجبهة .

وحضر هذه الجلسة الأستاذ الكبير أحمد الشايب الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وعضو جبهة علماء الأزهر ، وحياني ورحب بي ، وذكر أنه سيهدي إلي نسخاً من مؤلفاته الأدبية والتاريخية ، وسوف تصلني عن طريق الشيخ أحمد الشرباصي لصلته بالأستاذ الشايب .

يوم السبت ٧٠/٧/٨ هـ — ٥١/٤/١٤ م

حديث مع الدكتور أحمد أمين عن بعض الشخصيات

ذهبت اليوم مع الأخ محمد معين إلى الإدارة الثقافية بالجيزة ، فقد طال العهد

بالدكتور أحمد أمين ، قابلناه في مكتبه وجرى ذكر المسلمين،فقال حضرته: إن المسلمين تنقصهم شخصية قائدة، قلت : وما رأيكم في الاستاذ حسن البنا؟قال: لقد كان ذا شخصية قوية ورجلا موهوباً ، قال : ومن الغريب أنه كان وهو طالب شاباً حياً خجولاً ، لم أكن أعرف أنه سيكون خطيباً يوماً من الأيام ، وكان تلميذي في مدرسة القضاء،فإذاهو يفاجيء البلاد بخطابته وشخصيته ،وكان له بكل مقام مقال ، فاذا كان في العامــة ملك عليهم فكرهم . وإذا كان في المستشارين القى خطبة تعجبهم وتؤثر فيهم ، وهكذا ، ولو استمر الاخوان المسلمون في الاصلاح الخلقي والاجتماعي لكان لهم شأن عظيم ، قلت : ومــا رأيكم في مستقبلهم ؟ قال : والله لو رزقوا شخصية قوية واقتصر نشاطهم على الاصلاح والدعوة الدينية نجحوا ، ولو لم يرزقوا هــذه الشخصية وانغمسوا في السياسة لكان لهم شأن آخر قلت : أظن أن سعد باشا زغلول كان ذا شخصية قوية ؟ قال نعم وكان من اولئك الذين يسمعون ولا يقرأون ، ولكن لم يكن يستطيع أن يثير العاطفة الدينية ، إنما كان رجلا وطنياً وشعبياً ، قال : ومرة زرته في مكتبه وحدثني وكان حديثاً عادياً ، ولكني امتلأت قوة وحماسة ، حتى كان من تجاوب هذا الروح اني لم استطع ان اركب الترام او سيارة وبقيت ماشياً ، وكان السيد جمال الدين الأفغاني مؤثراً ، يشعل القلب حماسة وحرارة مع انه كان ألكن .

عن تعليم الاطفال

ثم انتقل الى حديث تعليم الاطفال والتأليف لهم ، فقال : إن بعض المدارس تعلم الاطفال مادة ليسوا في حاجة اليها ولا تليق بسنهم وعقولهم ، مثلا ولدى الصغير تعلم في مدرسة ، وقد حفظ دعاء صلاة الجنازة مع أنه بعيد عنه ،ثم أثنى على طريقة الانكليز في ما يضعونه للاطفال فقال : اني اطالع دائرة المعارف

للاطفال فاراها موافقة لسنهم وعقليتهم ، والقصص فيها شائقة . وذكرت الاستاذ كامل كيلاني فأخذ عليه أيضاً انه يأتي في قصصه في بعض الاحيان بعبارات أدبية ، وذكرت له قصص النبيين للاطفال . قال : وكلفتني دار الهلال تأليف كتاب في سيرة هارون الرشيد ، وقد أصبح له دوي عظيم في اوربا وهيام والفضل في هذا يرجع الى حكايات الف ليلة وليلة ، فانها جعلته بطل حكايات كثيرة ، وانه كان يعس في الليل ، ولعل واضعي هذه القصص رأوا مصير ابن المقفع فوضعوا قصصاً وصوروه في صورة بطل .

رحلة الى المحلة الكبرى

كان اليوم يوم السفر الى المحلة الكبرى ، كما كان قد تقرر في الرحلة الأولى وكنا قد طلبنا من الشيخ احمد الشرباصي ان يرافقنا في هذا السفر ، وكان قد قبل هذا الطلب ، وأدركنا القطار الى المحلة ، ووصلنا هناك متأخرين ، وكنا ضيفاً طارقاً عند الاخ الدكتور محمد السعيد احمد ، وفرح بقدومنا وقدوم الشيخ الشرباصي الذي هو معروف بمقالاته ومحاضراته .

يوم الاحد ١٣٧٠/٧/٩ هـ — ١٩٥١/٤/١٥ م .

في نبروه

صلينا الفجر في مسجد أهل السنة ، والقيت كلمة بعد الصلاة ، وطلبت من الحاضرين ان يصاحبونا في رحلة دعوة دينية نقوم بها ، ووقع اختيار الاخوان على نبروه ، وكان اختياراً موفقاً ، وفعلا احضر الاخوان سيارة كبيرة ركبها نحو خمسين رجلا ، واعتذر الشيخ الشرباصى من المرافقة ورجع الى القاهرة ، وصلنا الى نبروه فاحاط بنا الاخوان الشرعيون وأهل البلد المخلصون ، وقصدنا

المسجد وشرحت للحاضرين غاية هذه الرحلة وادبها ونظامها: وبعد صلاة الظهر انقسم الناس في جماعات ، وقصدت كل جماعة قرية من القرى المجاورة لأجل الاتصال بالمسلمين هناك ونشر الدعوة فيهم ، ورجعنا قبيل المغرب الى المسجد ، واجتمع الناس من القرى ومن نبروه وخطبت ، وكان من خطباء الليلة الاستاذ يوسف القرضاوي الذي هو امام في مسجد في المحلة الكبرى ، وخطب خطبة لا بأس بها ، ولم يكن فيها شيء من التعرض لجماعة ، وخطب بعده الاخ الدكتور وثار ثائره مثل الأول،وحدثت ضجةوقام الاخوان المسلمون يهتفون ويحتجون، وختمت الجلسة بكلمة ؛ وكفى الله المؤمنين القتال .

الاثنين ١٠/٧/١٣٧٠ ه – ١٦/٤/١٩٥١ م .

القيت كلمة في الصباح بعد صلاة الفجر وخطب الأخ عبد الرشيد والأخ محمد معين والشيخ عبيدالله ، ورجعنا الى المحلة وقضينا النهار هنا ، وخطب الأخ عبيدالله في السيدات وخطبت بعد صلاة العشاء .

الثلاثاء ١١/٧/١٣٧٠ ه – ١٧/٤/١٩٥١ م .

زيارة شركة مصر للنسيج والغزل

ذهبنا لزيارة شركة مصر للنسج والغزل ، وهي أكبر شركة مصرية للنسج والغزل ومن كبريات الشركات في العالم ، وهي صرح صناعي هائل جدير بأن تفتخر به مصر وبرهان ناطق باستعداد الشرقيين للمشاريع العمرانيـــة وادارة المؤسسات الصناعية والتجارية العظيمة ، يرجع الفضل في هذا المشروع الجبار الذي عاد على مصر وأهلها بخير كبير وانتاج ضخم وتنظيم اقتصادي الى رجل مصر العظيم الاقتصادي الكبير طلعت حرب باشا رحمه الله ، والشركة مدينة

بأسرها تمتد في مساحة واسعة جداً ، وقد رافقنا في هذه الزيارة الاستاذ طه الذي كان يشرح لنا مختلف اقسام الشركة وانواع الماكينات وشغلها ، وهي من احدث طراز ، وكانت مصففة مثل الدبابات والمدافع في ميدان حربي كبير ، وقد مررنا بماكينات الغزل والنسيج والتحويل والتلوين والرسم والتخطيط والتصميم ، ورأينا كيف يمر القطن والخيوط في رحلة طويلة متنوعة شاقة يمر فيها بمرحلة بعد مرحلة ، ومحطة بعد محطة ، الى ان تصل الى نهاية المطاف ، وتخرج في شكل ثياب منسوجة ويشتريها الرجل من السوق وهو لا يشعر بطول هذه المسافة التي اجتازها الثوب ، ويلبسها وهو لا يشعر بالمتاعب التي كانت في سبيل هذا الثوب الذي يكسوه ويزينه ، وقد علمنا ان الشركة تنسج كل عام مائة مليون ۱۰۰،۰۰۰،۰۰۰ ذراعاً ، ومررنا بالمسجد الجميل وانتقلنا الى المطعم العظيم الذي أسسته الشركة للعمال ، وهو يحتوي على ثلاثة آلاف مقعد للطاعمين ، ويكلف كل يوم قرشين للغذاء ، ودخلنا المطبخ ورأينا نظام الطبخ ، ومكان الطبخ والاكل في غاية النظافة والاتقان ، وتراعى فيه اصول الصحة ويكافح المكروب ، ثم ذهبنا الى قسم الرياضة والالعاب ، وهو قائم على أحدث طراز وارقاه ، ودار بنا مديره الذي تلقى التربية في اوربا على اقسامه ، وشاهدنا النشاط الرياضي ، وانتقلنا الى المستشفى ، وهو يضارع اكبر المستشفيات في حسن النظام ، ولكل مرض قسم خاص وجناح في هذا المستشفى ، فامراض الصدر لها مستشفى خاص ، وامراض الاذن والفم والانف وامراض العين الخ ، ولكل قسم طريق خاص به ومنظرة خاصة ينتظر فيها المرضى دورهم حتى لا يختلط مريض بمريض آخر ، ولا تتعدى الامراض ، ويجب على كل عامل أن يذهب مرة كل شهر للكشف الطبي ، وقد رأينا دفتراً خاصاً لكل عامل والاجراءات فيه ، وفي المستشفى ۷۲ فراشاً للمرضى الذين يأخذون العملية الجراحية ، وقد دخلنا في بعض الحجرات وقابلنا المرضى وعدناهم .

ومن هنا انتقلنا على السيارة الخاصة بزيارتنا إلى مدينة العمال العظيمة التي

أسستها الشركة التي كلفتها ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه مصري، والتي تمتد في ٦٧ فدان إنجليزي وفيها مباني تسع ٥٥٠ من المتزوجين الذين يسكنون بأسرهم، و ١٧٠٠ من العزاب، وفي هذه المدينة مستشفى، ومقاصف، وحمامات عامة، ومدرسة للبنين، ومدرسة للبنات، ومستشفى، وملاعب، وسوق يشتري منها العمال حاجاتهم.

ورجعنامن زيارة الشركةومدينة العمال وقد أتخمنا بماشاهدناوسمعناورأينا، والاقسام التي مررنا بها، ويخامرنا سرور عظيم بأن الشركة يديرها المسلمون وهي وطنيـــة شرقية، ونرجو أن تكون الحقيقة مطابقة للشهرة، وسافرنا بقطار الظهر ووصلنا إلى القاهرة قبل العصر والحمد لله على السلامة.

الخميس ١٣/٧/٧٠ هـ - ١٩/٤/٥١ م

حديث مع الدكتور منصور فهمي
حياته الأولى

توجهنا اليوم إلى زيارة الاستاذ الكبير الدكتور منصور فهمي، وقد وفقنا هذه المرة، فوجدنا الدكتور موجوداً في انتظـــارنا، وجلسنا نتحدث في بهو واسع مزخرف على طراز أرستقراطي، وذكر لنا على سؤالي تجاه حياته الأولى فقال انه كان ثائراً على الدين، وكان لا يأبى من المصارعة واستعمال القوة كلمـا اضطر الى ذلك. سمع مرة أن عالماً سودانياً من علماء الأزهر يكفره ويهدر دمه وكان قوياً فذهب اليه في قهوة وبارزه فارتعب منه وجلس معه وملأ مخه بما أراد أن يملأه به وانصرف، وكان العلماء يكفرونه ويتجهمون له فـكان يزيده ذلك بعدا عن الدين وثورة عليه، ولا يزال يذكر حكمة الشيخ حسونة شيخ الجامع الأزهر، فقد قدمه اليه أحد العلماء وذكر للشيخ بعض أرائه المعارضة

للدين ولمقام الرسالة على صاحبها الصلاة والسلام فقابله الشيخ بلطف وقال : قد يخطىء الإنسان وتقع له زلة ، ولم يتجهم له ، فأثرت هـــذه المقابلة الرقيقة في نفسه وهدأت ثائرته .

من أسباب اتجاهه الى الدين

قلت للدكتور منصور فهمي : وأي شيء أثر في نفسكم حول اتجاهكم إلى الدين ؟ فقال : إنما كان شيئاً طبيعياً وإنما أثر في نفسي فشل الحضارة الغربية ، وخصوصاً تفكك الأسرة وانحلال رابطتها ، فإن تفكك الأسرة له أثره البعيد في الحياة والحضارة ، قلت ان فشل الحضارة أول ما يظهر في تفكك الأسر ، قال : نعم .

والمذاهب الهدامة كالوجودية وغيرها التي يحاول الشرق أن يقلد فيها الغرب كلها وليدة الحضارة الغربية المتحرجة عن الأخلاق ، وليست وليدة الحضارة التي خلقت العلوم ونظمت المجتمع ، قال : واندفاع الناس في مصر الى الحضارة الغربية أقوى منه في الهند ،فقد وجد هناك من ثار على هذه الحضارة وتمرد عليها بخلاف مصر .

قلت للدكتور منصور فهمي: قد قرأت لـكم قبل نحو خمس عشرة سنة مقالة بليغة لا تزال معانيها مرتسمة في الذهن ، وكانت في وداع العام الراحـــل واستقبال العام الجديد ، قال : نعم وقد ذكر هـذه المقالة غير واحد وهي في مجموع مقالات نشرت باسم « خطرات نفس » .. ثم قـــام سعادته وأهدى إلي نسخة منها ، قال إنها من وحي الشباب فلا تبحث فيهـــا عن فكر ولا دين ، ولكن اقرأها على علاتها لأنها تسجيل للخواطر وأحاديث النفس .

مركز الدكتور منصور فهمي الأدبي

ويظهر أن الدكتور منصور فهمي كان له مستقبل أدبي باهر ، وكان له أن يحتل مكانة في طليعة الأدباء البارزين في مصر ، ولكنه لم يشتغل بالكتابة والتأليف كثيراً « وآثر المطالعة والعزلة ومقالاته على قلتها ناصعة البيان مشرقه الديباجة ، يظهر أن صاحبها متأثر بالمنفلوطي في اختيار اللفظ الفصيح والعبارات الرشيقة .

ورجعنا من عنده بعد جلسة طويلة وحديث ضاف مفيد .

الجمعة ١٤/٧/٧٠ هـ — ٢٠/٤/٥١ م

صلينا الجمعة في دار الأرقم ، ووصلنا هناك والاستاذ حسين يوسف قائم يخطب في موضوع سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز ، وبعد الصلاة طلب مني القاء كلمة فعلقت على خطبته ، وجلسنا في إدارته قليلاً وتعرفنا بالموجودين هناك .

السبت ١٥/٧/٧٠ هـ — ٢١/٤/٥١ م

في حفلة يوم إقبال

صلينا المغرب في نقابة الصحفيين وحضرنا حفلة يوم إقبال ورأينا فيها الاستاذ عباس محمود العقاد أول مرة ، وسمعنا كلمته في إقبال ، ومحاضرات الأساتذة الآخرين وتأسفنا على أن أحداً منهم لم يدرس إقبال حق الدراسة ولم يعرف رسالته وروحه لأن كتبه ومحاضراته بالإنجليزية لا تؤدي رسالته ولا تعرض فكرته ، إنما هي بحوث في الفلسفة والتصوف وعلم الكلام أو السياسة ، وقد قوي عزمي على نشر المحاضرات التي ألقيتها عنه على قصرها ووجازتها ،

وقد كان الأستاذ عباس محمود العقاد وعد بمقابلتي بعد انتهاء الجلسة وتحديد الموعد لمقابلة خاصة في منزله ، ولكني كنت أغالب مرض الحمى الذي قد بدت طلائعه فرأيت من الخير أن أنصرف إلى منزلي قبل أن يغلبني .

الأحد ٧٠/٧/١٦ هـ – ٥١/٤/٢٢ م

بقيت اليوم متأثراً بالحمى ومتعباً ، ولم يكن ما يستحق التسجيل .

الاثنين ٧٠/٧/١٧ هـ – ٥١/٤/٢٣ م

ذهبنا اليوم إلى جمعية الشبان المسلمين ، وقدمنا كمية من رسائل « اسمعي يا مصر » « من غار حراء » لتوزع على فروع الجمعية ، وزرنا مركز لجنة التأليف والترجمة والنشر .

يوم الخميس ٧٠/٧/٢٠ هـ – ٥١/٤/٢٦ م

في بيت الشيخ صبري عابدين

أصابني من أمس قلص شديد ، وانزعاج بتأثير أدوية المـــلاريا ، وبقيت متكدراً طول اليوم ، وجاء اليوم ميعـــاد الغداء عند فضيلة الشيخ صبري عابدين فذهبت مع زملائي إلى مصر الجديدة ، وقابلنا في الطريق الشيخ محمد أبو العيون من علماء الأزهر فرحب بنا ترحيباً حاراً ، وأرشدنا إلى بيت الشيخ صبري ، وهو طول الطريق يشكو من تحلل المصريين الخلقي واستهتـــارهم ، ويحكي حكاية حفلة المحافظة على القرآن الكريم وكيف كانت البنات سافرات ، وأذن للمغرب على الميكرفون ، وأخر المحتفلون صلاة المغرب رغم الأذان ، حتى ضاق صدر الاستاذ وصلى مع عدد من الحاضرين ، وأخرج على مخبأه رسالة « إسمعي يا مصر » وقال : لا أزال أستصحبها ، وعزم علينا التعريج على بيته

في الرجوع وفعلنا ورجعنا من بيته شاكرين فضله وعرجنا على بيت الشيخ محمود أبي العيون وشربنا عنده الشراب البارد ورجعنا إلى محلنا .

الجمعة ٧٠/٧/٢١ هـ - ٥١/٤/٢٧ م

ظللت النهار منزعجاً مضطرباً قلق الخاطر ، لا أتذكر أني أصبت بمثل هذا القلق من زمان وساورتني هموم وأحزان ، وملكت علي فكري ، وما ذاك إلا بحرارة القلب الزائدة التي كانت نتيجة الأدوية الحارة وعدم تناول الحوامض والفواكه والمشروبات المروحة كما أوصى الطبيب ، وأردت أن أتروح فقصدت بعض الأماكن ، ورجعت إلى غرفتي فوجدت زميلي الشيخ عبيد الله في مثل حالتي أو أشد ، فكلنا « ركاب سفينة واحدة » .

يوم الأحد ٧٠/٧/٢٣ هـ - ٥١/٤/٢٩ م

قصدنا الإدارة الثقافية بالجيزة ، وقابلنا الدكتور أحمد أمين وسألته عما تم في شأن طبع كتاب جنة المشرق للسيد الوالد عليه رحمة الله ، فقال : من رأي الاستاذ محمد فريد أبو حديد الذي عهدت اللجنة اليه النظر في هـــذا الكتاب وإبداء الرأي أن الكتاب قيم ويشتمل على مادة غزيرة ، ولكنه في حاجة إلى الاتمام وزيادة فصول في تاريخ الهند بعد احتلال الانكليز ، فلو تكفلت بهذه الزيادة فلا مانع من طبع الكتــاب ، فأبديت استعدادي لذلك ، وسآخــذ الكتاب من إدارة اللجنة .

طلب مني محفوظ أفندي أن أكتب كلمة وجيزة على كل فصل من كتـــابي الجديد « إلى الإسلام من جديد » كتقديم لهذا الفصل إلى القراء؛ ووجدت نفسي عاجزة عن الكتابة في هذه الايام ، وقد خمدت القريحة فكأنها لا تسيل أبداً ، فرأيت أن أستعين في ذلك بالصديق الكريم الشيخ أحمد الشرباصي الذي لا

يحتاج في الكتابة إلى عناء أو إجهاد فكر ، وزرته في بيته وعرضت عليه الأمر فقبل ووعد بذلك من غير امتناع أو اعتذار .

يوم الاثنين ٧٠/٧/٢٤ هـ — ٥١/٤/٣٠ م

عيد شم النسيم في مصر

اليوم يوم شم النسيم ، وهو عيد مصر المعروف ، وهو كعيد « بسنت » أو يوم الربيع عند الهنادك في بلادنا و « النوروز » في إيران ، وهو اليوم الذي يخلع الشعب فيه أعذاره ويجن باللهو والمجون ، ورأينا الناس يتوجهون الى النيل زرافات ووحدانا ، ويقصدون الحدائق العامة رجالاً ونساء ، ويطرح كثير منهم الحشمة في هذا اليوم ويثور على التقاليد والأوضاع ، وكثيراً ما تشم رائحة الخمر .

ذهبت الى مطبعة الحاج حلمي المنياوي وصححت تجارب كتاب « شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال »، وفاجأنا في محلنا الشيخ أحمد الشرباصي بمقدمات مقالاتي التي طلبتها منه أمس ؛ ولم أكن أنتظر أنه سيتمها في يوم واحد ، فكان السرور عظيماً ، واذا هذه الخلاصات بليغة مركزة ، فصيحة العبارة، تتجاوب مع المقالات ومقاصدها ، ولا شك أن الشيخ الشرباصي عجيب في سرعة الخاطر وارتجال الكتابة ورشاقة العبارة .

يوم الجمعة ٧٠/٧/٢٨ هـ — ٥١/٥/٤ م

في جامع الظاهر بيبرس الجاشنكير

زارنا فضيلة الشيخ محمد صبري عابدين في محلنا ، وقدم تكرم بالزيارة مرتين وخرجنا معه الى جامع الظاهر بيبرس الجاشنكير ، والشيخ يستعرض التاريخ

في الطريق ، ويذكر تاريخ المباني والجوامع التي يمر بها ، ومنها زاوية «السلطان صلاح الدين » التي كان كبار المشائخ والعلماء يتنافسون في تولي الشياخة فيها لعظم الأوقاف التي تشتمل عليها هذه الزاوية ، ووصلنا الى الجامع وصلينا الجمعة فيه ، وهذا هو الجامع الذي كان الإمام السيوطي يتولى الاشراف على أوقافه ، وامتنع مرة عن دفع ريع الأوقاف الى الرجال الذين لا يشتغلون بالعلم والذكر حسب شروط الواقف، ويقضون أوقاتهم في البطالة ، فثار عليه أولئك وألقوه في ميضأة في وسط الجامع ولم يخرج الا بمشقة ، واجتمعنا بعد الصلاة بالشيخ تمام النقشبندي ، وهو خليفة الشيخ محمد أمين البغدادي أحد كبار المشائخ النقشبندية في مصر ، والذين يرجع اليهم الفضل في انتشار هذه الطريقة في هذه الديار ، وصادفنا هنالك صديقنا محمد رشاد الذي يتردد كثيراً الى الشيخ .

يوم السبت ٧٠/٧/٢٩ هـ – ٥١/٥/٥ م

ذهبنا بعد الظهر الى حلوان ، وعدنا فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وصادفنا صديقنا الشيخ الشرباصي، ومن بيت فضيلة الشيخ توجهنا لزيارة الاستاذ سيد قطب ، فقد طال العهد بزيارته ، وكنا قد نسينا عنوانه في البيت فلم نهتد اليه على كثرة السؤال وكثرة الدوران فرجعنا الى القاهرة .

يوم الأحد ٧٠/٧/٣٠ هـ – ٥١/٥/٦ م

ووصلنا الى الجبهة وقابلنا الدكتور محمد يوسف موسى ، وكانت مقابلته غاية هذه الرحلة الشاقة وثمرتها ، وتحدث عن كتابي الماثل للطبع « الى الاسلام من جديد » وقال لعل الوحدة التي تربط هذه المقالات والمحاضرات المكتوبة في ظروف مختلفة ومناسبات مختلفة هي إعادة الثقة الى نفوس المسلمين بدينهم ورسالتهم ؛ قلت : نعم ، وعجبت من حسن ملاحظة الدكتور وسلامة تفكيره .

يوم الاربعاء ٧٠/٨/٣ هـ – ٥١/٥/٩ م

في ضيافة سماحة المفتي

ذهبنا اليوم الى سماحة المفتي السيد أمين الحسيني في شارع محمد علي بمصر الجديدة ، وتغدينا مع سماحته مع جماعة من الضيوف الكرام ، وكان الغداء شهياً فاخراً أقرب الى ذوقنا الهندي ؛ وكان حديث سماحة المفتي عذباً رقيقاً كعادته فكان ذلك يزيد في الأنس واللذة .

يوم الخميس – يوم السبت ٤و٥و٦/٨/٧٠ هـ – ١٠و١١و١٢/٥/٥١ م

لم يكن في هذه الأيام الثلاثة غير الزيارات العادية وبعض المقابلات اليومية ما يستحق أن ينوه به غير زيارة فضيلة الشيخ أحمدعبد الرحمن البنا والد فضيلة الشيخ حسن البنا في منزله ، وقد زارنا يوم السبت الاخوان الأعزاء يوسف القرضاوي ومحمد الدمرداشي وعبدالله آل عقيل وفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي والدكتور خليل عشماوي .

يوم الأحد ٧/٨/٧٠ هـ – ١٣/٥/٥١ م

حديث مع المفتي

ذهبنا لمقابلة سماحة المفتي السيد أمين الحسيني في مكتبه في شارع رمسيس بمصر الجديدة ، وكانت هذه المقابلة من أمتع المقابلات التي جرت بمصر ، وان كانت قد جرحت الفؤاد وأثارت الأحزان ، وبعثت الاسى على حالة المسلمين ، تحدث معنا سماحة المفتي طويلاً في جلسة خاصة ، وتحدث عن تاريخ جهاد فلسطين ومطامع اليهود السافرة حتى طمعهم في احتلال المدينة المنورة وخيبر ومستعمرات اليهود القديمة ،ومطالبتهم بذلك بكل صراحة والتهيؤ والاستعداد له ،

ونفاق الانجليز وكيدهم للمسلمين ، والروح الكامنة في نفوسهم ، بـل البادية في أحاديثهم واعمالهم : « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » وسذاجة الشعوب الاسلامية وسرعة انخداعها ، وأخطاء الدول العربية وغفلتها عن مصيرها ، والأخطار الصهيونية التي تهدد كيانها ، واشتغال ملوك العرب بنفوسهم وترفهم ، وجناية الجامعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بهـذه القضية ثم تقاعدها عنها ، وعزل الشعب الفلسطيني المجاهد عن السلاح ، وتسليم المناطق العربية الى اليهود ، فلا تركت الشعب الفلسطيني الغيور الباسل يواصل جهاده ، ولا أغنت عنهم شيئاً وحلت محلهم ، وذكر اضطهـاده وكيف طوقه المستعمرون الإنجليز وجعلوه في شبه جزيرة منعزلة لا يستطيع أن يقوم بدوره في قضية فلسطين حراً مطلقـاً ، وكيف كتفوا يديه وكيف حالوا بينه وبين إخوانه الفلسطينيين ، حتى أبوا عليه بطرق غير مباشرة أن يتصل بهم في مصر وفي غزة ، وكيف سافر خلسة مرة إلى غزة فاستعادوه إلى مصر ، وكيف أصبح اللاجئون في غزة فريسة الجوع القاتل والتبشير النصراني والدعايات الشيوعية ، وكيف رفضوا أن يتصل بهم ويقوم بنشاط دعوة إسلاميـة ، وكيف يمنعون بريده من أن يصـل اليهم بواسطة وكلاء الصهيونية في دوائر البريد ، وكيف نسجوا حوله نسائج من شائعات وأراجيف ليشوهوا سمعتـه ويسقطوا مكانته ويفقد الفلسطينيون ثقتهم به ، قال : ولكنا مع ذلك مصممون على مواصلة الجهاد مهما كان ولا نيأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وكان حديث سماحة المفتي مشجياً ، وكان يتجلد ويكف الدموع ، فإنه معروف بعصاميته وجلادته ، وقد لمحت في حديثه إلى أي مدى وصل انحطاط المسلمين وجهلهم بالحقائق ونكرانهم لرجالهم ، وإلى أي حد نجحت سياسة المستعمرين ، وكيف طمست البصائر واشترت الذمم والضمائر وعبثت بالأفكار والعقـول ، فالله المستعان ، وقد رجعت من عند سماحة المفتي حزينـاً منكسر الخاطر ،

وعرفت أنه لم يخطئه حظه ، حظ زعماء المسلمين والمصلحين .

وقد أثنى المفتي على الشهيد حسن البنا رحمه الله ، وأثنى على الإخوان المسلمين المجاهدين في فلسطين ، وأثنى على رجولتهم وقوة إيمانهم وحماستهم، وقال : كان الواحد منهم قد يقابل عشرات من اليهود ..

يوم الاثنين ٨/٨/٧٠ هـ - ١٤/٥/٥١ م

في حفلة تكريم الوفد السوداني

كنا اتفقنا مع الشيخ الشرباصي على زيارة جمعيـــة الشبان المسلمين ومقابلة رئيسها العام سعادة محمد صالح حرب (باشا) الذي رجع من أسوان بعد مـدة طويلة ودخلنا في مكتبه بدار الجمعية ، فوجدنا ضيوفاً محترمين ؛ منهم سكرتير الملك الذي ينوب عنه في هـذه الحفلة؛ ومعالي محمد علوبة باشا ، وقابلني سعادة محمد صالح حرب (باشا) بحفاوته المعروفة وبشاشته العادية، وقدمني إلى سكرتير الملك ومعالي علوبة باشا ، وذكر معاليه أنه يعرفني ، وقدمت إليه نسخة من « شاعر الإسلام » التي ظهرت قريباً ، وحضر سماحة المفتي السيد أمين الحسيني وتلقاني بالبشر ، وأشار إلى معالي محمد علوبة (باشا) وقال : هذا السيد أبو الحسن الذي كان يزورنا في الفندق في لكهنو وأخذنا الى دار العلوم ، فوافـق عليه علوبة باشا وقال : أذكر ذلك ، وحضر كذلك سعادة السيد محمد صادق المجددي وزير أفغانستان المفوض في مصر ، وأهديت اليـه نسخة من « الدعوة الإسلامية وتطوراتهـــا في الهند » ثم أشار معالي حرب (باشا) فقمنا وقصدنا ميدان الرياضة في دار الجمعية ، وتكامل جميع الضيوف السودانيين ، وتفرجنا على الألعاب الرياضية والجمبازية والمناورات العسكرية ، وكان لها أثر عميـق في النفوس وهزت مشاعري ، وانا دائمـاً - مع ضعفي ونشأتي البعيدة عن الأعمال العسكرية والرياضية - اهتز لمشاهدتها ومظاهرهـا ، وعرفت كيف تؤثر البيئة

والجو الحربي في نفوس المقاتلين ، ووثقت أني لو كنت في هذا الجو لم أمتنع من إجابة داعيه الروحي ، ثم دخلنا الى قاعة كبيرة لتناول العشاء ؛ وكان العشاء فاخراً ملوكياً ، وجلست مع الشيخ الشرباصي : وشيخ كلية اللغة العربية الأزهرية ، والشيخ عبيد الله إلى ضيوف آخرين ، ثم خرجنا الى قاعة أخرى ، ورأينا استعداد الموسيقى وتمثيل رواية « بلال » فخرجنا معتذرين .

يوم الخميس ١١/٨/٧٠ هـ — ١٧/٥/٥١ م .

صحت عزيمتنا على زيارة السودان ؛ فاستشرنا في ذلك سعادة محمد صالح حرب (باشا) فاستحسنها ، وأثنى على السودان وروحه الدينية وحفاوته برجال الدين ودعاته ، واتصل بالاستاذ محمد حسن مساعد وكيل حكومة السودان بالتلفون ، وطلب منه أن يقدم إلينا كل مساعدة في موضوع السفر الى السودان ويرشدنا الى الاجراءات اللازمة بشأن هذا السفر .

وقابلت اليوم الشيخ محمد حامد الفقي ، وقدمت اليه نسخة من « الدعوة الاسلامية وتطوراتها في الهند » فلم ترضه إشادتي بالصوفية ، ونصيبهم في الدعوة الاسلامية في الهند ، وانتقدهم انتقاداً شديداً ، ووصفهم بالوثنية وقال: لأجل أن تطلع على رأيي في الصوفية أقدم اليك رسالة العبودية ، ففيها تعليقاتي ورأيي في الصوفية ، وقال : وقد تفردت في رأيي عن الصوفية عن الشيخ ابن تيمية أيضاً فإنه يستثني أمثال الجنيد ، ولكني لا أستثني أحداً ؛ وقال: انا غير مرتاح الى كتاباتك وآرائك ، لذلك لم ينشرح صدري ولم أنشط لزيارتك في محلك ، وأنا أشم من كتبك رائحة الاشتراكية ، لأنك دائماً تنكر في كتبك على المادة والمادية وتشيد بالزهد والفقر ، وهذه نزعة اشتراكية ، وأعتقد ان المادة لها أهمية كبيرة ، ولم ينكرها الاسلام ، ولم يدع الى مكافحتها ومعارضتها ، وان الأموال لا بأس باقتنائها والتكثر منها ، وان النعيم لا بأس به ، وان الدولة الأموية ليست حيث ينتقدها الناس ، وان المادية لا تهم شيئاً ولا تستحق أن

يعتني بها الداعي ويشتغل بانكارها ونفيها وان موضوع الدعوة هو تربية الشخصية واظهارها واستعمال القوى ، وما خلق الله في الكون من خيرات وخزائن الاستعمال الصحيح ، وهذا الذي يدور حوله القرآن ويلهج به ويسمى خلافه الظلم ، اما ما عدا ذلك فمسائل فرعية ، حتى الزنا لم يذمه القرآن إلا في مواضع معدودة لأنه متفرع في الحقيقة عن وضع الشهوة في غير موضعها ، فالأصل إستعمال هذه القوة ، والمهم ان يربي الانسان شخصيته وينمي قوته ، ويستقل بتفكيره حتى يعتقد ان الرسول لا يمتاز عنه إلا بالوحي .

قلت لفضيلة الشيخ : ليست كتاباتي وانتقاداتي للمادية إلا لطغيانها وإسراف الناس فيها وكرد فعل ضد هذه النزعات المادية ، وانا أعتقد ان التوحيد هو الأساس الذي يجب ان تبنى وتقوم عليه الدعوة ، وقد أطلعت حضرتك على كلامي في هذا الموضوع في الرسالة « من الجاهلية الى الاسلام » التي طبعها أحد اخوان جماعة انصار السنة ، قال الشيخ : وذلك أيضاً غير واضح . وأكدت لفضيلته أني بريء من كل مذهب متطرف ونزعة غير أسلامية ، وقد درست الاشتراكية والشيوعية وفهمتها وانا اعارضها وأراهما معارضين للاسلام الصحيح ، قال الشيخ : انا أعرف انك رجل طيب ونيتك سليمة ، وقد بقيت متتبعاً لسيرك في مصر وحركاتك فعرفت انك لا تقصد إلا الخير .

الجمعة ١٢/٨/١٣٧٠ هـ – ١٨/٥/١٩٥١ م

زرنا الوكالة السودانية وعرفنا الاجراءات اللازمة والخطوات التي لا بد أن نتخذها إذا سافرنا الى السودان ، ومنها ان تضمن لنا السفارة الهندية وان نحصل على التصريح بالعودة الى مصر ، وصلينا الجمعة في مسجد الشامية جنب جبهة علماء الأزهر خلف الشيخ احمد الشرباصي وسمعنا خطبته البليغة العصرية وكان موضوعها « الاسلام إصلاح لا ثورة » وقد استعرض فيها ما يتغنى به الناس من مبادىء الثورة الفرنسية ، ثم أظهر الفروق الواسعة بينها وبين مبادىء العدالة

والحق والمساواة والأخوة في الاسلام ، مفضلاً الاسلام عليها ، واوضح طريقة الاسلام في الاصلاح .

السبت ١٣/٨/١٣٧٠ هـ - ١٩/٥/١٩٥١ م

مقابلة معالي مولانا ابو الكلام أزاد

قضينا النهار في السفارات المختلفة والدوائر المتعددة للحصول على التأشيرات والتصريح بالعودة ، وذهبنا بعد صلاة العشاء مع الاستاذ الفاروقي واعضاء الجالية الهندية الى مطار فاروق حيث استقبلنا معـــالي مولانا ابو الكلام أزاد وزير الهند في طريقه الى لندن وكان ذلك في نصف الليل ، وكان مولانا أزاد متعباً تبدو عليه آثار الشيخوخة والاعياء ، وجلس معنا على مائدة الشاي يتحدث واحاط به مراسلو الصحف يوجهون اليه أسئلة في سياسة الهند واحزابها وغاية سفره ، وهو يجيبهم تارة بالانجليزية وطوراً بالعربية وهو معروف باللباقـة في الحديث والتحفظ فلم ينجح المراسلون في اختلاس الاسرار ، وكان جوابه دائماً وجيزاً مركزاً وكان يستشهد في بعض الأحيان ببعض الآيات القرآنية فـكان الصحفيون يعجبون لذلك ، وأدركت انه بعيد العهد بالحديث بالعربية ومع ذلك استطاع أن يتكلم بلغة القرآن ، وذكاؤه ونبوغه مما لا يكابر فيه معارضوه ، ولما شعرت بأنه لم يعرفني مع أنه نادرة في التذكر أردت ان اتعرف اليه وتقدم الاستاذ ابو النصر فعرفني فأقبل علي بالحديث وذكر والدي رحمه الله وأخي ، وسألني عن سيرة الامام السيد احمد الشهيد التي ألفتها وأدلى ببعض المعلومات في هـذا الموضوع تدل على أن السفر الطويل لم يذهله ولم يشغله عن مثل هـــذه الموضوعات العلميـــة .

رأي معاليه في الكتب الحديثة

وسأله الاستاذ ابو النصر عن رأيه في الكتب التي الفت حديثاً في موضوع

الاقتصاد الاسلامي والنظريات السياسية فقال آخذ على هذه الكتب انها تريد ان يساير الاسلام قافلة الأفكار الحديثة والفلسفات الحديثة وتؤول الاسلام على حسبها ، ولا تفهم الاسلام فهماً مجرداً خالصاً من التأثير الخارجي وقال: ومن أعجب هذه الكتب تفسير الجواهري للطنطاوي ولما قرأته ظننت انه كتاب مدرسي في علوم الطبيعة ، قلت : وكيف يتخلص المؤلف من ظلال الظروف المحيطة به وتأثير العصر والافكار السائدة وهل ذلك ممكن ؟ قال : نعم الى حد ما ولكنه صعب ، وكان الحديث علمياً دسماً وذلك عهدي به في مجالسه في الهند ، واخطروه بقرب ميعاد الطيران فقام نشيطاً وودعنا و « كان معنا فطار عنا » كما قال عبد الحميد الكاتب عن مروان ابن محمد .

الاثنين ١٥/٨/١٣٧٠ هـ — ٢١/٥/١٩٥١ م

تجربة غريبة في وزارة الداخلية

ذهبت الى ادارة الجوازات في وزارة الداخلية وكان العمل ربما يستغرق اسبوعاً او اكثر اذا سار الأمر سيره في الادارات وقطع جميع المراحل الشكلية في طريقه الطبيعي ، ولكن الموظف المختص بذلك ترك شغله وذهب بنفسه الى مصلحة الأجانب واكمل الاجراءات ثم عرض المسألة على كل من تتصل به ، وأتم الاجراءات بسرعة ممكنة ولما أردنا ان نقدم اليه بعض الرسائل امتنع وأبى وقال : لقد حلفت أن لا آخذ من أهل الاشغال شيئاً قلنا هذه هدية ليست في مقابلة خدمة ولا مكافأة للصنع ، إنما هي هدية علمية فقال : عندي مكتبة خاصة ولا أستطيع ان أقبل هذه الهدية بحال من الأحوال ، وهذه هي المعاملة الأولى من نوعها جربناها في دوائر الحكومة على اختلاف انواعها واسمائها ، فأعجبنا كذلك هذه النزاهة ولو كانت مصر كلها على هذه الصورة

وكانت مع كل واحد لـكان لها شأن غير الشأن ولـكانت مضرب المثل في حسن الادارة .

زرنا اليوم العالم الجليل الشيخ محمد زاهد الكوثري وجلسنا معه قليلاوأهدى الينا بعض مؤلفاته التي لم يهدها في الزيارة الأولى .

الجمعة ١٩/٨/١٣٧٠ هـ – ٢٥/٥/١٩٥١ م

زرنا القناطر الخيرية مرة أخرى مع الدكتور غلام مصطفى إيناساً له ، وتغدينا في ضيافة الشيخ لقمان الندوي ، وسافرنا الى حلوان وحضرنا مناقشة كتابي ماذا خسر العالم ، وقد تقدم هذه المناقشة عرض للكتاب قام به أحـد أعضاء الندوة ، وكان أكثر الحاضرين متخرجين من جامعة فؤاد ، وسررت وتشرفت بطبيعة الحال باعتنائهم بهذا الكتاب ، ولمـا علموا بوجود مؤلف هـذا الكتاب وجهوا اليه أكثر الأسئلة واستفسروا عن بعض مـا جاء فيه فأجبتهم وتباحثنا عن طريق الدعوة الاسلامية الصحيحة والنهضة الاسلامية الجديدة .

رأى الاستاذ سيد قطب في منهاج الدعوة الاسلامية

وأدلى كل برأيه ، وأبديت رأيي وتحدث الاستاذ سيد قطب في تفصيل ووضوح ، ويتلخص رأيه في ان المرحلة الاولى تربية الانسان نفسه واعدادهـا للدعوة الاسلامية وتحقيق مطالبها ، ثم دعوته لغيره وتربيته له حتى تتكون الجماعة الاسلامية الصحيحة ، ورأيه ان الجماعة لا بد أن تتكون من أفراد صالحين كما كان في العصر الأول وان يبتديء من أفراد ، وهـؤلاء الأفراد يتكتلون وتقديره ان هذه العملية قد تأخذ خمساً وعشرين سنة وقال ان الناس يستبطئون هذه المدة وانا أستعجلها ، ثم جرى الكلام عن الفرد الأول الذي يتعهد هـذا

العمل فاشار اليه بعض الحاضرين وأثنوا عليه وقالوا ان الكتب العظيمة الـتي الفتها لا تصدر إلا عن قلب مؤمن وعقيدة متينة وخلق مستقيم ، هنالك تكلم الاستاذ وشهد على نفسه بكل صراحة وجسارة وقال : أنا لا أعتقد أني أستحق هذا الثناء والأمل ، وليس صدور الكتب دليلا على أن المؤلف اجتاز المراحل الأولى في التربية الاسلامية وإعداد النفس ، وأنا أعرف معركة قائمـــة بين بيئتي وما أنا فيه من راحة ورخاء وفرص ، وبين ما يطلبه الايمان والجهاد من التضحية والإيثار والزهد والقوة الروحية ، وأعرف ان المرحلة النهائية لا تزال بعيدة وان الميزان ما ذكره القرآن : « قل ان كان أباؤكم وأبناؤكم واخوانكم » الآية فما لم أر هذا المنزل الذي أسكنه والخص والوظيفة والعطلة وأسباب الغنى والفقر سواء فاني لا أزال بعيداً عن حقيقة الايمان والتربية الاسلامية فلا أريد ان أخدع نفسي ولا غيري ، وقد أعجبتني هذه الصراحة جداً واصبحت أجل الاستاذ سيد قطب وأحبه أكثر من ذي قبل .

الاستاذ يذكر تطورات حياته

وذكر الاستاذ مراحل حياته وكيف وصل الى العقيده الاسلامية او الايمان بالاسلام من جديد ، وذكر كيف نشأ على تقاليد الاسلام في الريف وفي بيته ثم انتقل الى القاهرة فانقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الاولى ، وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الاسلامية ، ومر بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية الى أقصى حدود ، ثم أقبل على مطالعة القرآن لدواع أدبية ، ثم أثر فيـــه القرآن وتدرج بـــه الى الايمان ، وكيف أثرت فيه كتب السيرة ونصح إخوانه بالاعتناء بدراسة القرآن وكتب السيرة ، وأفدت من هـــذا الحديث القيم كثيراً ، ثم استأذناه وطلبت منـــه أن يقدم لكتابي « ماذا خسر

العالم » . وقد كانت هذه الفكرة تساورني من زمان إلا أنها ملكت علي اليوم فكري .

الخميس ١٣٧٠/٨/٢١هـ – ١٩٥١/٥/٢٧ م .

في حفلة عيد الاستقلال في السفارة الافغانية

جاء الاستاذ فريد عبدالخالق والاستاذ عبد الحفيظ الصيفي وجلسنا قليلا وقمنا الى السفارة الافغانية لحضور احتفالها السنوي بعيد الاستقلال،وقد كنت تلقيت دعوة من سعادة السفير الى الحضور ، ودخلنا السفارة وهناك سلسلة طويلة من المناضد المملوءة بالحلويات والكعك ، وتناولنا الشاي والقى سعادة السفير كلمة بمناسبة عيد الاستقلال تنم عن روحه الدينية وثقافته الاسلامية وختمها بهتاف : الله أكبر ولله الحمد .

وكان مما تمتاز به هذه الجلسة خلوها من « السيدات » البتة ، وقد سمعت ان سيدة قصدت الحفلة فمنعها الحارس على الباب .

وبعد صلاة المغرب صادفت الاستاذ الأكبر شيخ الأزهر وعرفته نفسي فقال: قرأت نصف كتابك(ماذا خسر العالم) وقد اتعبت نفسك في هذا الكتاب ودعا بالخير .

الثلاثاء ١٧٧٠/٨/٢٣هـ – ١٩٥١/٥/٢٩ م .

حديث مع الاستاذ الاكبر

ذهبنا لزيارة الاستاذ الاكبر ودخلنا مكتبه الخاص بالادارة فاحتفى بنا

وقدمني إلى أستاذ بجنبه وذكر كتابي « ماذا خسر العالم » وقال : لقد قرأته في مرضي وذكر كتاباتي، وقدم الأستاذ إلي فإذا هو فضيلة الشيخ محمود شلتوت رئيس قسم البحوث الإسلامية ، وقد كنت طلبت مقابلته أول مجيئي إلى مصر ولكنه كان مرهقاً متعباً في تلك الأيام فلم يقدر اللقاء إلا في مكتب الشيخ هذا اليوم ، ولما سمع اسمي عرفني ورحب بي وأبدى سروره بهذه المصادفة ، وكان قد قرأ رسالتي « الدعوة الإسلامية » وكلمت الأستاذ الأكبر في مسألة البعوث الإسلامية وما تحتاج اليه من توجيه وعناية وتعهد ، وأشرت إلى أهميتها وأنها أعظم ثروة تنفرد بها مصر ويعتز بها الأزهر ، وأنه لو أحسن توجيهها لأمكن إصلاح كبير في الأقطار الإسلامية بواسطتها إلى ما حضرني في ذلك الوقت ، فأصغى الأستاذ الأكبر إلى هذا الحديث وأبدى اهتمامه به ، وذكر أنه لم يغفل المسألة ، وذكر بعض إجراءاته وآرائه في الموضوع وطلب مني أن أكتب مذكرة بشأن البعوث وأبدي فيها آرائي وملاحظاتي وأقدمها الى فضيلة الشيخ محمود شلتوت فوعدته بذلك ، وإني سأقدم ذلك بعد غد ، وكلمته كذلك في إرسال بعثة من علماء الأزهر إلى الهند تدرس الحالة الدينية هناك وتتصل بالمسلمين وتطلع على الحركات الإصلاحية والدعوة الإسلامية ، فاقترح علي تقديم هذا الاقتراح أيضاً .

الخميس ٢٥/٨/٧٠/هـ - ٣١/٥/٥١ م

مع الشيخ محمود شلتوت

ذهبنا إلى مكتب فضيلة الشيخ محمود شلتوت وقدمت إليه المذكرة ووقف في أثناء القراءة عند بعض التعبيرات وهو قولي : «وقد ألقت الأقطار الإسلامية أفلاذ أكبادها إلى الأزهر » وقال قبل أن أنتهي من قراءة هذه المذكرة أريد

أن أسمع قصة تعلمكم ومراحل التعليم التي اجتزتموها فحكيت له حكايتي من أول دراستي إلى اشتغالي بالتدريس ثم اعتزالي عن الوظيفة واشتغالي بالدعوة ، وقد وافق على نظام تعليمي فقد كنت أتوفر على دراسة علم واحد بغير أن أجمع بينه وبين علم آخر وقال هذا هو النظام الطبعي المعقول واستحسن تقديم دراسة الأدب العربي على التفسير والتفسير على الحديث والحديث على الفقه وذكر آراءه في علم التفسير واقترح تعريب كتابي « محاضرات في القرآن » وأعجب بتقسيم علم التفسير في دار العلوم بين تدريس متن القرآن المجرد والمحاضرات في موضوعات القرآن العامة وكتب تفسير للمتقدمين ؛ وبعد ذلك قرأ المذكرة وقدمها لطبعها على الآلة الكاتبة ، وطلب مني مذكرة بشأن البعثة إلى الأزهر وملاحظاتي عما رأيت في أروقة الأزهر وما تحتاج إليه من اصلاح وتنظيم .

الأحد ٧٠/٨/٢٨ هـ – ٥١/٦/٣ م .

اقتراح الدكتور محمد يوسف موسى

ذهبنا إلى مجمع فؤاد الأول حيث وجدنا الدكتور منصور فهمي في انتظارنا وجلسنا قليلاً ثم أصحبنا سعادة الباشا موظفاً في المجمع يشتغل بالترجمة ، وفي الطريق فاجأنا الدكتور محمد يوسف موسى وهو يسرع خلفنا ليدركنا فسررنا بهذه المفاجئة وقال : كنت في المجمع فسمعت بخروجكم فعدوت خلفكم لألحقكم ، وأبدى إعجابه بكتاب شاعر الإسلام وقال قرأت فيه أفكاراً غريبة جداً ، وواجب عليك أن تؤلف كتاباً مستقلاً عنه وهذا حق عليك ، وعزم علي وألح في ذلك فوعدته به وعزم علينا أن نخبره برجوعنا ونفطر عنده ، وأن أقدم إليه نسخة مصححة لكتاب (ماذا خسر العالم) وأنه استأذن الأستاذ أحمد

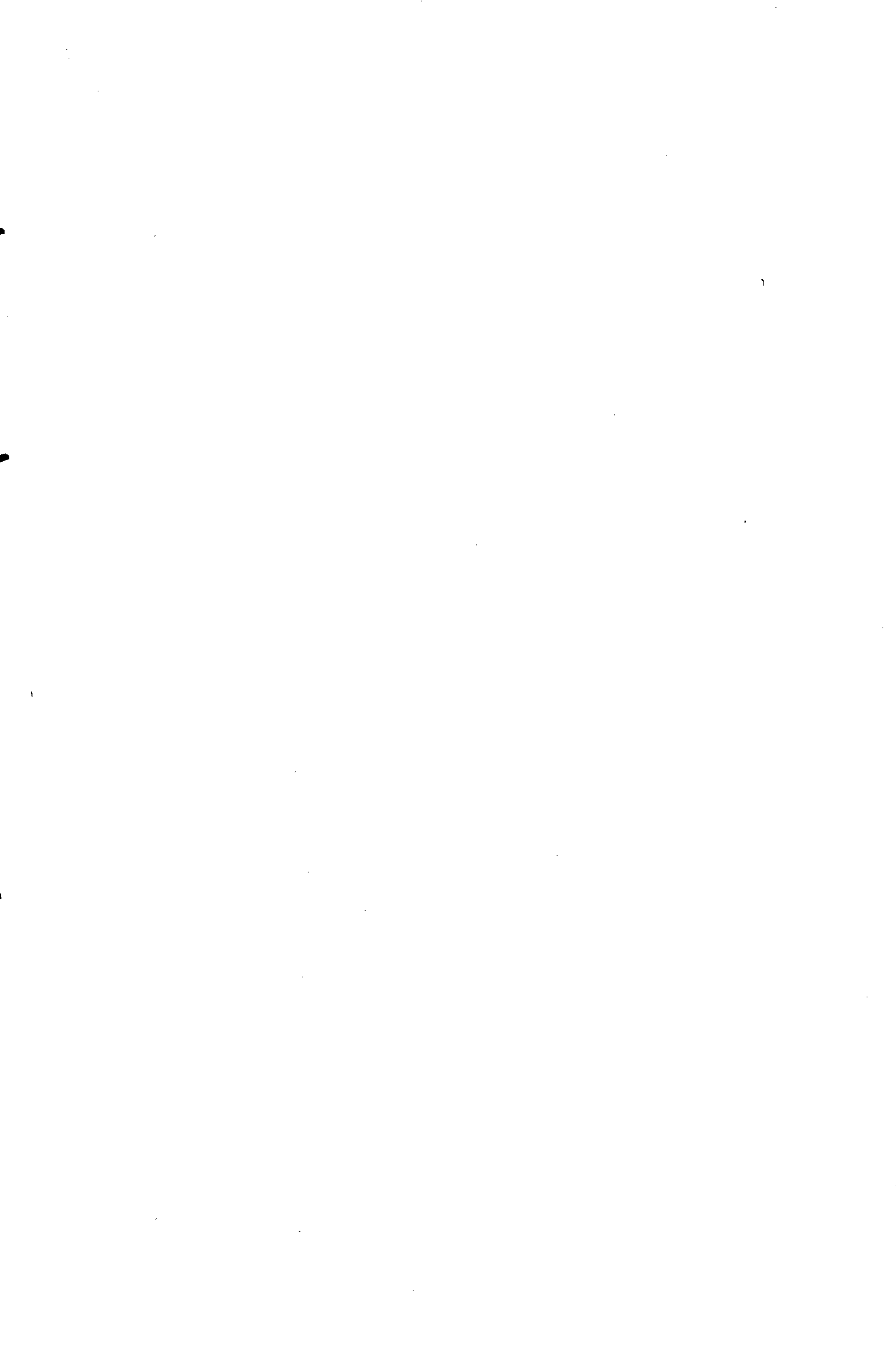
أمين في نشر الكتاب فأذن له وسيكتب مقدمة عليه [1].

زيارة دار الآثار المصرية

ودخلنا دار الآثار وصحبنا الأستاذ جمال أفندي وهو حافظ لتاريخ مصر القديم فصار يلقي درساً في آثار الفراعنة وحضارتهم وعاداتهم عند كل أثر، ولكن الوقت كان قصيراً فألقينا نظرة عجلى وقضينا العجب مما رأينا .

---

(١) ظهرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب منذ حين ، أخرجتها جماعة الأزهر للنشر والتأليف ، وقد قدم لها الدكتور محمد يوسف موسى والاستاذ سيد قطب والشيخ أحمد الشرباصي . وكذلك نشرت دار القلم بالكويت عدة طبعات له .



الأحد ٢٨/٩/٧٠هـ – ٣/٦/٥١ م

الى السودان

من القاهرة الى الشلال

صحت عزيمتنا على السفر إلى السودان ، وكان ذلك خيراً، وصلنا إلى المحطة قبل صلاة المغرب ، ووجدنا زحاماً من الطلبة السودانيين ، المشيعون أكثر من المسافرين ، وأوصوا بنا إخوانهم خيراً وودعونا إلى بلادهم وداعاً حاراً ، ووجدنا مكاناً طيباً في الدرجة الثانية ، وبعد ساعتين وجدنا المسافرين قد نزلوا فاستطعنا أن نستلقي على مقاعدنا ونتمدد وننام ، ومررنا بأسيوط بلد الإمام السيوطي في نصف الليل ونحن نيام .

الاثنين ٢٩/٨/٧٠هـ – ٤/٦/٥١ م

في مقر حكومة الفراعنة

صلينا الفجر وجلسنا نتفرج على صعيد مصر مقر حكومة الفراعنة ، ومن غريب المصادفات بل من عجائب القرآن أني كنت أتلو سوراً من القرآن من الجزء الخامس والعشرين وهي مملوءة بالأحاديث عن فرعون ، وقد صادف أن القطار وقف بالأقصر وهي عاصمة الفراعنة القديمة وأنا أقرأ : (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) وقرأت وأنا أمر بهذه المنطقة المخصبة الجميلة قوله تعالى : (كم تركوا من جنات

وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) صدق الله العظيم (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

ومما استحسنته في هذا القطار وجود الماء المثلج طول السفر في القطار ، يستطيع المسافرون أن يأخذوه من صنبور قريب منهم ، ووجود مستخدمين يساعدون المسافرين في الركوب وأخذ مقاعدهم وترتيب حوائجهم ، وذلك كله مما يحسن أن تقتبسه مصلحة القطر في بلادنا .

مررنا بعد أن تعالى النهار على الطلبة السودانيين في محلهم وهم يطالعون بعض رسائلي وتحدثت معهم قليلا وهم طلبة كليات الجامعة يرجعون إلى بلادهم في الإجازة الصيفية .

أرى الوادي — وأنا أكتب هذه السطور — يتضايق بين سلسلتين من جبال وبينهما يجري النيل ، وقد يتوسع هذا الوادي وقد يقرب النيل وقد يبعد .

مررنا بأسوان وتذكرنا خزان أسوان ، ولكن لم يسمح الوقت بزيارته ، وانتهى سفر القطار على الشلال .

في الباخرة

ونزلنا منه نستقبل نوعاً آخر وهو السفر بالباخرة ، ولكنها لا تسير في البحر بل نسير في النيل ، إذن لا خوف من الدوار و الغثيان وانتهينا من مراحل الجمرك وعرض الجوازات وأخذنا محلنا في الباخرة ، وكان من لطف الله بنا أنا وجدنا مكانين محجوزين باسم طالبين في الأزهر لم يحضرا وكان بعض الطلبة قد أخبرنا بذلك وقيدنا أسماءهما وبذلك استطعنا أن نسافر في الدرجة الثانية .

الحر شديد وغرفتنا في الباخرة مستقبلة الشمس ، وقد احتمت الباخرة

لطول وقوفها في الشمس فكأننا في المطبخ ، كان اليوم اليوم التاسع والعشرين من شعبان فكان الهلال مرتقباً إلا أنه لم يظهر ، جمعنا بعد المغرب ركاب الدرجة الثانية في الصندل الذي نحن فيه ، وأكثرهم طلبة جامعة فؤاد والقليل طلبة الأزهر ، وتحدثت إليهم حديثاً دينياً وتعرف بعضنا ببعض .

يوم الثلاثاء ٧٠/٨/٣٠ هـ – ٥١/٦/٥ م

أصبح كثير من الركاب صائمين لانهم اعتمدوا على التقويم ، ولم نصم لأنا لم نر الهلال ، فأكملنا شعبان ثلاثين .

رأينا الهلال وقد كان دقيقاً جداً فأهلاً وسهلاً ومرحباً بالشهر المبارك ، اللهم أهله علينا بالأمن والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى .

كان الصندل الذي نحن فيه تقوده باخرة ذات طبقات ومطعم كبير ، ثم قادته باخرة صغيرة لأن النيل كان قليل الماء ، ووصلنا فرس – بدل الحلفة – في الثانية عشرة من الليل ، وبتنا الليلة في الباخرة ولم ننزل منها .

الأربعاء غرة رمضان ٧٠ هـ – ٥١/٦/٦ م

أصبحنا بتوفيق الله صائمين ، تمت مرحلة الجوازات والجمرك وأخذنا محلنا المحجوز في القطار في الدرجة الثانية ؛ وأبرقنا الى السيد علي ميرغني بقدومنا وسار القطار يقطع الصحراء تسفي في وجوهنا الرياح التي تحمل شيئاً كثيراً من رمال الصحراء ، أفطرنا في غرفة بعض السودانين الذين دعونا إلى الإفطار بإلحاح ، وتعشينا في عربة الأكل في القطار بعد ما تأكدنا من نظافة الطعام وخلوه من الريبة ، لأن كثيراً من ركاب الدرجة الأولى والثانية إنجليز ونحن نسافر في الحدود الانجليزية .

الخميس ٢/٩/٧٠ هـ - ٧/٦/٥١ م

نزلنا في الخرطوم البحري والساعة الرابعة والنصف في العصر والحر شديد ، واستأجرنا سيارة وتوجهنا الى مقر السيد علي ميرغني ، وعرفنا أن السيد أخبر بقدومنا وان الخدم ينتظرون تعليماته بشأننا ، وبعد قليل أشار الينا بعض رجال السيد أن نركب معه السيارة ونتوجه معه الى حيث صدر الأمر بنزولنا ، فركبنا ونزلنا عند بيت لأحد تجار الخرطوم البحري اسمه الشيخ الطيب ابراهيم عبد المقصود من خلفاء السيد وأقاربه ، وقال صاحبنا هذا مضيفكم وعنده تعليمات السيد ، وسألناه عن موعد زياره السيد فقال : ستعرفون . ونزلنا في بيت رحب وعند رجال كرام ، واسترحنا بعد الفطور فقد كنا متعبين ، وعندما أردنا القيام للتراويح اذا بالعشاء يحضر ، ومن عادة بلادنا أن العشاء يلي الفطور لا يفصل بينهما إلا صلاة المغرب ، فاستغربنا لأنا لم نحسب لهذا العشاء حساباً ، وقد قضينا حاجتنا من الأكل بعد الفطور ، ولكننا نزلنا عند رغبة المضيف وتعشينا .

الجمعة ٣/٩/٧٠ هـ - ٨/٦/٥١ م

نمنا بعد صلاة الصبح لنستوفي حظنا من النوم وقمنا بعد ما ضربتنا الشمس وتهيأنا للجمعة ، وصليناها في الخرطوم البحري في جامع السوق ، وطلب مني الإمام القاء كلمة فاعتذرت عنها ، وكانت خطبة الخطيب حول الصيام والقيام في رمضان ، صمنا اليوم كله في منزلنا الجديد ونحن نترقب إذن السيد وميعاده للمقابلة وشق علينا الانتظار ، وفي الليل جاء الخبر بأن السيد يقابلنا غداً في الساعة العاشرة فاستبشرنا ونشطنا لهذا الخبر .

السبت ٤/٩/٧٠ هـ - ٩/٦/٥١ م

السيد علي الميرغني باشا

قمنا من النوم والشمس في ظهورنا وتهيأنا لزيارة السيد ، وعرفنا أنا سنستقبل

رجلا طالما سمعت عنه .

وهو الرجل الذي يتمتع بنفوذ واسع ، وثقة كبيرة من الشعب السوداني ويحل في قرارة نفوس أتباعه الذين يعدون بألوف وألوف ، وهو الذي استطاع بنفوذه الروحي وشخصيته القوية وعقله الكبير أن يقوم في وجه الانجليز وان يحافظ على زعامته الروحية ومكانته السياسية ، وهو زعيم حركة « وحدة وادي النيل » الأكبر في السودان ، وقد كنت سمعت أنه صاحب أطلاع واسع مطلع على الحركات السياسية والدينية شغوف بالمطالعة حريص على المعرفة والدراسة ، وأنه رجل يقظ نشيط ، وأنه نظم آلافاً من السودانيين وشغل الشباب السوداني بنظام يجمع بين الرياضة والذكر والنظافة والنشاط ، كان له الشغل الشاغل عن الحركات الهدامة والأشغال المفسدة للأخلاق ، ويرجع اليه فضل كبير في تهذيب أخلاق هؤلاء الشباب ، وانتشار الدعوة في السودان، سمعت كل ذلك عمن زاروه واجتمعوا به في مصر والسودان ، ولكن الأمر الذي بعث في نفسي الاعجاب بشخصيته والاجلال لها ، هو أنه لم يقع في شرك الأجانب وأنهم لم يستطيعوا أن يشتروه ويشغلوه ، ولم ينخدع بهم على كثرة من انخدع لهم من المشايخ والعلماء والزعماء والعظماء .

مع السيد

تقدمنا لزيارة السيد وجلسنا في قاعة كبيرة فاخرة الرياش فيها كراسي جميلة عليها مساند من ريش الطاووس تحت مروحة كهربائية والقاعة تمتاز بالبساطة وحسن الذوق ، وطلع علينا السيد بعد قليل فاستقبلنا شيخاً في السبعين من عمره نحيف الجسم سوداني السحنة ، وتبدو على محياه مخائل الهم والتفكير وآثار الدراسة المضنية والسهر الطويل تشف عيناه عن ذكاء ممتاز ، وتدل ناصيته العريضة على علو الهمة وكبر النفس، وتلقانا بترحيب وبشاشة ،وجلسنا نتحدث وكان الحديث دائراً حول الهند وتاريخها ودياناتها واضطراباتها الطائفية

ونتائجها ومصير المسلمين وشئونهم الدينية والعلميــة والاجتماعية والاقتصادية ، وعن الجوامع والآثار القديمة وعن المنبوذين والشيوعية وكان يعلق على أجوبتي ويبدي رأيه ، وكان ذلك يدل على اطلاعه الواسع ودراسته المتنوعة ، ويظهر أنه مطلع على النظم السياسية المختلفة ، متصل بما يجري في أوربا متتبع للأخبار الجديدة ، والأحوال الأخيرة ، فيه الاستطـــلاع الزائد على معرفة الحديث الأحدث عن كل بلد ، وظهر كذلك أنه رجل متزن الفكر سديد النظر دقيق الملاحظة وقد رأيت فيه شبهاً كبيراً بمولانا أبو الكلام أزاد في اتساع المعلومات والنشاط الفكري .

الأحد ٧٠/٩/٥ هـ - ٥١/٦/١٠ م

نفوذ السيد

مما لاحظته في هذه الايام القليلة في السودان أن القـــلوب مجتمعة على حب السيد وانه يتمتع بنفوذ عجيب وثقة غريبة ، فكـــل من سمع أنا مقيمون في ضيافة السيد أبدى ارتياحه الى ذلك ، ولم أجد الى الآن من يتكلم في السيد أو يطعن فيه ، وكلهم يثنون على إخـــلاصه وتجرده من الأغراض وعلو نسبه وسعة اطلاعه .

السخط ضد الانجليز

لاحظت أن موجة السخط ضد الانجليز عامة وقوية ، والحديث عن اضراب البوليس حديث النوادي والشغل الشاغل للناس ، قلما يخلو منه المجلس ، وقـد افطرنا على هذا الحديث وتسامرنا به .

الجمعة ١٣٧٠/٩/٦ هـ - ١٩٥١/٦/١١م

جولة في العواصم

بقيت اليوم كذلك متعطلا لم اخرج من البيت وقـد شق على البقاء بغير

شغل وانتظرنا زيارة السيد .

وبعد صلاة المغرب والافطار اخذنا الشيخ عبد الرحيم شقيق المضيف على سيارته وطاف بنا في العواصم الثلاث حتى انتهى بنا الى جامع ام درمان اكبر العواصم الثلاثة والبلد الشعبي ، وهناك زرنا الشيخ عوض عمر امام الجامع .

الانجذاب الى مصر

لاحظت ان في الشعب السوداني انجذابا قويا نحو مصر وكل ما يتصل بهـا وتشيعاً واضحاً متحمساً لمصر ، ولم ينجح الانجليز في صرف الشعب عن هذا الانحياز .

الثلاثاء ١٣٧٠/٩/٧ هـ – ١٩٥١/٦/١٢ م

حديث مع الاستاذ اسماعيل الازهري بك

اتفق مضيفنا وشقيقة الشيخ عبدالرحيم مع الاستاذ اسماعيل بك الأزهري رئيس حزب الأشقاء على مقابلتنا في إدارة جريدة الأشقاء قبل الظهر ، فقصدنا الخرطوم العمومي واجتمعنا به في ادارة الأشقاء ، وتحدثنا طويلا عن امكانيات الدعوة الاسلامية في قارة افريقيا والرجال القائمين بها .

رأيه في العلماء الرسميين

وانتقد الاستاذ جماعة العلماء الموظفين في الحكومة ، وقـال : انهم تعلموا الدين لمجرد التحاقهم بقسم الشريعة الاسلامية في الكليات ، وليسوا من بيئة دينية ، ولم ينشأوا في الدين ، ثم تولوا القضاء الشرعي والافتاء في الحكومـة فهم لا ينتسبون الى الدين ولا يعالجون شئون الدين إلا بحكم وظائفهم وحرفتهم ، بخلاف شيوخ الطريقة الذين ولدوا في بيوتات دينية عريقة في الدين والعلم ،

ونشأوا في بيئة الصلاح والديانة ، فتجدون فيهم الدعاة المخلصين والمرشدين المتجردين . قال : كنا في كلية غردون وكان الطلبة يقسمون على اقسام الدراسة بطريق المجازفة والتحكم ، لا على اختـــلاف الاذواق والمناسبات ، فوقع عليّ الاختيار كطالب في قسم الرياضة والعلوم المدنية ، وحشر كثير من زملائي في قسم الشريعة فكان منهم القاضي والمفتي والعالم فليس منهم عرق ديني ، وليس لهم تراث علمي ؛ وذلـــك هو السبب في انهم مشغولون بالوظائف غير مهتمين بالدين والشعب .

رأيه في السيد

وأثنى الأستاذ الازهري على مـــولانا السيد عليّ الميرغني وعلى اخلاصه وحكمته في الدعوة ونشاطه وقال : هذا رجل موفق لا شك ، واليـــه يرجـــع الفضل الأكبر في حفظ الشباب من مفسدات الأخلاق والاندفاع وراء التيار ، قال : وكان من توفيق الله تعالى ان عني السيد بالحركة والتنظيم ، وهو في سن عالية ، فهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد خيراً على يديه لهذا الشعب .

الحاجة الى الدعوة الاسلامية في افريقيا

وتكلمت عن الحاجة الى حركة قوية للدعوة الاسلامية في المناطق الافريقية التي لا تزال على جاهليتها وبداوتها ، وان هذه الحركة من اعظم القربات الى الله واقوى الاسباب لقوة المسلمين والنهضة الصحيحة ونيل الغايات الـتي يهدف اليها امثاله ، ورجوته ان يصرف بعض عنايته ونشاطه الى هـــذا الجانب ، فاعتذر باشتغاله بحركة وحدة الوادي وانه لا يعتبر نفسه من رجال الدين وانهم اولى بذلك منه ، وأقدر عليه ، إلا انه يعتني به ولا يستهين بقيمته واخبرني بقيام جمعية التبشير الاسلامي لنفس هذا الغرض ؛ وطلب مني مقابلة

سكرتيرها الشيخ شوقي الاسد فأبديت استعدادي لذلك ، وابديت رغبتي في زيارة نادي الخريجين وزيارة النادي السوداني المصري ، فقال انه يتوسط في ذلك ويهيء الاسباب ، وخرجنا من عنده متشكرين معجبين بثقافته وفهمه وحسن حديثه .

ومن هنا قصدنا المحكمة الشرعية حيث اجتمعنا بالشيخ حسن المدثر القائم بأعمال قاضي القضاة والشيخ أبي القاسم مفتي الديار السودانية ، وكلمناهما في موضوع الدعوة والتبشير في جنوب السودان والمناطق التي لا تزال على الكفر والجهالة ، واخبرني قاضي القضاة ان الحكومة الانجليزية سمحت اخيراً بالتبشير الاسلامي في جوبا وكان ممنوعا ، فتفاءلنا بهذا وقوينا عزمه على الاعتناء بالدعوة .

الاربعاء ١٣٧٠/٩/٨ هـ - ١٩٥١/٦/١٢ م

مقابلة الشيخ شوقي الاسد

ذهبنا اليوم لزيارة الشيخ شوقي الاسد سكرتير جمعية التبشير الاسلامي وتكلمنا في موضوع الدعوة ، وذكر ما تم في هذا الشأن وابدى استعداده وعزمه على القيام بهذه المهمة الجليلة ، واسترعيت نظره الى أهمية وجود الناس المتطوعين والدعاة المخلصين العاملين لوجه الله وان ذلك اهم واقوم من الجانب المالي وجمع الاعانات والميزانية الجيدة للجمعية ، واقترحت عليه إرسال بعض العلماء واعضاء الجمعية الى الهند ،يدرسون هناك طرق الدعوة واساليبها ويتصلون بالدعاة المخلصين ، واقترحت عليه زيارة الهند والباكستان كذلك ، فرحب بهذه الفكرة ووعدد بجمع رئيس الجمعية واعضائها حتى اتحدث اليهم واعرفهم .

صلينا العشاء والتراويح في جامع الخرطوم للبحري وألقيت كلمة وجيزة

عن رمضان وانه كنهر طالوت للمسلمين يبتليهم الله به

الخميس ٩/٩/١٣٧٠ هـ - ١٤/٦/١٩٥١ م

حديث ضاف مع سماحة السيد

جاء رسول السيد يخبر بميعاد الزيارة في الساعة العاشرة والنصف فانتعشت قلوبنا ، وقد عيل صبرنا في انتظار هذه الزيارة وقصدنا داره ، وكان الاجتماع اليوم مما يروي الغليل ويشفي العليل ، فقد استمر المجلس ساعتين ونصف ساعة تناولنا فيه الكلام عن موضوعات كثيرة ، تحدث السيد في موضوع الدعـوة في افريقية وأدلى بمعلوماته القيمة وعن العراقيل التي تنشئها الحكومات المستعمرة في سبيل هذه الدعوة وما يواجـــه الدعاة من الصعوبات والمشاكل في مهمتهم وذكر الاختلاف بين المناطق المختلفة ، وإحصاء النفوس فيها ونسبة المسلمين ، واختلاف طبائعها واقاليمها وعاداتها فكان كلام خبير مدقق ، وذكر انـه لم يبتكر هذا النظام للشباب السوداني إلا لأجل نشر الدعـوة وحفظ الشباب من الجائحات والتيارات المعارضة للدين والأخلاق ، وكان لهذا النظام تأثير كبير ومفعول عظيم في تهذيب الأخلاق وتنظيم الشباب والاقبال على الدين ، وانجذاب كثير من غير المسلمين الى هذه المنظمات ودخولهم في الاسلام بفضلها ، وأيده في ذلك الشيخ عمر اسحاق من رجال السيد وزملائه ، وذكروا تجاربهم ومعلوماتهم في هذا الصدد ، وانه هو الحـــارس الوحيد في السودان من التحلل الخلقي والفوضى والاستهتار .

وذكرت للسيد نشاط الدعوة الاسلامية الاخير في الهند وسيرة رجـــاله وجولاتهم في طول البلاد وعرضها ، ونظام الجماعات ورحلاتهم ونظام التعليم والذكر والاجتماعات .

الحركة غريزة في الشباب يجب أن وتستثمر تشغل بالمفيد

فسر بذلك وقال ؛ لا شك ان الحركة وحدها هي التي يمكن بهـــا حفظ الشباب وتربيتهم ، فان الحركة في الشباب غريزة وهي تقهر ولا تقوم ولكنها تشغل وتستثمر بالمفيد الصالح ، وهذه هي الجامعـــة التي تجمع بين نظامنا في السودان وحركتكم في الهند ، هناك اقترحت على السيد إرسال بعثة سودانيــة الى الهند لدراسة الأحوال الدينية والمشاريع الاصلاحية واساليب الدعوة وبذلك يكتسب رجال الدعوة بعض المعلومات الجديدة والتجارب المفيدة وتكون في صالح البلدين والشعبين الشقيقين، وفي صالح الدعوة الاسلامية بوجه عام، فأعجب السيد بهذا الاقتراح ورحب به وقال : لا مانع عن ارسال هذه البعثة وسوف يكون هذا الاقتراح موضع دراستنا وتفكيرنا، واقترحت عليه كذلك إرسال وفد سوداني الى الحجاز في الموسم يتصل بالدعاة الباكستانين والهنديـين ، فرحب بهذا الاقتراح ايضاً .

وطلب من الشيخ عمر إسحاق ان يدعونا الى حفلة للشباب الميرغني يوم الجمعة حتى أرى نظامها ، وكان في حديث اليوم أيضاً نصيب للحديث عن الهند وشرح نظامها السياسي وما يستقبل المسلمون من صعوبات في سبيل البقاء على ثقافتهم ولغتهم والتعليم الديني ، وما يجر توحيد التعليم ، والتعليم الاجباري ، وتوحيد القضاء عليهم من عقد ومشاكل ، وتكلمنا عن حلوها .

بعض آراء السيد

وتكلم السيد عن مشاكل التعليم المـــدني العصري في جميع البـلاد الاسلامية .

لا يمكن تجريد التعليم عن طبيعته وعلاقاته

وقال : لا يمكن تجريد التعليم المدني عن طبيعته وعلاقاته ، فانه إذا طبق في

بلاد فانه يؤتى أكله كلها من حلو ومر ، وقال ان تأثير الحضارة الغربية قوي في العالم الاسلامي .

الاقطار الاسلامية على أثر تركيا

وان الاقطار الاسلامية كلها تسير على أثر تركيا الكمالية ، إلا انه وجد في تركيا مثل اتاتورك الشديد الذي نفذ المدنية الغربية والآراء التي كان يعتقدها بشدة وإجحاف وسرعة ، ولكن الأقطار الأخرى لا تصل الى ما وصلت اليه تركيا في خمسين سنة ، وأبدى رأيه عن ضرورة دراسة اللغات الغربية ، وذكر انه لا يصح الاستغناء عنها .

تدريس العلوم بالتراجم محاولة فاشلة

وقال : قد حاولت مصر ان تدرس الطب باللغة العربية وتراجم الكتب الغربية ،ولكن ثبت بعد مدة أنه لا تمكن مسايرة تقدم العلم والتجارب في لغة أخرى فتتخلف التراجم وتتقدم العلوم والاكتشافات ، وحركة الترجمة حركة بطيئة قاصرة ، فأقبلوا على التدريس الطب باللغات الأوربية .

وفي هذه الآراء الحصيفة والملاحظات الدقيقة لمحت مرة ثانية سعة اطلاع السيد وألمعيته ، وعرفت كذلك أنه مطلع على الحركة العلمية والأدبية في مصر وغيرها ، ويطالع المجلات على اختلاف مشاربها ومناهجها ويميز بينها .

مصر يغلب عليها الطابع الأدبي

ومن رأيه أن مصر غلب عليها الطابع الادبي والنزعة الادبية المجردة ،وأن الحركة العلمية الجديدة ضعيفة بالنسبة إلى الادبية ، وإقبال الشعب عليها ضعيف فاتر ، لذلك لم تجد مجلة « المقتطف » المجلة العلمية الوحيدة رواجاً كبيراً .

تنزل المجلات المصرية الى التبذل

واضطرت مجلة « الهلال » أن تتنزل من مستواهـا العلمي الى هذا التبذل والإسفاف الذي نزلت اليه ، وهذا مما يؤسف له .

وقد انبسط السيد لهذه المقابلة كثيراً ، وبـدا السرور في وجهه وانتهزت هذه الفرصة فتكلمت بحرية ونشاط وذكرته بكتبي التي بعثتها اليه وطلبت منه أن يعيرها نظرة فوعد بذلك ، ورأيت مجموعة قديمة من الرسائل التي اهداها اليه الأخ الشيخ عبيد الله موجودة ، وقد أعطاهـا السيد للشيخ عمر إسحق للمطالعة .

في ضيافة سودانية شعبية

أفطرنا عند الشيخ عوض عمر إمام الجامع، وكانت دعوة شعبية تمثل السودان تمثيلا صحيحاً جميلا ، وكان كل شيء وطنيـاً وعلى سجيته ، فجلسنا على سفرة ممدودة مزدانة بأنواع الفطور ، تغلبت فيهـا المشروبات الباردة المروحة ، والمأكولات السودانية .

كلمتي في الضيافة

وتكلمت بعد العشاء ، وذكرت انّ السودان وقارة أفريقيا تستطيعان أن تمثلا دوراً مهماً في تاريخ العالم وفي تاريخ الإسلام ، إذا عرف إخواننا السودانيون قيمتهم وأحسنـوا استعمالها ، ووجهتهم إلى تزعم حركة الدعوة الإسلامية ، وكان أكثر الحاضرين أساتذة المدارس الثانوية والمعاهد .

محاضرتي في دار خريجي الجامعة

ومن هنا توجهنا إلى جامع أم درمـان ، حيث صلينا العشاء والتراويح ، ثم

توجهنا إلى دار خريجي المعهد حيث كان قد تقرر الاجتماع في هـــذه الليلة ، وحضر هناك عدد كبير من علماء العاصمة المثلثة وأساتذة المدارس والشبان ، وألقيت محاضرة حول أهمية أفريقية الدينية وقلت : لقد لعبت آسيا دورها في تاريخ العالم ، وتولت قيادة الأمم ، فكان عهد سعادة للعالم ، لأن قيادتها كانت مبنية على تعاليم الأنبياء ومبادىء الدين ، ثم انتقلت إلى القيادة ـ لأسبـــاب قاصرة ليس هذا محل شرحها – إلى أوروبا المادية المستعمرة ، فشقي العــالم وشقيت الإنسانية بهذه القيادة كما يعلم الجميــع ، وهذا دور قيادة أفريقية أيهــا المسلمون الأفريقيون ، فإن الله يمنح كل أمة وكل قطر فرصة القيادة والخدمة (هـــو الذي جعلكم خلائف) الآية ، ثم ذكرت كيف ينتهز الأفريقيون هذه الفرصة وكيف يستطيعون أن يأخذوا نصيبهم من هذه القيادة ، وكيف يستطيعون أن يوجهوا العالم توجيهاً دينياً ويخدموا الإسلام .

يوم الجمعة ١٠/٩/٧٠ هـ – ١٥/٦/٥١ م

في احتفال الشباب الميرغني

بعد صلاة العصر قابلنا الحاج سليمان موسى زعيم العمال ورئيس جمعية الشبان المسلمين في السودان ، وكان معالي محمد صالح حرب (باشا) أعطـــانا كتاب توصية باسمه وقد تأخرت زيارتنا له ، واستقبلنا استقبالاً كريماً ، ورحب بنــا وتأسف على تأخير المعرفة والزيارة ، ودعانا إلى الفطور غداً فقبلنا شاكرين .

حضرنا بعد العشاء احتفال الشباب الميرغني في أم درمان ، وسمعنا أناشيد في المدائح النبوية لبعض مشايخ هذه الطريقة وأجداد السيد ، وأعجبنا نشاط الشباب ونظافة ثيابهم ورشاقة أجسامهم وجمال بذلتهم .

كلمتي في الاحتفال

وطلب مني الشيخ عمر إسحاق إلقاء كلمة تدور حول الشباب الإسلامي ،

وتربيته ، وذكرت فيها دار الأرقم وشبابها الذين غيروا مجرى التاريخ، ونصحتهم باقتفاء سيرتهم والتمسك بالشريعة ، والحرص على اتباع السنة ، وعلمت أن هذه الكلمة وقعت منهم موقعاً حسناً .

نشيد لم يعجبنا

رأينا ونحن خارجون من الدار حلقة قائمة من الشباب يرددون في لحن : (شيئاً لله ياحسن . أنت سلطان الزمن) فأنكرنا هذا النشيد الذي لا أرى له مبرراً ، والذي يعارض التوحيد معارضة صريحة ، وكيف تجوز الاستغاثة بشيخ ميت ، والاعتقاد بأنه سلطان الزمن ، ولست أدري هل يعلمه السيد فيوافق عليه أو لا يعلمه، وعلى كل حال فإني أعتقد أن عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى يجب أن يكون أول ما يهتم به المصلح ويدعو اليه الداعي والمرشد ، ولا يسعه التغافل عنه في كل حال من الأحوال ، قال الله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » .

في ضيافة الحاج سليمان موسى

ذهبنا إلى بيت الحاج سليمان موسى للفطور ، فوجدنا مجموعة طيبة من الضيوف المحترمين ، وأكثرهم أعضاء جمعية الشبان المسلمين، وكان الفطور فاخراً قد تأنق فيه صاحب الضيافة ، وجمع بين لوني مصر والسودان في الأكل .

وبعد الفطور والصلاة تكلمت بطلب المضيف ، ونوهت بجمعية الشبان المسلمين وشكرته على هذه الضيافة والروح الطيبة .

وداع السيد

ومن هنا خرجنا إلى دار مولانا السيد علي الميرغني باشا ، فقد دعانا للتوديع والحديث الأخير ، ووجدت أن ما ألقيته ليلة السبت في اجتماع الشباب قد بلغ رجال السيد وشكرني عليه ، وأثنى على الكلمة نائب السيد وخليفته ، وكان الشيخ عمر إسحاق حاضراً ، وكان حديث الليلة دائراً حول أحوال الحجاز الدينية وما يبعث المسلمين في العالم على القلق من فشو التحلل ورقة الدين في مركز الإسلام ، والترف الزائد والملاهي ، وغزو الأدب الفاجر والروايات الماجنة لبيوت المسلمين وعقول الشباب واتجاه التعليم وغير ذلك .

الأحد ١٢/٩/١٣٧٠ هـ – ١٧/٦/١٩٥١ م .

السودان طبيعيا وجغرافيا وسياسيا ودينيا

قبل ان نغادر السودان يحسن بنا ان نلقي نظرة عابرة على السودان وجغرافيتها فانها من حقوق البلاد التي يزورها الانسان ويقيم بها مدة من الزمان .

تبلغ مساحة السودان مليونين و٦٢٧ الف كلم ، ويبلغ طوله من الشمال الى الجنوب ١٢٠٠ كلم من وادي حلفا شمالا الى « جوبا » جنوباً ، وأقصى عرض من الشرق الى الغرب ١٥٠٠ كلم ، بين البحر الأحمر وحدود مديرية (دارفور) و (أفريقيا) الاستوائية غرباً ، فهو أكبر اقطار افريقيا من حيث المساحة ويبلغ عدد سكانه حسب إحصاء ١٩٤٧ مقدار سبعة ملايين نسمة .

ينقسم السودان من الناحية الطبيعية الى المناطق الثلاث التالية :

١ – المنطقة الصحراوية : وتمتد بين دائرة عرض ١٧° وبين الحدود

المصرية وهي منطقة جافة ذات مناخ صحراوي . وتدعى هذه الصحراء باسم صحراء النوبة .

٢ ـ المنطقة السهبة ، وتمتد خمس درجات عرضية بين دائرتي عرض ٥١٢و١٧ شمال خط الاستواء ، وهي العصب الحساس في السودان من الناحية الزراعية بعد قيام مشروع الجزيرة لانتاج القطن،والجزيرة منطقة واقعة في هذا الإقليم بين النيل الأزرق والنيل الأبيض ، وسكان هذا الاقليم خليط من عرب وسودانيين ، وهم أنشط أهل السودان .

٣ ـ المنطقة الاستوائية وتمتد من دائرة عرض ٥١٢ الى أقصى الجنوب وتهطل الأمطار اكثر ايام السنة وتزداد صيفاً ، وهي منطقة غنية جداً بمواردها الطبيعية ، وأكثر السكان سودانيون ، وفيهم زنوج وثنيون .

* * *

أكثر سكان السودان من العرب ومن السودانيين ، وقد اختلطوا كثيراً وخاصة في المناطق الشمالية ، ودان كثير منهم بالاسلام،وقد رحل العرب الى السودان قبل الفتح الاسلامي عن طريق باب المندب ، وامتزجوا بالسودانيين امتزاجاً قوياً وصاهروهم ، ولا تزال فيه قبائل من أصل عربي احتفظت بكثير من عادات العرب واخلاقهم ولهجاتهم ، ويشعر الزائر بالطابع العربي والطبيعة العربية في اختلاطه بهذه القبائل .

نظام الحكم : يخضع السودان رسمياً ـ وبالأصح اسمياً ـ لحكم ثنائي ، مصري انجليزي وهو الحكم الانجليزي البحت، وأخذت مصر بعد الحرب العالمية الثانية تطالب بجلاء الجيوش الانجليزية عن وادي النيل فخلقت بريطانيا لها مشكلة السودان ، وقامت حركة قوية في مصر والسودان تعتبر انها جزء من مصر كما هو الواقع طبيعياً ـ وعاكستها بريطانيا واخيراً الغت حكومة مصر

معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي السودان وأعلنت اتحاد وادي النيل ونادت بملك مصر ملكاً للوادي .

مديريات السودان : وفي السودان خمس عشرة مديرية أهمهـا مديريات (دارفور) ، (الجزيرة) ، (كسلا) ، (الخرطوم) ، (كردفان) ، (المديرية الشمالية) ، (خط الاستواء) ، (أعالي النيل) .

المدن الهامة : الخرطوم (٥٠ الف نسمة) وتقع على لسان يشبه خرطوم الفيل عند ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض وهي عاصمة السودان وأكبر مدينة وأعظمها تجارة وكانت قديماً «أم درمان» الواقعة مقابلها على الضفة اليسرى للنيل الأبيض هي العاصمة ولا تزال مدينة شعبية كبرى يزيد عدد سكانها على مائة الف نسمة .

والخرطوم مدينة حديثة فيها شوارع منظمة ، وفيها مدرسة كتشنر الطبية ، وكلية (غوردون) التي افتتحت سنة ١٩٠٢ م وبدأت بتعليم ابتدائي وثانوي ، وفي سنة ١٩٤٠ أصبح فيها تعليم جامعي .

عطبرة : أهم مركز للسكك الحديدية في السودان ، وتشتهر بنشاطها التجاري والاداري وتقع على النهاية الغربية لخطوط السودان الحديدية .

ومن المدن الهامة : (بور سودان) و (سواكن) (وبربر) و (شندي) وغيرهما .

الحياة الاقتصادية : اعتماد السودان على الزراعة قبل كل شيء ثم على الرعي وجمع الصمغ العربي وأهم زراعتها الحالية القطن ، شجر الصمغ العربي ، الذرة ، غذاء السودان الرئيسي وغلات أخرى .

الصناعة والتجارة : ليس في السودان صناعة راقية ، أمـا التجارة فقد

تقدمت بفضل زراعة القطن الذي تحتكره بريطانيا تقريباً بنفسها [١] .

الحالة الخلقية : كان السودانيون على فطرتهم وسذاجتهم حتى ابتـــلوا بالاستعمار الانجليزي الذي رافقه – بطبيعة الحال – الادواء الخلقية التي تحملها الحضارة الغربية والدول المستعمرة معها ففشا فيهم شرب الخمر وتقليد الانجليز في كثير من عاداتهم وأزيائهم ، ونشأ عنصر مزيج مضطرب بين الطبيعة الشرقية والعادات الغربية كما نشأ في الهند في فجر الحكم الانجليزي فيها وفي مصر وغيرها ، وهو عنصر غريب لا تنتفع الأمة والبلاد به ، واكثر مـــا ترى هذه الطبقة في العواصم الثلاث والمدن الكبيرة .

الحالة الدينية : كان السودانيون معروفين بالتصلب في الدين والمحافظة وقوة العاطفة الدينية بعيدين عن التحلل والالحاد وخلع ربقة الدين حتى دهاهم الاستعمار فظهر فيهم الاضطراب في الدين وأثر فيهم التعليم العصري كما أثر في غيرهم إلا انهم بحكم طبيعتهم وطبيعة اقليمهم وتغلغل الدعوة الاسلاميـــة فيهم لا يزال التدين غالباً فيهم ، إلا ان هذا التدين يغلبه التقديس الزائد لرجـــال الطرق والمشائخ والخضوع لهم والمبالغة في تعظيمهم واجلالهم حتى يتخطى ذلك الحدود التي رسمها الشرع ويبلغ حد العبادة والشرك ، وأقوى الطرق تأثـــيراً في السودانيين واعظمها انتشاراً في السودان الطريقة الختمية الميرغنية التي يرأسها الآن السيد علي الميرغني فترى صور السيد معلقة في كثير من المساجد فضلا عن البيوت وكثير من الجوامع في السودان والحبشة ! لا يخطب فيها إلا من ينتمي الى الطريقة الختمية ويكون من اتباع السيد .

وداع السودان

توجهنا الى المحطة وعرفنا ان الحاج سليمان موسى قد سبقنا الى المحطة وحجز

---

(١) المعلومات الجغرافية والارقام منتقاة من كتاب « جغرافية البلاد العربية » لمؤلفيهـــا الاساتذة بسام كرد علي ، شاكر مصطفى ، أنور الرفاعي .

لنا مكانين في القطار كما وعد، مع ان الوقت كان ضيقاً وكان الحجز في هذا الوقت الضيق يكاد يكون مستحيلا .

وودعنا اخواننا الذين كنا في ضيافتهم وهم متأثرون بفراقنا ونحن كذلك فسبحان الله ما أقوى الرابطة الاسلامية وما اعمقها .

الاثنين ١٣/٩/٧٠ هـ – ١٧/٦/٥١ م

ركبنا في فرس الباخرة في الظهر وتوجهت الباخرة وبعد بضع ساعات غرز الصندل الذي كنا فيه في الرمل لقلة ماء النيل وحاول ربان الباخرة والملاحون كثيراً في اخراجها وفشلوا، وبتنا الليلة ونحن واقفون في النيل وتعطلنا ليلة كاملة ونحن في غاية السآمة والضجر ، ولكن لا حيلة لنا ولا مفر .

الثلاثاء ١٤/٩/٧٠ هـ – ١٨/٦/٥١ م

جاءت باخرة الاسعاف فأخرجت صندلنا من هذا الموقف ووصلت به الى الباخرة الكبيرة التي ستقودها الى الشلال وتسلمتها هذه الباخرة وواصلنا سفرنا على بركة الله .

وبعد الظهر غرزت الباخرة بتوابعها في مخاض آخر من النيل فكان أدهى من الاول وأمر ، وبقينا بقية اليوم والليل في موقفنا وقد بلغت النفوس غايتها من العناء والسآمـــة وأفرغ الملاحون والقائمون على السفينة جهودهم في اخراج الباخرة من هـــذه الورطة فلم ينجحوا وكلت ايديهم ففوضنا أمرنا الى الله وارتقبنا الصباح .

فرق بين المسلمون وغيرهم

وهنا لاحظنا فرقا بين المسلمين وغيرهم وكان أكثر الركاب من الانجليز وغير

المسلمين فلم نر منهم رجوعاًالى الله او التجاءالى الدعاء وهم في لهو ولعب وذهاب وإياب واكل وشرب وقصف وغناء . أما المسلمون فرأينا منهم من ينيب الى الله ويلتجيء اليه في كشف هذه الغمة ورأينا كما لاحظنا من قبل ان الديانات الاخرى قد أفلست في الروح وقد انقطعت صلة رجالها أو ضعفت جداً بالله تبارك وتعالى والالتجاء اليه .

الأربعاء ١٥/٩/٧٠ هـ - ٢٠/٦/٥١ م

بقينا الى بعد الظهر في ورطتنا هذه وقد عيل صبرنا وضاق صدرنا والناس في هرج ومرج إذ جاءت سفينة الاسعاف وأخرجت بعد محاولات عدة باخرتنا وتوابعها فاستقبله الخواجات بتصفيق حاد وكان بعض الركاب المسلمين قد نذروا لله بركعتين يصلونهما اذا خرجوا من هذه المشكلة فأوفوا نذورهم وصلوا لله شكراً وكان ذلك في الساعة الثالثة نهاراً ، فالحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واستمرت الباخرة في السير بسرعة زائدة ويقولون انها ستصل ببركة الله تعالى صباحاً .

الخميس ١٦/٩/٧٠ هـ - ٢١/٦/٥١ م

من الشلال الى القاهرة

وصلت الباخرة الى الشلال ضحى وفرح الناس بالشلال كفرحهم بطلائع البلد وسوابق القرية وركبنا القطار مسرورين وقضينا الليلة في القطار في الظلام مع أنا في الدرجة الثانية وشكونا الى رجال القطار فلم يسعفنا أحد ، ولم يكن القطار في الانتظام ووجود اسباب الراحة مثل توفر المياه والنور مثل القطار الذي من القاهرة وتعشينا في عربة الأكل .

الجمعة ١٧/٩/٧٠ هـ – ٢٢/٦/٥١ م .

في مصر مرة ثانية

السرور بالرجوع الى مصر

استقبلنا القاهرة بقلوب متطلعة وعيون شاخصة وكأننا نستقبل وطننا الحبيب ، وما ذاك إلا لوجود اصدقائنا هناك وإقامتنا فيها وانتهاء مرحلة من مراحل السفر ولعلها أصعبها .

توجهنا من المحطة إلى الأزهر حيث نزلنا في رواق الافغان في محل صديقنا الشيخ عبد الله الكابلي ، وعلمنا أن الأخوين العزيزين محمد معين وعبد الرشيد قد سافرا الى الحجاز قبل أيام .

شعور غريب

وتجدد الحنين وشعرت بشيء من الوحدة والغربة في البلد الذي قضيت فيه شهوراً ، أتمثل بقول الشاعر :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وأسرح طرفي في الأزهر وهو مزدحم بالمصلين فلا أرى أحداً أعرفه ويعرفني إلا أني قابلت الاخ محمد أمين التركي واحتفى بي كثيراً وفرح جداً .

ومن الازهر قصدنا بيت الأخ أحمد عبد النبي لأقابله والشيخ رياض الدين الفاروقي وصادفناهما في السكة الجديدة وذهبنا معهما إلى بيت الحاج أحمد عبد النبي وجلسنا ساعة ودعانا الاخ أحمد عبد النبي الى الفطور اليوم ، فوعدناه بذلك ؛ ومن هنا ذهبنا الى رواق الشوام لنقابل الأخ يس الشريف فوجدناه

مسافراً الى قريته وجلسنا قليلاً مع الإخوان السوريين ورجعنا إلى محلنا واسترحنا قليلاً ثم ذهبنا إلى العتبة حيث قابلنا الحاج إسحق الدهلوي في لوكاندة البرلمان وعلمنا أن الحاج إسماعيل الدهلوي قد سافر إلى مكة ، ثم رجعنا إلى الحاج أحمد عبد النبي وأفطرنا عنده بفطور هندي وعشاء هندي ، وتوجهنا إلى بيت صديقنا الفاضل الشيخ أحمد الشرباصي بالحلمية الجديدة بعطفة السادات ونحن نخشى أن لا نجده ولكننا وجدناه وجلسنا عنده قليلا وخرجنا معه .

المركز العام للشبان المسلمين

خرجنا معه الى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين وإذا بنا أمام حفلة كبيرة لذكرى وقعة بدر الكبرى وقابلنا هنا اللواء محمد صالح حرب باشا وسماحة المفتي أمين الحسيني والشيخ محمد صبري عابدين والشيخ السيد مبشر الطرازي وعجبوا من بقائنا في مصر وأخبرناهم برجوعنا من السودان ، فهنأونا على سلامة الوصول ، ورجعنا من الجمعية من غير أن نحضر التمثيل .

يوم السبت ١٨/٩/٧٠ هـ - ٢٣/٦/٥١ م

ذهبنا إلى مكتب الحاج جلال حسين وأخذنا الرسائل التي تجمعت في مدة غيابنا ، وأنا في غاية الشوق إلى هذا البريد فاخبار الأهل والأصدقاء في الهند منقطعة عني منذ أيام طويلة وفيها رسالة السيدة الوالدة متعنا الله بطول حياتها ورسالة الأهل والأخوات ورسالة أخي الأكبر الدكتور عبد العلي ، وكنت نذرت إذا وجدت رسائل تبشر بصحتهم وتحمل ما يسر أن أصلي لله أربع ركعات فأوفيت نذري والحمدلله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات .

ذهبنا إلى مكتب الأجانب حيث سجلنا دخولنا في القاهرة ، ثم ذهبنا إلى مفوضية (سورية) وطلبنا مد الأجل في التأشير ورجعنا إلى محلنا واسترحنا.

في ادارة الازهر

ثم زرنا إدارة الأزهر حيث قابلنا الشيخ الشرباصي والدكتور محمد يوسف موسى واعتذرنا له من عدم التمكن من قبول دعوته ، وقدمنـــا اليه النسخة المصححة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ثم دخلنا في مكتب فضيلة الشيخ محمود شلتوت وقابلناه وذكرناه بالمذكرات التي قدمناها اليه .

طلبة البعوث الاسلامية على الفطور

وذهبنا إلى رواق الهنود إجابة لدعوة صديقنا الجليل الشيخ لقمان الندوي إلى الفطور ، ورأينا جمعاً حاشداً من طلبة البعوث الإسلامية مجتمعين للفطور وعلمنا أنهم يفطرون كل يوم في هـذا المكان ضيوفاً لوزارة الشئون الاجتماعية ، وكان منظراً جميـــلا يدل على المساواة والجامعة الإسلامية ، فكان الطلبة من مختلف البقاع ومختلف الأجناس والألوان والطبقات جالسين جنبـــاً لجنب ، ولكن لاحظنا ان الجو لا يشعر بالخشوع والسكينة ، وأن الحاضرين لا يشعرون بجلال الصوم وحرمة رمضان وقرب الفطور فيشغلون بذكر الله ، أو يجلسون بوقار وسكينة ، بل بالعكس من ذلك كان المـكان صاخباً وكنا نسمع جلبته وضجته ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ضعف الروح الدينية والشريعة الاسلامية في نفوس طلبة الدين .

يوم الأحد ١٩/٩/٧٠ ﻫ — ٢٤/٦/٥١ م

توجهنا إلى مكتب شركة مصر للطـــيران في ميدان إبراهيم باشا وحجزنا مكانين في الطائرة التي تقوم لدمشق صباح الاثنين .

مع الاخوان

جاء الاخ ياسين الشريف وذهبنا معه إلى بيت الاخ عبد الله العقيل حيث

أفطرنا وتعيشينا مع جماعة من شباب الإخوان ، وتوجهنا إلى المركز العام في شارع صبري ، وصلينا التراويح خلف الشيخ سيد سابق والقيت كلمة بطلب الشيخ سيد سابق والإخوان وقابلت الاستاذ عبد العزيز كامل وقد طال العهد به وعظم الشوق اليه فجلسنا نتحدث ساعة ، وقابلنا الاستاذ صالح العشماوي وشقيقه الدكتور خليل عشماوي ، وأعطانا الاخ عبد النافع السباعي رسائل توصية وتعارف الى اخوانه بدمشق .

مع الأسف لم أستطع أن أقابل بقية الإخوان لأن أكثرهم مسافرون في المدن بمناسبة احتفالات بدر الكبرى وغزوة الخندق ، فالاستاذ عبد الحكيم عابدين مسافر والاستاذ سعيد رمضان مسافر والاستاذ الغزالي مسافر قبل رمضان الى غزة ولعل الاستاذ فريد عبد الخالق مسافر أيضاً .

يؤسفني أننا نسافر إلى دمشق بالطائرة كما تقرر فستفوتنا زيارة الإسكندرية وكنا قررنا من قبل السفر بالباخرة الى بيروت عن طريق الإسكندرية .ولكننا آثرنا السفر بالطائرة بعد ذلك حرصاً على الراحة في رمضان وتوفير الوقت ، وزيارة الإسكندرية مهمة من وجوه مختلفة ، وكان أحد الإخوان الكبار قد دعانا إلى الإسكندرية ولكن تأخر السفر حتى فات وقته ، فعسى أن تكتب لنا زيارة العاصمة الثانية لمصر في رحلة أخرى .

توديع لمصر

وها نحن أولاً نودع مصر العزيزة بعد ما أقمنا فيها نصف عام تقريباً وطاب لنا المقام فيها فعز علينا الفراق ، لقد نزلنا في مصر ونحن لا نقدر من الإقامة فيها إلا شهرا أو شهرين فإذا بنا نفسح الأجل ونتساهل في السفر ونتعلل بعسى ولعل حتى أربت الإقامة على خمسة أشهر ، ولو قيل لنا عند قصدنا لمصر أنكم ستقيمون فيها نحو ستة أشهر لضاقت صدورنا وأنكرنا ذلك أشد الإنكار ،

فقد كانت أمامنا رحلة طويلة في الشرق الأوسط وما كان نصيب مصر في أيامنا ـ لو دققنا في الحساب ـ إلا بضعة أسابيع ولكنا غلبنا على أمرنا فأرخينا لمصر العنان وتساهلنا لها في الزمان ، وكذلك الحبيب يأخذ أكثر من النصيب، وما كل شيء في الدنيا خاضع لقوانين رياضية ، وخير أن لا يكون ذلك ! فلو فلو تحكمت الرياضيات في الحياة لضاقت بأهلها ولضاقوا بها ذرعاً . وأصبحت الحياة حركة ميكانيكية لا قلب لها ، ولا جدة فيها ولا طرافة ، ولا متعة فيها ولا سلوى ، ولكن كثيراً ما يثور القلب على العقل والعاطفة والهوى على القوانين الوضعية والنظم الرتيبة فتعيدان الى الدنيا الحياة والنشاط .

إن مصر ـ على ما فيها من جمال الطبيعة وضخامة المدنية ـ لم تكن لتحولنا عن نظامنا المرسوم لهذه الرحلة ، ولم تكن لتستهوي قلوبنا لتأخذ منا أكثر من حقها فقد نشأنا في بلاد عرفت من فجر التاريخ بالطبيعة الفاتنة ، والمناظر الساحرة والخصب الزائد والمدنية الراقية ، ولكن الذي راودنا عن نظامنا المرسوم فلم نستعصم هو وجود إخوان مخلصين التقت قلوبهم بقلوبنا وارواحهم بأرواحنا ، فكأنما كانت من اللقاء والاجتماع على ميعاد ، هو وجود أحبة كرام غمرونا بلطفهم وأنسهم حتى أنسونا متاعب السفر ووحشة الغربة ، بل الشعور بالغربة ، هو وجود قلوب متفتحة كالازهار دافقة كالعيون ، مشتعلة بالإيمان كالجمرات أحبتنا وأحببناها ، هو وجود فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، ولكنهم خرجوا من الكهف وتحدوا الشر ونازلوا الباطل وصارعوا قواه ، هو وجود حركة دينية وثابة ونشاط علمي قوي ، وإنتاج سريع ضخم يجعل من مصر مركز العالم العربي، ومدرسة الشرق الاوسط بلا نزاع ، ويكتب لها الإمامة والزعامة والتوجيه العقلي والعلمي ، وإن وجود هذا وذاك هو الذي فرض علينا طول الإقامة في ربوع مصر وحسن لنا التخلي عما رسمنا لانفسنا والزيادة لمصر في قسطها من رحلتنا .

وكم من سائل بعد الرحلة من مصر : مـــاذا أعجبك في مصر ؟ وماذا لم يعجبك .

إن السؤال عسير وإنه لسؤال محرج ولكنه سؤال مهم وسؤال مفيد، فلا بد من مواجهة هذه المشكلة ولا بد من الإجابة عن السؤال .

أما الذي أعجبني في مصر فحيويتها ونشاطها وعظم إنتاجها العلمي والأدبي وسرعته ، وعنايتها باللغة العربية وتبنيها لها وغيرتها عليها وجهادها في سبيلها والنظرة الواسعة إلى القضايا العربية والإسلامية والعطف عليهـا ووجود اليقظة والوعي بالنسبة إلى الأقطار العربية الأخرى .

وأعجبني من أخلاق أهلها سلامة صدورهم ورحابتها، وحسن الوفادة للضيف المسلم وتكريمه وتشجيعه والاعتراف بما عنده وقوة العاطفة والإيمان وخفةالروح وقلة العبوس وسرعة الائتناس والصداقة والشغف بالعلم والجد فيه والإقبال على المطالعة واقتناء الكتب .

أما الذي لم يعجبني في مصر ، وبالصراحـــة الذي انكرتة وأنتقده — ومعذرتي إلى قلبي الذي أحب مصر وأهلها — فهو الميل الفاشي في الشعب الى التسلية والمتعة الرخيصة ، ووجود طبقـــة كبيرة العدد واسعة النفوذ تتجر بالأدب الفاجر وتعيش على أثمان الأعراض والأخلاق وتتمتع في مصر الإسلامية بالحرية والاحترام .

ولم يعجبني في مصر وجود الأحزاب السياسية الكثيرة من غـير فارق كبير بينها في العقيدة والمبدأ واحتدام الخلاف بينها واستغلالها للشعب السليم استغلال الأدوات أو الجمادات .

ولم يعجبني كذلك كثرة الجمعيات والهيئات وكثير منها ليس لهـــا رسالة

خاصة ولا دعوة ممتازة ، وأنكرت منهـــا ومن رجالها المناقشات الشخصية والخلافات الجزئية وتحرش بعضهـــا ببعض وتخطى الحدود الخلقية والدينية لذلك .

أنكرت في مصر وجود طبقـــة مثقفة تلك زمام البلادوزمام التعليم والصحافة والأدب قد تعفن ضميرها وتعفنت عقليتهـا فهي لا تهضم الإسلام ولا تصدق أن له مستقبلا ، ولا تخلص للإسلام والمسلمين وهي الطبقـة التي عرفناها في الهند والباكستان وفي تركيا وايران وسورية والعراق وهي ثمـــرة التربية السابقة ونتاج التعليم الذي أحسن المستعمرون الغربيون وضعه ودققوا في تجريده من الروح الإسلامية والتربية الدينية وهي طبقة متشابهة في العقيدة والعقلية لأن المرضعة واحدة .

أنكرت في مصر التفاوت الفاحش بين الطبقات في الثراء ومستوى المعيشة ووسائل الحياة ، إنه لا مانع من التفاوت ولكن وجـود عدد ضخم من الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم وكسوة جسمهم ووجود أغنيـاء يتخمون بفضول أموالهم ومطاعمهم وملابسهم في مجتمع واحد وفي صعيد واحد ثم لا يرحم هؤلاء أولئك ولا يرثون لما هم فيه من فقر مدقـــع وجوع قاتل ولا ينفقون في سبيلهم العفو ، تفاوت لا يقره دين ولا يقبله عقل ولا عدل ، ووضع شاذ غـــير قابل للبقاء والاستمرار .

إن كل ذلـك أو بعضه ، لا شك أنه من رواسب العصور المنحطة الاولى وعهد الاستعمار الأوروبي ، وإن الحركات الدينية والإصلاحية الصحيحة ووجود اليقظة الإسلامية خليق بعالجـــة نواحي الضعف والعلل الاجتماعية ، وإن مصر لا شك تجيش بثورات دينية إصلاحيـــة وتتمخض بعهد جديد للاسلام والعرب .

أما بعد فسلام على مصر وأهلها ، وتحية من زائر لقي في هذا البلد الإسلامي كل ما يتوقعه مسلم من عطف وكرم وحسن وفادة .

سورية

الاثنين ٢٠/٩/١٣٧٠ هـ — ٢٥/٦/١٩٥١ م .

من قارة الى قارة

توجهنا بعد صلاة الصبح إلى مكتب شركة مصر للطيران بميدان إبراهيم باشا ومعنا السيد ياسين الشريف ، وتمت الاجراءات العادية، وجاء الأخ عبدالله العقيل ، والأخ محمد الدمرداشي ، وأحمد العسال، للتوديع، وقد أكبرت همتهم وإخلاصهم، فإن الوقت وقت النوم، وتوجهت بنا الطائرة إلى دمشق في الساعة السابعة صباحاً ، وفي ساعتين انتقلنا على متن الريح من قارة أفريقية الى قارة آسيا ودخلنا في حدود سورية ، وبعد ربع ساعة كنا في مطار المزة بدمشق وهكذا انتهت هذه الرحلة الطويلة من غير أن نشعر بطول أو تعب ، فسبحان الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم .

في دمشق

كنت سألت الأخ عبد النافع عن فنادق نظيفة متوسطة فاشار علينا بالنزول في فندق قصر الاندلس بالمرجة ، وكان اختياراً موفقاً . بقينا ننتظر سيارة الشركة التي تقلنا الى مكتب الشركة في البلد الى أكثر من ساعة وتأخرت السيارة حتى كانت المدة التي قضيناها في الانتقال من دمشق الى دمشق أقل قليلا من المدة التي قضيناها في الانتقال من افريقية الى آسيا ، وعلى كل فقد وصلنا الى فندق قصر الاندلس واخذنا غرفة واسترحنا قليلا وصلينا الظهر .

الطقس جميل في دمشق وهو يشبه الفصل المعتدل في بلادنا إذ لا نشعر بالحر ولا بوهج الشمس ، والمدينة ظريفة هادئة تشعر بهدوء كبير وراحة بالنسبة الى القاهرة الصاخبة الزاخرة .

في جامع الشيخ محي الدين

اردنا ان نقابل صديقنا الجليل مولانا الشيخ احمد كفتارو في اول فرصة فسألنا رجال الفندق عن حي الأكراد فقالوا : تركبون ترام الشيخ محي الدين وتزورون الشيخ وتسألون عن صاحبكم ، ولم يخطر ببالنا إلا ان الشيخ محي الدين من مشاهير هذا البلد ، وبعد قليل انتقل ذهننا فجأة الى الشيخ محي الدين بن عربي الشيخ الأكبر ، وتذكرت انه مدفون في دمشق وعجبت لشرود ذهني ، ونزلنا في الحي المنسوب اليه وقصدنا مسجده فـــاذا هو مسجد جميل عامر بالمصلين ، ورأينا الناس في انتظار الصلاة مشتغلين بالذكر والتلاوة وذلك قبل اذان العصر فشعرت بامتياز سورية في المحافظة على الدين وبقايا الحياة الدينية في هذا البلد ، ورأيت هذا المسجد مثل المساجد الأخرى التي بنيت على القبور ودفن فيها رجال من الصالحين فرأيت لوحة على الجدار فيها « يا شيخ محي الدين» وهي معارضة صريحة لقوله تعالى : « ان المساجد لله فلا تدعو مع الله احداً » .

وزرنا بعد صلاة العصر الشيخ محي الدين فرأينا هذا البيت مكتوبـــاً على الجدار :

أفلت شموس الأولين وشمسنا ⠀⠀⠀⠀ أبداً على أفق العلا لا تغرب

وكان ذلك مثار العجب والاستنكار أيضاً :

في الجامع الاموي

طرقنا باب الشيخ أحمد كفتارو وسألنا عنه فقيل هو في الجامع الأموي وله

درس هناك ، وفرحت بهذه المصادفة فقد أراد الله أن لا نتأخر عن زيارة هذا الأثر الإسلامي العظيم الذي ما زلنا نقرأ عنه من أول عهدنا بالتاريخ الإسلامي، وتوجهنا الى السوق الحميدي ومشينا في أسواق مسقوفه حتى وصلنـــا إلى هذا الجامع العظيم ، وابتدرت أبصارنا إلى هذا البناء الشامخ ودخلنا من بابه الكبير ومررنا بصحنه الواسع حتى دخلنا في داخل المسجد ، وهنا رأينا حشداً كبيراً من المسلمين ما بين مصل وذاكر ، ومسبح ودارس ، ومتحدث ، وتمثلت لنـا الحياة الأولى في العواصم الاسلامية الكبرى .

في درس الشيخ أحمد كفتارو

ومشينا إلى حلقة كبيرة جداً تضم مئات من الناس والمكبرة تذيع صوت الشيخ أحمد كفتارو ، وجلسنا نستمع وحانت من الشيخ إلتفاتة فرآني على بعد وعرفني فدعاني وأدناني اليه ، وعجبت من سرعة خاطره لأننا لم نتقابل بعد الحج وما عنده علم بتوجهي إلى دمشق ، واستمر الدرس نحو ساعتين وكان درساً في سورة البروج ، إلا أنه كان درساً دينيـــاً عاماً يتناول الحياة كلها ، وأعجبني من الشيخ تطبيق الآيات على الحياة والتعرض للواقع والحاضر من غير اقتصار على المعاني العلمية والكليات، وتنزله إلى مستوى الثقافة العامة والتحدث في لغتهم المحلية الدارجة وانتقد لادينية المعارف في البــلاد ونشوء الشباب على الجهل التام بالدين والغفلة عنه ، وتعرض لنكبة فلسطين وخوف المسلمين - إذا استمروا في سكوتهم وجبنهم - من أن يستولي اليهود - لا سمح الله على سوريا ودمشق ويعتلي حبر من أحبارهم هذا المنبر العظيم ، وسرني أن نسبة الشباب وأبناء المدارس كانت طيبة في حلقة الدرس ، وبعد الدرس تصافحنا وتقابلنـا وقال: قد طالت إقامتكم في القاهرة فقلت: وهل كان عندكم خبر بوجودنا في مصر؟ قال نعم ، ومشى الشيخ ونحن معه عن سماطين من المسلمين والمصافحين والمودعين فكان منظراً يذكر بما كان للعلماء من إجلال واحتفاء في الزمن السابق ، وتوجهنا إلى بيت الشيخ في حي الأكراد وأفطرنا وتعشينا وجلسنا نتحدث .

يوم الثلاثاء ٢١/٩/٧٠ هـ – ٢٦/٦/٥١ م

الشيخ محمد بهجة البيطار

سمعت اسم الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي من أستاذنا الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي ، وكان يظهر اسمه بين حين وآخر في المجلات العلمية والدينية وكنت أعرفه كعالم ضليع سلفي ، ثم سمعت أن تحرير المنار بعد وفاة صاحبها العلامة السيد رشيد رضا أسند إلى الشيخ بهجة البيطار وأنه سيقوم بتكميل تفسير المنار فكان الأستاذ من الشخصيات المعروفة والقريبة الينا ، وكنا متتبعين للمنار وأصحاب مدرسته والمجمع العلمي وأعضائه ، لذلك سررت عندما كتب الوجيه الفاضل الشيخ محمد نصيف كتاب تعارف وتوصية إلى صديقه الشيخ بهجة وأردت اليوم – وهو يومنا الثاني في دمشق – أن أنتهز أول فرصة لمقابلة الشيخ بهجة ولكن لم نجده .

زيارة الشيخ أبي الخير الميداني

وقصدنا دار مولانا الشيخ أبي الخير الميداني رئيس رابطة العلماء ومعنا رسالة توصية وتعارف من سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني ، ودخلنا داره وهي على الطراز التركي القديم وعلمنا ان الشيخ يصلي بالحريم وجاء الشيخ وهو رجل وقور منور الشيبة عليه سيما الصالحين ، وقدمنا اليه كتاب السيد أمين فرحب به وأثنى عليه خيراً وقرظ استقامته واخلاصه .

في مركز الاخوان المسلمين

وزرنا مركز الاخوان المسلمين في سنجقدار ، ومعنا كتاب تعارف من سماحة المفتي أيضاً إلى الدكتور الشيخ مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان المسلمين وأنا حريص على زيارته .

في جامع الدقاق

ذهبنا إلى جامع الدقاق لمقابلة الشيخ بهجة البيطار وحضور درسه وفجئنا بأن الشيخ لم يرجع بعد ، فحضرنا في درس تلميذه الشيخ عبد الرحمن الطيبي وكان موضوع الدرس الحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهنا قابلنا فضيلة الشيخ زين العابدين التونسي وهو شقيق العالم الكبير الشيخ محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الإسلامية وعضو هيئة كبار العلماء في مصر .

في البرلمان السوري

وفي المساء صادفنا في الطريق الأخ توفيق الكنجي مع بعض أصدقائه ، وأخبرنا أنه حصل لنا تذكرتين لحضور جلسة البرلمان فرحبنا بذلك ، لأننا لم نحضر جلسة لبرلمان عربي إلى الآن ، ولم نسمع المناقشات الدستورية في اللغة العربية ، وكنت أريد أن أعرف مدى صلاحية اللغة العربية للبحوث الدستورية ونجاح أبنائها فيها ، وان كنت أؤمن بسعة اللغة العربية ومرونتها وقابليتها لكل جديد ولكني كنت أحب أن أختبره فأراه عملياً .

حفلة دوحة الآداب

فاتني أن أذكر أني وردت دمشق والطبقات الدينية يشغلها حادث خاص والحديث عنه حديث المجالس ، وذلك أن مدرسة دوحة الآداب عقدت حفلة في قصر آل العظم وحضرته الطبقة الارستقراطية في البلد ورجال الجيش وظهرت فيها البنات سافرات وجرى فيها الرقص وكانت حفلة داعرة متحللة ، ولكن سورية لطابعها الديني ومحافظتها لم تستطع أن تحتمل هذه الحفلة الماجنة ، فأنكرها أهل الغيرة الاسلامية والشعور الديني ، وحدث أن الاستاذ علي الطنطاوي ـ وهو قاض ـ كان يخطب في جامع الجامعة السورية ، وكانت

الإذاعة السورية تذيع حديثه، فتناول هذا الموضوع وانتقد الحكومة واستمرت الإذاعة في نقل هذا الحديث ، واشتغلت أمواج الأثير تحمله إلى أنحاء الدنيا وهي لا تبالي ، فغاظ ذلك رجال الحكومة وحاسبوا الخطيب محاسبة شديدة وأحالوه إلى المحكمة وعزلوا مراقبة الإذاعة ، ومن هذا أصبح الحادث حديث البلد ، وتناولت الصحافة الدمشقية الشيخ علي الطنطاوي بالتجريح والتهكم والتنكيت ، وقام رجال الدين والعلماء ورؤساء الجمعيات الدينية بالدفاع عن الشيخ الطنطاوي وأبدوا موافقتهم وتأييدهم للشيخ ، وقد قدم أحد النواب سؤالاً بشأن هذه القصة ، فاليوم موعد البحث فيه والناس يتوقعون أن يحتدم النقاش ويحمى الوطيس ، وكانت الجمعيات الدينية خصوصاً الإخوان المسلمين يريدون أن يبدو استنكار الشعب لهذه المظاهر وموافقته للشيخ الطنطاوي ، فحاول رجالها أن يحضر هذه الجلسة أكبر عدد من العلماء ورجال الدين حتى يعرف النواب ـ ودائماً يدهم على نبض الشعب لا يريدون أن يخسروا تأييده وصداقته ـ أن الرأي العام لا يزال يهتم بالجانب الخلقي ، فحضر في الجلسة الشيخ محمد بهجة البيطار وبعض العلماء وتبادلنا التحية على بعد .

وابتدأت الجلسة في دار جميلة بنيت على الطراز الشرقي وتبوأ الدكتور معروف الدواليبي مكان الرئاسة وأخذ المجلس في البحث إلى أن جاء دور المسألة التي أشرت اليها فارتفعت الأعناق وتفتحت الآذان .

كلمة الاستاذ محمد المبارك

وتقدم الأستاذ محمد المبارك نائب دمشق، وهو من أعضاء الجمعية الاشتراكية الإسلامية التي يرأسها الدكتور مصطفى السباعي ، فتلا كلمة قيمة قوية مدعمة بالبراهين ، كتبت في أسلوب علمي أدبي في اللغة البرلمانية في أهمية الاخلاق في حياة الشعوب ، وتمسك المجتمع العربي القديم والجاهلية العربية بالمبادىء الخلقية ، وحاجة المسلمين وخصوصاً الشعوب العربية وهي أمام الخطر الصهيوني

وفي ساحة القتال إلى التمسك بالأخلاق والتماسك والتربية المتينة ، ومقاومة كل ما يضعف فيها روح الرجولة والكرامة والفتوة ، وقد قوبلت هذه الكلمة باستحسان وإعجاب كبير ، خصوصاً ممن كانوا في صف الزائرين والمستمعين ، وألقى الشيخ السباعي كلمة وجيزة لائقة بالظروف المحيطة بالقضية ، ولم يقع ما كان ينتظر من الرد على هذه الكلمة والدفاع عن الحكومة ، ويقال إن المعارضين رأوا رجال الدين والعلماء في صف المستمعين وعرفوا استياء الشعب من هذه المظاهر ، ومشاركته للشيخ الطنطاوي وأنصاره ، فتراجع هؤلاء وفضلوا السكوت ، وأبدى رئيس المجلس لباقته البرلمانية ، فأهدأ الثائرة ، ونصح للحكومة بالرفق والحكمة ونصح المجلس بالانتظار وتأجيل البحث ، وهكذا برد الجو الذي كان قد تكهرب بالسخط .

جدارة اللغة العربية للمناقشات البرلمانية ومقدرة النواب

ولاحظت أن مناقشة النواب وكلماتهم لا تقل في قوتها وتركيزها وفصاحة لغتها عن مناقشات أي برلمان يبحث أعضاؤه في اللغة الانجليزية ، فقد شهدت بعض جلسات مجلس التشريع في بلادنا ، فرأيت أن اللغة العربية قد أثبتت جدارتها ، وان النواب العرب قد أثبتوا كفاءتهم ومقدرتهم البرلمانية ، وأعجبت بكلمة الرئيس وأجوبة رئيس الوزراء خالد العظم فكانت مركزة ، هادئة ، لبقة وأظن أن لغة النواب السوريين أقرب إلى الفصحى والبعد عن اللهجات المحلية من النواب المصريين ، مع أني لم أحضر جلسة للبرلمان المصري .

مقابلة علماء دمشق

وخرجنا وصادفنا في الطريق الشيخ بهجة البيطار ، ومعه الشيخ محمد أحمد دهمان رئيس الدراسات الاسلامية وهو من كبار علماء دمشق ، والطبيب محمد أبو اليسر عابدين وهو من بيت الفقيه الحنفي السيد ابن عابدين المشهور ،

والشيخ محمد سعيد برهاني وقابلت الشيخ محمد بهجة البيطار، وعرفنابعضنا بعضاً.

الأربعاء ٧٠/٩/٢٢ هـ - ٥١/٦/٢٧ م

في دار الشيخ بهجة البيطار

توجهنا إلى دار الشيخ محمد بهجت البيطـــار، وجلسنا عنده نتحدث ونتذاكر.

حديث عن شيخ الاسلام ابن تيمية

وانتقل الحديث إلى شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية رحمه الله والشيخ البيطار من كبار المطلعين على مؤلفاته وآرائه. فذكر ملخص الافتراءات عليه ودحضها بدلائل تاريخية وعلمية، منها ما ذكر ابن بطوطة في رحلته أنه سمع ابن تيمية يخطب على منبر الجامع الأموي في دمشق، وينزل من درجة إلى درجة ويقول هكذا ينزل الله تبارك وتعالى، وقال إن ابن بطوطة لم يصادف ابن تيمية في دمشق فقد كان دخول ابن بطوطة في دمشق في شهر رمضان سنة ٧٢٦ هـ وكان شيخ الإسلام قد دخل السجن في شعبان في نفس السنة، ولم يكن ابن تيمية في يوم من الأيام خطيب الجامع الأموي، وإنمــــا كان خطيب الأموي في عصره الشيخ جلال الدين القزويني، فما هو إلا وهم من ابن بطوطة أو غلط، ويؤيد ذلك أن الرحلة إملاء لا وضع، وتعجب الشيخ من قول الشيخ زاهد الكوثري إن الأمير خربنده تشيع لشدة ابن تيمية، مـــع أن الحكاية أن خربنده طلق امرأته ثلاثاً، وندم بعد ذلك أشد الندم! فسأل العلماء هـل: له من مخرج؟ فقالوا: كلا! لقد بانت امرأتك ولا تعود إلا بحلالة ونكاح، وصادف الأمـير خربنده ابن المطهر الحلي الفقيه الشيعي المشهور، فقال: هي واحدة والطلاق رجعي، وأنا أثبت ذلك من السنة، فقال: هل تستطيع أن تناظر أهـــل

السنة ؟ قال نعم ، فجمعهم وناظرهم ابن المطهر ، وأفحمهم ، وتشيع خربنده فما ذنب ابن تيمية في هذا ؟ واتفقت كلمتنا على أن كتب شيخ الإسلام لا تزال مادة غزيرة إلى هذا العصر ، ولا تخلو من جدة ومسايرة للتطور العقلي مع تقدم زمانها ، وصالحة لإقناع كثير من العقول العصرية ، وذلك لتمسك ابن تيمية رحمه الله بأصول الدين ، ولأنه تمسك بأطراف الدين ، قال الشيخ بهجت البيطار : حدثني بعض علماء الأزهر قالوا : درسنا كتب التوحيد في الازهر فنشأت في نفوسنا شكوك وشبهات وكدنا نخرج من الإسلام ، إلا أننا طالعنا كتب شيخ الإسلام فغرست الإيمان في قلوبنا من جديد وقلت له : يبدو للناظر لأول وهلة أن المعتزلة أرق وألطف في فهم الدين ، وأنهم من العقليين ، ولكن يثبت للمدقق والراسخ أنهم كانوا في دور الطفولة العقلية في الإسلام ، فإن أفكارهم فجة غير ناضجة وإن المحدثين أكثر توفيقاً ورسوخاً في العلم وآراؤهم أقرب الى العقل بعد التحقيق من آراء المعتزلة ، قلت : وقد قلت للدكتور أحمد أمين بك بصراحة إنكم أعطيتم المعتزلة في كتابيكم فجر الاسلام وضحى الاسلام أكثر من حقهم ، قال الشيخ : وقد سألته في زيارته لدمشق ما هي أقرب الفرق الاسلامية إلى الصواب في نظركم ؟ فتروى قليلاً ثم قال : المعتزلة قلت : لقد ظل الانتصار للاعتزال والمعتزلة والانحياز اليهم رمزاً للتنور الفكري والعقلي زمناً طويلاً في بلاد الإسلام حتى وجدت في أوربا مدارس جديدة للفلسفة قللت من قيمة العقل المجرد وحدت من سلطانه ، ففقد الاعتزال كثيراً من نفوذه وسحره .

آثار حكم الفرنسيين في دمشق

قمنا لزيارة المجمع العلمي كما تقرر بالأمس ، وركبنا الترام ثم نزلنا نمشي في أسواق دمشق ، ومررنا بشارع يسمى « الحريق » حكى لنا الشيخ بهجة البيطار قصته أنه كان من أفخر أحياء دمشق وكان مركزاً لأسرة القوتلي وعظماء دمشق وكان هدفاً لإصابات الفرنسيين ورصاصاتهم ، حتى وقعت حرائق كثيرة وخرب الشارع بما فيه من بيوت ومنازل ، وكان الناس في حصار . وكان الفرنسيون

لا يميزون بين رجل وامرأة وصغير وكبير، وقال لقد كانوا وحوشاً أخروا البلاد مدة طويلة ، وكانوا في مستعمراتهم لا يمثلون أبداً أنهم دعاة الثورة الفرنسية والحرية والمساواة .

في دار المجمع العلمي

ووصلنا إلى المجمع العلمي ووجدنا هناك الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع والأستاذ خليل مردم بـــك ، وقد عرفتهما من أيام الطلب بمقالاتهما ورسائلهما ، فقد كانت جمعية الإصلاح — وهي نادي اتحاد الطلبة في دار العلوم مشتركة في مجلة المجمع، وقد قابلناهما وجلسنا نتحدث عن المسلمين في الهند ، وأهديت إلى مكتبة المجمع نسخة من الجزء الأول من نزهة الخواطر للسيد الوالد رحمه الله ، ودخلنا في مكتبة المجمع ووجدنا هناك تمثالا لأبي العلاء المعري ، وقد تسلطت الأصنام على سادتنا العرب مرة أخرى ، وعادت باسم التذكار والعلم والتاريخ .

المكتبة مظاهرية

والمجمع العلمي في بناء المدرسة العادلية الكبرى وهي بناء ضخم مشيد وكان اختياره للمجمع العلمي اختياراً مناسباً [1] ويقابل هذا البناء المكتبة الظاهرية نسبة إلى السلطان الظاهر البيبرس المدفون فيها ، وهي مكتبة دمشق الكبرى ومن أغنى مكتبات الشرق الأوسط في مخطوطات المؤلفين الكبار كالحافظ ابن

---

(١) والمدرسة العادلية المنسوبة الى الملك العادل ابن السلطان صلاح الدين وهو مدفون فيها في القاعة التي فيها المكتبة وفي هذه العادلية وضع ابن خلكان تاريخه المشهور ، وعلى باب العادلية كان يقف ابن مالك النحوي ويدعو الناس لحضور درسه : هل من متعلم هل مستفيد ؟ وفي العادلية نزل ابن خلدون .

حجر العسقلاني وشيخ الاسلام ابن تيمية الحراني والحافظ ابن عساكر الدمشقي والذهبي وغيرهم .

من نفائس المكتبة

ومن أقدم ما تحتوي عليه هذه المكتبة كتاب مسائل الإمام أحمد للامام أبي داوود السجستاني صاحب السنن وترجع كتابتها إلى سنة ٣٦٥ ... ومن نفائس هذه المكتبة كتاب الكواكب الدراري في ترتيب مسند الامام أحمد على أبواب البخاري لابن عروة الحنبلي .

والكتاب على خلاف ما يشعر اسمه يكاد يكون دائرة معارف اسلامية أصله ١٢٠ مجلداً والباقي في المكتبة ٤٤ مجلداً ولكنها مفرقة ، ومن هذا الكتاب استخرجت رسائل كثيرة لابن تيمية رحمه الله طبعت مفردة ككتاب الوسيلة وتفسير المعوذتين وتفسير سورة الاخلاص وتفسير سورة النور وغيرها ، وفي المكتبة دار واسعة للمطالعة في الدور الثاني ، وقابلنا مديرها وهو رجل فاضل مطلع ومعتن بالآثار العلمية .

على قبر السلطان صلاح الدين

خرجنا من المكتبة الظاهرية وتوجهنا الى جهة الجامع الأموي ، وقبل ان ندخل فيه زرنا ضريح شرف الاسلام والمسلمين ناصر الملة والدين الغازي صلاح الدين الأيوبي الذي بيض الله به وجه الاسلام والمسلمين ، ورفع رأسهم عالياً ورد غارة الصليبين وكسر شوكتهم . وقفنا أمام باب المقبرة وقفة واستحضرنا مآثره الكبرى وجلالة عمله الخالد ، وذكرنا وقعة حطين التي قضت على الصليبيين وكانت فتحاً للاسلام تضاءلت أمامه الفتوح ، واثنت عليه الملائكة والروح ، وتمثلت ببيتي الزركلي على لسان فلسطين الشهيدة واهلها :

هاتي صلاح الدين ثانيـــة فينـا
وجددي حطين او شبه حطينا

وانا من قديم الزمان احمل للسلطان الشهيد نور الدين الزنكي والغازي صلاح الدين الأيوبي من الاجلال والاحترام ما لا احمل لملك من ملوك الاسلام وأتقرب الى الله بحبهما والدعاء لهما .

دخلنا الى قبر المجاهد العظيم الذي انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخل السرور على روحه وغضب لدينه وحفظ للاسلام شرفه وبيته المقدس ، وللأمة الاسلامية كرامتها وحريتها . وترحمت عليه ودعوت الله له ، واخبرني الرفاق ان جنرال «غورو» الفرنسي لما جاء وفتح سورية جاء الى ضريح السلطان وركله برجله وقال : الى متى يا صلاح الدين تبقى نائماً ؟ ها قد حضرنا هنـــا وفتحنا سورية . ولا يستبعد ذلك من طيش الفرنسيين وكبر الاوروبيين ، ولكن كما قال الشاعر :

« كذاك الحي يغلب الف ميت » .

قبة النسر

ومن هناك قصدنا الجامع الاموي وصلينا فيه الظهر ، ولما مررنا تحت قبة النسر ذكر الشيخ بهجة البيطار انها كانمن عادت البلاد انه لم يكن يدرس تحتها إلا أكبر عالم من علماء دمشق ، وكان السيد بدر الدين الحسيني محدث دمشق المعروف يدرس قريباً منها ولا يدرس تحتها ، ثم اجترأ الناس وصار يدرس تحتها كل أحد .

في دار الحديث

وخرجنا من الجامع الأموي وزرنا في طريقنا دار الحديث التي كان يدرس

فيها الامام النواوي ، والتي يقول فيها الشيخ تقي الدين السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى الى بسط لهـــا أصبو وآوي

لعلي ان أمس بحر وجهي مكاناً مسه قـــدم النواوي

مع الاستاذ الاميري

وفي الطريق ذكر لنا الأخ عبدالرحمن الباني ان الاستاذ عمر بهاء الأميري وزير سورية المفوض في الباكستان نازل في فندق سميراميس بالمرجة ، فذهبنا نزوره وسررت بهذه المفاجأة ، لأني لم أكن اتوقع وجوده في سورية فضلا عن دمشق . دخلنا في غرفته وقلت له : هل عرفتني ؟ فقال : كيف لا وقد تقابلنا في مكة مراراً ؟ وأخذنا في الحديث ،وابدى الاخ عبدالرحمن رغبته في محاضرة القيها في الجامعة السورية .

الأربعاء ٢٣/٩/١٣٧٠ هـ – ٢٨/٦/١٩٥١ م .

زيارات كريمة

جاء الشيخ محمد بهجت البيطار وأخذنا باطراف الأحاديث . والشيخ البيطار فكه المحاضرة عذب الحديث عالم خفيف الروح لا يمل حديثه ، ولم أر بعـــد استاذنا الشيخ تقي الدين الهلالي أفصح لغة وافصح عربية منه .

أربعة كتب مختارة في نظر الاستاذ محمد المبارك

وبعد قليل جـــاء الاستاذ محمد المبارك صاحب الكلمة المقبولة في جلسة البرلمان السوري يوم الثلاثاء ، وقد حضر أمس ولم يجدنا ،وهنأته على كلمته القوية الجريئة ، فقال : لقد كانت مستمدة من كتابكم « ماذا خسر العالم » وهذا يدل

على تواضعه ، وإلا فقد كانت الكلمة مستقلة مستمدة من الايمان القوي والثقافة الاسلامية ، وقال مخاطباً للشيخ بصحبتي أربعة كتب ظهرت حديثاً كانت زيادة حسنة في المكتبة الاسلامية العصرية وهي كتاب «العدالة الاجتماعية في الاسلام» لسيد قطب و « الاسلام على مفترق الطرق » لمحمد أسد و « مــاذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وأما الكتاب الرابع فليس في درجتها وهـــو « الرسالة الخالدة » لعزام باشا ، أما « الاسلام على مفترق الطرق » فموجز ومركز جداً وأما العدالة الاجتماعية فمبسط في ناحية خاصة وأما كتاب « ماذا خسر العالم» فهو أبسط الكتب . ولقد كنا في اول عهدنا نقرأ كتب الاستاذ فريد وجدي وغيره في الدفاع عن الاسلام ، وكانت هذه الكتب مبنية على استدلال واستشهاد باقوال الأوروبيين ولكن كتاب « مــاذا خسر العالم » جاء يفند الحضارة الأوربية بنفسها ويزيف مقاييس الاوربيين .

مع الشيخ أحمد كفتارو

اتصل مولانا الشيخ احمد كفتارو بالتلفون وأخبرني انه قادم الى الفندق بعد قليل ، ويريد ان يأخذنا الى غوطة دمشق للتفرج عليها واعتذر بأشغاله عن عدم الزيارة والإيناس . وحضر بعد قليل وجلس ساعة وتكلم عن مناهجه وآرائه وخدمة الدين في هذه البلاد ، فـكان حديثاً مفيداً وتبادلنا الآراء في الموضوع .

آراء الشيخ في الاصلاح

ويرى الشيخ أحمد أفندي – وقد عرفت ذلك منــه في الحجاز ولا يزال على رأيه – أن اقرب طريق وانجح وسيلة لاصلاح الأوضاع الفاسدة وتطبيق الدين في المجتمع والحياة هو التأثير في رجال الحكومة الذين بيدهم أزمة الامور والسلطة التنفيذية ، وذلك عن طريق الاتصال بهم والمقابلات الشخصية وإيجاد

الثقة فيهم ، وان ما يكتب من النجاح في عام عن طريق الدعوة العامة يكتب في اسبوع او اقل من ذلك عن طريق هؤلاء ، وله خطة ومنهاج في الاصلاح يعتقد انه اذا نفذ اتجهت البلاد بأسرها اتجاهـا دينياً وهو اصلاح المعارف وتوجيهها الاسلامي ، واصلاح الاذاعة واصلاح السينما ورقابة الأفلام وتربيه أئمة المساجد ، وهو قوي الأمل عظيم الثقة . بتأثير هذه الوسائل العصرية في توجيه الشعب ، والشيخ أحمد عالم مثقف مطلع ناضج العقلية واسع آفاق الفكر نشيط في عمله ، وقد تمكن فعلا في حكومة سابقة باتصاله برئيس الجمهورية من إلغاء البغاء الرسمي – وحكي لي انه اجتمع برئيس أركان الحرب الحالي وهو الحاكم العسكري للبلاد وتحدث معه ساعة وقال له : تستطيع ان تكون زعيما للبلاد العربية كلها بل للعالم الاسلامي كله اذا هيأت لنفسك الزعامة الاسلامية واحتضنت خدمة الاسلام ، وكان نتيجة هذا الحديث انه طلب من فضيلة الشيخ أن يقدم اليه مقترحاته في توجيه البلاد وبرنامجه للاصلاح .

وقال لنائبه ان يسمح له بالحضور والاجتماع في كل وقت ، وان يأخذ تقريره ويقدمه ، ولكن الحادث الأخير الذي كان فيه العلماء معسكراً واحـداً إزاء الحكومة احدث شيئاً من الجفوة وعرقل سيره .

في غوطة دمشق

وبعد ذلك خرجنا مع الشيخ احمد افندي على سيارته الى الغوطة ، واعجبني ان الشيخ رغم كونه شيخ طريقة وعالم البلد المعروف يقود سيارته . ونزلنا في ببيله قريته في الغوطة في بيت الشيخ عبد الحكيم خطيب جامع القرية ، وعلمنا ان الغوطة واسعة جداً ، تمتد نحو خمسة عشر كيلو طولا وعرضاً والانهار تخترقها ورأينا في البيت الذي نزلنا فيـه نهراً يجري في البيت ، ماءه بارد جداً توضأنا منه .

ثم خرجنا الى قرية يلده ونزلنـا في بستان كبير لبعض اصدقاء الشيخ

وتفرجنا على اشجار الزيتون والمشمش والجوز والعنب والرمان والتين والتفاح ، ولم اكن رأيت اشجار الزيتون والمشمش من قبـــل ، ونحن في هذه الايام في أوان المشمش .

تطورات واحداث في سوريا

وهنا تحسن الإشارة إلى بعض التطورات والأحداث السياسية في سورية حتى نعرف وضع البلاد . إن سورية في مدة قصيرة لا تزيد على عامين شاهدت ثلاث ثورات عسكرية . الثورة الأولى ثورة حسني الزعيم ضد حكومة شكري بك القوتلي ، والثانية ثورة سامي الحناوي ضد حكومة حسني الزعيم ، والثالثة ثورة الجيش الأخيرة ضد حكومة سامي الحناوي ، ولا تزال سورية تحت الحكم العسكري فرغم أن هاشم بك الأتاسيهو رئيس الجمهورية وخالد العظم هو رئيس الوزراء ولكن المسيطر الأعلى هو العقيد أديب الشيشكلي رئيس أركان الحرب ، وقد سألت الثقات عن رجال الحكومات السابقة وأسباب الثورة ، فقالوا كان شكري بك القوتلي رجلاً متديناً ولكنه كان ضعيفاً ، ولم تكن ديانته متعدية ذات نفوذ في الدولة ، أما سبب الثورة فهو انه أراد عزل حسني الزعيم منقيادة الجيش ، ولكن قبل أن يصدر الأمر بالعزل بليلة قام حسني الزعيم بالانقلاب ، وكان رجلا قوياً صاحب صرامة ، فأمل الناس فيه آمالاً كبيرة ورجـا بعض الناس أنه الرجل المنتظر الذي ينقذ فلسطين ويحفظ لسورية كرامتها ومكانتها ولكنه تغير واستبد ومال إلى البذخ وانغمس في الترف واتهم بمالأة بعضالدول الأجنبية ، وقـــام الجيش بثورة ثانية وكان سامي الحناوي آلة صماء في يد الجيش ولم يكن صاحب الفكرة في الثورة ومصدرها وكان رجلا طيباً يحـترم الدين ورجاله ، يقول الشيخ أحمد كفتارو إنه كان يوم العيد في بيته بحي الأكراد فإذا بسامي حناوي وهو الحاكم العسكري على البـــاب ودخل وجلس نصف ساعة ، وقد قتله أحد أقارب الدكتور محسن البرازي رئيس الوزارة فيحكومة حسني الزعيم في منزله أو منفاه في بيروت وحدث الانقلاب الثالث ولا يزال

الحكم الحقيقي في يد الجيش وهو الذي يعزل وينصب فقد كان الدكتور ناظم القدسي رئيس الوزارة ولكن سياسته لم توافق رئيس أركان الحرب فحدث التعديل في الوزارة ، وجاء خالد العظم ، وإن بقاء الجيش في الحكم وتحكمه في سياسة البلاد وإدارتها يجعل الأمور غير مستقرة ، ويخوف كثيراً على مستقبلها، وهو سبب أيضاً من أسباب اندفاع البلاد إلى التحلل الخلقي .

شعور الناس في سورية نحو قضية فلسطين

وجدت في الناس موجة قوية من الاستياء والتألم من قضية فلسطين وضياعها، ورأيت سخطاً عاماً على الجامعة العربية وعدم الثقة بها وبالحكومة في شأن فلسطين وقلما يخلو مجلس من ذكر مأساة فلسطين وتقصير الحكومات العربية في شأنها ، ولما أصاب العرب بسبب ذلك من الذل والانكسار ، وما لحقهم من الخزي والعار .

الجمعة ١٣٧٠/٩/٢٤ هـ - ١٩٥١/٦/٢٩ م .

الجمعة في الجامع الاموي

صلينا الجمعه في الجامع الأموي . وكانت الخطبة قيمة تتناول موضوع المحافظة على الأخلاق ومعنى الغيرة وتنظر إلى حادث دوحة الآداب من طرف خفي وألقى الاستاذ محمد المبارك كلمة في معناها بعد صلاة الجمعة وكانت مثالاً للباقة والحزم .

أفطرنا اليوم وتعشينا في ضيافة السيد عبد الرحمن الباني في مطعم فاخر ، ورأينا عدداً كبيراً من الصائمين يفطر في المطعم ولم نر مثله في بلد ، وكان معنا في الفطور الاستاذ أحمد بك مظهر العظمة ، صديق الأستاذ الباني ، وبعد الفطور خرجنا لزيارة صديقنا الأستاذ محمد كمال الخطيب صاحبنا في الحج

مقابلة الاستاذ محمد كمال الخطيب

ومررنا في طريقنا إلى بيته بقبر السلطان نور الدين الشهيد عليه رحمة الله وزرنا الاستاذ الخطيب وتحدث معنا ساعة .

ذهبنا إلى مركز الإخوان وقد اجتمع الاخوان للتراويح ، وألقيت كلمة في الحض على قيام الليل وتأثيره في أعمال النهار وفضله في قوة الدعاة ونشاطهم .

بدا لنا ان نغتنم أيام رمضان الأخيرة ونقضيها في المسجد الأقصى المبارك ، فمن يدري هل تسنح لنا فرصة زيارة القدس ، والتمتع به أولاً ؟ فتهيئنا للسفر واعددنا له عدته .

الأحد ٢٦/٩/٧٠ هـ – ١/٧/٥١ م

بين دمشق وعمان

توجهنا صباحاً في الساعة التاسعة إلى عمان وجاء الشيخ عبد الوهاب الصلاحي والاستاذ عبد الرحمن الباني والاستاذ أبو عزه والأخ السيد محمود الحافظ يودعوننا وتوجهت السيارة ومررنا بدرعا (وهي أذرعات المعروفة في التاريخ) ورمثة والزرقاء حتى وصلنا عمان ظهراً وصلينا الظهر والعصر في جامع البلد، وهو مكتظ باللاجئين ووجدنا أحد العلماء يلقي درساً .

من عمان الى القدس

وركبنا سيارة صغيرة وتوكلنا على الله والسيارة تسير بنا على جدد الجبال والطرق تلتوي وتدور كالحيات ، ومررنا بالقرب من البحر الميت أو بحيرة لوط ويقولون أنها بقربة من قرية سدوم التي كان يسكنها قوم لوط وقد تكونت هذه البحيرة من هذه القرية المعذبة المقلوبة ، وصدق الله العلي العظيم ، (وإنها لبسبيل مقيم ، وإنكم لتمرون عليها مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) [١] والأرض

(١) قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الانبياء: أعتقد أن البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط أو ببحيرة لوط لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث وإنما حدث من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها وصارت أخفض من سطح البحر أربعمائة متر ، وقد جاءتنا الاخبار في السنتين الماضيتين ١٩٣٠ – ١٩٣١ بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت .

بين عمان والقدس منخفضة في بعض المواضع حتى لتساوي سطح البحر ومررنا بنهر الأردن الذي قد يسمى بنهر الشريعة وهو الفاصـل بين شرق الاردن وفلسطين وكلما دنونا من القدس شعرنا بارتفاع وتغير خفيف في الطقس حتى دخلنا مع غروب الشمس في الأرض المقدسة التي بارك الله فيها وحولها .

في المسجد الاقصى المبارك

ونزلنا عند باب الزهرة وقصدنا زاوية الهنود ووضعنا حوائجنا في حجرة وصلينا المغرب ويممنا المسجد الاقصى المبارك في دلالة أحد خدم الزاوية والليل ظلام والانوار ضعيفـة لا نتبين الآثار جيداً ، ومررنا بالصخرة حتى دخلنا في المسجد الجنوبي إلى جهته القبلية الذي يسمى الآن المسجد الاقصى ، وان كان كل ما هو داخل السور هو المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله ، وعلى كل فقد دخلنا المسجد وصلينا العشاء والتراويح ، وفي الرجوع سمعنا أن سعادة الشيخ محمد صادق المجددي وزير أفغانستان المفوض في مصر ، مقيم في بعض حجرات المسجد معتكف فدخلنا عليه وسلمنا ورجعنا إلى محلنا ونحن متعبون .

الاربعاء ٧٠/٩/٢٧ هـ – ١٩٥١/٧/٢ م

زرنا الشيخ الانصاري شيخ الزاوية الهندية ثم توجهنا الى المسجد وظللنـا طول النهار في المسجد وطاب لنا العكوف فيه واستشعرنا سكينة وهدوءاً :

في ضيافة سعادة الشيخ محمد صادق المجددي

ولما انصرفنا عنه لصلاة المغرب اذا بالأخ صبغة الله حفيـــد سعادة الوزير الافغاني ينتظرنا ويخبرنا أن سعادة الوزير في انتظارنا للعشاء ، حضرنا العشاء معه وطلب منا سعادته ان نقيم معه لأن الزاوية بعيدة عن المسجد والوصول اليه

في الليل صعب ، فاعتبرنا هذا من تيسير الله سبحانه وتعالى ، وأقمنا معه في راحة وسعة ، وهنا تعرفنا بجماعة من أهل القدس يزورون الوزير منهم السيد فؤاد الإمام مدير الاوقاف ، وآخر مدير شرطة الحرم ، والسيد المجددي يعتكف في القدس كل سنة فهو معروف ومحبب الى الجميع ومحله دائماً عامر بالزوار والاصدقاء .

الثلاثاء ٧٠/٩/٢٨ هـ - ٥١/٧/٣ م

على قبر مولانا محمد علي الهندي

بقينا سحابة النهار في المسجد وهو لا يمل ولا يزهد فيه ، وتجولت في نواحيه وزرت ضريح زعيم الهند الاسلامي الكبير والمجاهد الشهير مولانا محمد علي الهندي رحمه الله وترحمت عليه وتذكرت أيامه وهو قائد الهند المحبوب وملك البلاد غير متوج وعجبت كيف ولد في الهند ودفن بالقدس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد غمرنا مولانا محمد صادق المجددي بلطفه وحفاوته .

في معتكف السيد المجددي

ومعتكفه بعد المغرب ناد زاه زاهر ومجلس عامر لكل صنف من أصناف أهل البلد ، فمنهم خدم المسجد الشريف وحرسه والموظفون الكبار والعلماء ، وسفرته واسعة تجتمع عليها أنواع الطعام وانواع الضيوف ، وكأننا في كابل في ضيافة أفغانية ، وهنا تعرفت بالسيد توفيق الحسيني شيخ الحرم وهو رجل وقور مهذب .

حقائق عن قضية فلسطين

وجرى ذكر مأساة فلسطين وعرفت منه كثيراً من الحقائق المؤلمة ، قال : إن

اليهود كانوا لا يطمحون أبداً الى ما وصلوا اليه بفضل الدول العربية وجامعتها وكانوا يعدون شبرا واحداً من أرض فلسطين غنيمة كبرى ، فاذا بالدول العربية تفسح لهم المجال وتحكمهم في بلاد واسعة وتفتح أرضاً لهم تخولهم إياها وتخلي بينهم وبينها وأنحى باللائمة على الجامعة العربية التي انتفع بها اليهود أكثر مما انتفع بها المسلمون .

انحطاط عظماء العرب

وذكر أنه حضر حفلة عقدها وزير سورية المفوض في مصر وقد حضرها كبار المسئولين ووزراء الدول العربية قال : وقد أديرت عليهم كؤوس الخمر وأنا واقف أنظر والدمع في عيني ، فلم يزالوا ينهلون ويعلون حتى غلبوا على أمرهم وجرت منهم الخمر كل مجرى فحملوا وأركبوا على سياراتهم وأرسلوا كالأموات إلى فنادقهم ، فأي خير يرجى من هؤلاء العرب والمسلمين ؟ ثم ذكر جيوش الدول العربية وفضائحها الخلقية من خمور وفجور وإتيانها بالموبقات التي تغضب الله في حالة المرابطة وفي ساحة القتال ، ففهمت بعض أسباب انكسار الجيوش العربية .

يوم الأربعاء ٧٠/٧/٢٩ هـ - ٥١/٧/٤ م

لم يظهر هلال العيد وقد مد الله في الشهر المبارك بيوم .

حديث عن فلسطين ايضاً

عرفني سعادة السيد المجددي بالإستاذ أسعد إمام الحسيني سكرتير الهيئة الدينية العلمية وهي كهيئة كبار العلماء في مصر تشرف على شئون المملكة الدينية وهو رجل عالم مثقف ذكر ما شهده بعينه أيام نكبة فلسطين وكيف

كانت القنابل تهطل على بيت المقدس ، قال : وقد اخطــأت الصخرة وخفت عليها وعلى المسجد .

العالم الاسلامي كبحر العروض

فذهبت إلى أحمد حلمي باشا وكان الحاكم العسكري في القدس وحكيت له الحال فقال : ما الحيلة قلت تذيع هذه الاخبار الى العــالم الإسلامي فان هذه المقدسات إنما هي للعالم الاسلامي ليست لنا فقط . ووافق الباشا على ذلــك وكلفني هذه المهمة فبقيت ساعات متوالية نذيع من اللاسلكية هذه الأحوال وما يهدد البيت المقدس وانتظرنا أن يكون لذلك صدى في العــالم الاسلامي ورد فعل ، ولكن ذلك لم يحرك ساكناً ولم يثر اهتماماً ، قلت : يا سيدي أين العالم الإسلامي ؟ هو كبحر العروض بحر لا ماء .

الانحطاط الخلقي ايضاً

وحكى لي الاستاذ أسعد بعض ما يدل على الانحطاط الخلقي في المسلمين قال : غاب امام المسجد الأقصى مرة فكلفت الخطبة يوم جمعة (أو يوم عيد لا أتذكر) قال فخطبت وذكرت أسباب نكبة فلسطين وقارنت بين الماضي والحاضر فلم أخرج من المسجد الا وقد أنهى الخبر إلي المندوب السامي وتحملت مسئوليته إلى غير ذلك وأخــبرني الاستاذ أسعد أن الهيئة العلمية الإسلامية سوف تعقد اجتماعاً لها يحضرها أعضاؤها في المملكة في اليوم الخامس من شوال ودعانا إلى الحضور ووعد بأنه سيعرفنا إلى الشيخ الشنقيطي رئيس المجلس .

شعوري في المسجد الأقصى

بقيت اليوم في المسجد أتمشى في فنائه الواسع ورحــابه المترامية وأنظر إلى المناظر المحيطة به ، لست صاحب كشف ولا إدراك ولكن كنت أشعر كأن

المسجد متوحش يحن إلى أهله وكأنه ينذر بأيام كوالح ، وثارت الأحزان في نفسي وهاج القلب .

المسلمون في فلسطين

ورأيت المسلمين – أهل فلسطين – كغرباء وأيتام لا يشعرون بكرامة ولا يثقون بمستقبل ، قلوبهم منكسرة ورؤسهم منكسة ، وكانوا يجتمعون من القرى المجاورة وضواحي القدس في عدد كبير ، وكان في صلاة الظهر والعصر عدد كبير من المصلين في المسجد الأقصى ويجلسون بعد الصلاة يتلون القرآن أو يحضرون الدروس والمواعظ التي تلقى عليهم ، ولم أجلس إلى أحد إلا ووجدته منكسر الخاطر جريح النفس ، يحكي حكايات تدمع العين وتحزن القلب ، وينتقد ملوك العرب وقادة البلاد ، وكأن فلسطين الإسلامية كلها تنشد بلسان الحال .

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح ؟
أباها عليّ النـاس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح ؟

ودرت في الحلقات والدروس وتلمست هل أرى روحاً قوية ، ونفساً متألمة وغوصاً في الأعماق واهتداء إلى أسباب النكبة الصحيحة ، فلم أجد ذلك إلا أني رأيت رجلا في لباس عادي يقول : ألم أكن أحذركم يا إخواني من هذه الذنوب ومعصية الله وأحذركم من عاقبتها فكنتم تقولون الشيخ صالح ابن الطريقة ؟ وها قد رأيتم بأعينكم . ويتكلم في الذنوب ومعصية الله وكونها ثورة ضد الربوبية وكفراناً للنعمة كلام العارفين . ورأيت الناس كلما قام يخطب التفوا حوله فلا يقومون من مجلسه وكان يظهر أنه ليس من العلماء ، وإذا سأله أحد سؤالاً علمياً أشار إلى عالم بجنبه فإذا أفاض هذا العالم في الكلام ، رأيت الناس ينفضون .

أهل القلوب يسيطرون على الناس

وهكذا رأيت دائماً أن أهل القلوب يسيطرون على الناس ، ورأيت العلماء لا يؤثرون هذا التأثير .

اليوم ثلاثون من رمضان بحساب أهل سورية وفلسطين . رأينا الهلال وتعشينا مع السيد المجددي ، وجاء كثير من وجهاء المدينة وكبار الموظفين يسلمون عليه ويهنئونه ، وانتهزت الفرصة فألقيت كلمة بمناسبة العيد .

الخميس غرة شوال سنة ٧٠ هـ – ٥١/٧/٥ م

صلاة العيد في المسجد الأقصى

انطلقت المدافع إيذاناً بالعيد وبدأ الناس يغدون إلى المسجد الأقصى مع الشروق ، ووقفت فرقة من الجيش في ملابسها العسكرية على باب المسجد الأقصى .

صلينا صلاة العيد في المسجد الأقصى وخطب الإمام خطبة لا بأس بها ودعا للملك عبد الله ، فكانت محاكاة لعيد في مملكة إسلامية .

عيد شاحب

شعرت في هذا اليوم كأنه عيد شاحب وكأن الناس ممثلون في ملابس العيد ، كأنهم يحاولون أن يفرحوا ويظهروا السرور ويتبادلوا التهاني ، والحقائق تأبى ذلك ، والآلام تصارع الأفراح فتغلبها ، وقد تجدد حزني في هذا اليوم فلم أشعر بسرور ولا نشاط ، وعدت إلى حجرة السيد المجددي والناس يأتونه من كل طبقة يهنئون ويسلمون عليه تسليم العيد .

في ضيافة كريمة

أخذنا السيد المجددي إلى الاستاذ أبي سعيد من أقارب سماحة المفتي الحاج

أمين الحسيني حيث تغدينا .

السيد المجددي يحكي قصة الثورة الأفغانية

وقص علينا السيد المجددي قصة الثورة الأفغانية على الملك أمان الله خان ودواعيها وأسبابها ورحلة الملك إلى أوربا ، وتهوره على أثر رجوعه منها إلى سفور النساء وإرسال بعثة منهن إلى تركيا وسفور السيدة حرمه وهياج الشعب الأفغاني لذلك ، وإنذار السيد للملك وهو في طريقه إلى كابل من وقوع ما لا تحمد عاقبته ، ونصحه له بأن ترجع الملكة إلى البلاد كما خرجت منها ، وعدم إصغائه لنصحه ودخول الملكة سافرة وامتناع الملك من محادثة المجددي بعد ما كان يزوره في بيته ويتبرك بما كان يطبخ لأصحاب الزاوية ، ثم اعتقاله له وحصول الثورة وشنق بعض زملاء المجددي ثم إطلاقه لسراحه وطلبه منه أن يخمد الثورة ويفهم حبيب الله واعتذاره من ذلك ، فقد خرج الأمر من يده إلى استيلاء حبيب الله المعروف ببجة سقة ، الى حضور الملك نادر خان من باريس وقمعه للثورة إلى آخر الحكاية . فكانت معلومات مستقاة من مصدرها الصحيح ولا ينبئك مثل خبير .

رجعنا إلى المسجد الأقصى وذهبت أنا الداعي والأخ عبيد الله إلى شيخ في زاوية من زوايا القدس وكان معنا رسالة من سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني فسلمناها إياه فوضعها على الرأس وأثنى على سماحة المفتي ، وجلسنا نتحدث .

ندامة الملك حسين

وفي ما حدثنا به الشيخ أنه ذهب مع سماحة المفتي يعود الملك حسين في عمان في مرضه الذي توفي فيه . قال : دخلت مع سماحة المفتي والملك عبد الله بن حسين وكان الملك مضطجعاً على فراش على الأرض والطبيب قائم إلى رجليه فلما رآنا أشار أن أجلسوني قال : فأجلسوه فلما تركوه وقع على الفراش مستلقياً ،

ثم قال : يا عبد الله قال : لبيك . قال : هذا ما جئته يدي اعتبر اتعظ .قال: فاغرورقت عيوننا ، أما الملك عبدالله فقد بكى وغلا نشيجه ، ثم ودعنـاه . وأردنا أن ننصرف وألح الملك عبد الله بأن نقيم ونتعشى عنده فاعتذرنا وألح . فامتنع والوقت ليل والدنيا برد ، وكلمته في ذلك فقال: نأكل في بيتنا وذلك خير لنا من ضيافة الملك عبد الله ، ووقع لنا ذلك مرتين فقد ألح الملك عبد الله لتناول الغداء عنده وامتنع المفتي .

بين القدس والخليل

رجعنا من عند الشيخ وتوجهنا في معية السيد المجددي إلى الخليــــل عليه الصلاة والسلام ، وعرفنا في الطريق أن البــــلد لا يبعد من القدس ، ولكن المستعمرة اليهودية باعدت الطريق بينه وبين القدس والخليل ومررنا باللاجئين ورأيناهم في أسوأ حال وأرقه ؛ ومررنا ببيت لحم مولد سيدنا عيسى وصلينـا عند الخليل ووقفنا عند منزل الشيخ يوسف طهبوب مفتي حيفـا سابقاً وعضو الهيئة الإسلامية ، وشربنا الشاي .

في مسجد الخليل عليه السلام

ثم توجهنا إلى حرم الخليل وزرنا سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهي القبر الثاني الموثوق به بعد القبر النبوي في المدينة المنورة .

في منزل الشيخ محمد علي الجعبري

ومن هنا خرجنا إلى منزل الشيخ محمد علي الجعبري رئيس البلديةونزلنا عنده والمهنئون يأتون اليه ارسالاً ويجلسون قليلاً ويتبادلون التهاني مع صاحب الدار ويسلمون على المجددي وينصرفون ويأتي آخرون وهكذا إلى ساعة متأخرة من الليل ، وقد اجتمعت مناسبات كثيرة لزيارة الناس ، منهـا العيد ومنها نزول

السيد المجددي الذي هو معروف في الخليل ، وله زيارة سنوية ومنهـا قرب انتخاب البلدية ، فكان بيت الشيخ (وهو يسمى بذلـك) غاصاً بالزائرين والمهنئين ، تأتي جماعة وتروح أخرى ، ويدار عليهم الشاي والقهوة والحلويات الأوربية ، وتعشينا ونمنا .

الجمعة ٣/١٠/٧٠ ھ - ٦/٧/٥١ م

تأملاتي في المسجد

صلينا الفجر في مسجد سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومكثنا هناك إلى الإشراق ، وطاب لي في جوار سيدنا ابراهيم أن أقرأ الآيات التي ذكر الله فيها خليله ابراهيم وحكى قصته وحواره لأبيه وقومه وكسره للأصنام ودعوته إلى التوحيد وهجرته الى الله وأدعيته المستجابة وبناءه للكعبة ، وما ذكر الله من أخلاقه وسيرته ، وأن أتأمل فيها واستعرضها من جديد ، ووجدت فيمـا لذة جديدة وأشرت بذلك في حديثي للناس بعد الجمعة ، واقترحت عليهم أن يتأملوا في هذه الآيات وأن يدرسوهـا دراسة جديدة فإنهم سيجدون فيها معاني جديدة .

جمع الشيخ الجعبري للتعرف بنا مجموعة طيبة من علماء البـلد تغدوا معنا في بيته وتحدثوا بعد الغداء ، ولم يزل ينتاب داره رجال من أهل العلم والدين وأهل البلد ، واستمر ذلك الى نصف الليل تقريباً .

مشينا في مدينة الخليل وتفرجنا عليها وهي مدينة جميلة ومصيف من مصائف فلسطين ، فقد قالوا لي انها ترتفع من سطح البحر أربعة آلاف قدم ، وتمتـاز مدينة الخليل بخلوها من المسيحيين وقد ثار أهلها سنة ... فطهروا البلد من اليهود وقتل من قتل وجلا من جلا ، وفي أهل الخليل شوكة وشهامة يمتازون بهـا ويفتخرون ، حفظها الله للاسلام .

الأحد ١٠/٤/٧٠ هـ - ٥١/٧/٨ م

رجعنا الى القدس ، وأكرمنا الله ببعض الوقت نقضيه في هذا البلد الطيب المبارك .

ذهبنا اليوم بعد الإشراق الى المسجد الأقصى لأكتب ما بقي عليّ من اليوميات ، ومررت في طريقي الى المسجد بشيخ معمر ، ومكثت عنده بعض الوقت وتحدثت معه وهو لطيف الحديث شديد البغض للانجليز ، يقول : ما من شر في العالم الا ومرده الى الانجليز ، واذا سمعت بحرب بين الحيتان في البحر فاعلم أن الانجليز هم الذين أثاروا هذه الحرب ، واذا سمعت بشقاق بين الزوجين فاعلم أن الانجليز هم السبب .. ولا شك أن أهل فلسطين لهم أن يقولوا ذلك ، فان الانجليز هم السبب المباشر في خراب هذه البلاد المقدسة وجلاء العرب وتشردهم في الآفاق ، وهم الذين سلطوا على فلسطين هؤلاء الشذاذ من اليهود وجروا الويلات والمتاعب الى أهل فلسطين المسلمين ، ولا شك ان الانجليز أكبر عامل من عوامل الفساد والخراب والدمار في العالم كله ، والشيخ يثني ثناء عاطراً على المفتي السيد أمين الحسيني ويشهد بنزاهته وعفة يده وبطنه ورأيت عامة من قابلناهم في المسجد الأقصى ومن أهل القدس يذكرون الحاج أمين الحسيني بخير ويحنون اليه وذهبت الى المسجد الأقصى واشتغلت بالكتابة الى الظهر .

زيارة آثار المسجد الاقصى

زرنا الشيخ توفيق الحسيني بعد العصر وطاف بنا على الجدران التي تسمى المبكى ، وأخبرنا ان اليهود قد فقدوا عشرة احكام من التوراة ، ويعتقدون انها فقدت في مكان في المسجد الأقصى وطمرت فيه ، ويحرم عليهم لذلك الدخول في المسجد الاقصى فهم يقفون عند جدار البكاء وهو من السور القديم الباقي ويبكون ، ونزلنا مع الشيخ توفيق في السرداب المعظم حيث البناء الضخم

والعمد العالية ويقال انها اصطبلات سليمان عليه السلام . وتفرجنا على حوالي اسوار المسجد الاقصى العظيمة واكثرها مقفر من السكان موحش ، وقد كانت قبل التقسيم الجائر المشئوم عامرة بالعرب مكتظة بالسكان .

ودخلنا مركز الاخوان المسلمين في الركن الجنوبي من المسجد ، وقد كان إدارة للمؤتمر الاسلامي العام وجلسنا مع الاخوان نتحدث .

يوم الاثنين ١٠/٥/١٣٧٠ هـ – ٩/٨/١٩٥١ م

في اجتماع الهيئة العلمية الاسلامية

حضرنا في الساعة التاسعة صباحا في مركز الأوقاف اجتماعاً للهيئة العلمية الاسلامية ، وهو بناء المجلس الاسلامي الأعلى الذي كان يشرف على الحياة الاسلامية كلها في فلسطين ، ويدير الأوقاف والشئون الدينية تحت رياسة الحاج امين الحسيني ، وهو الآن ادارة الاوقاف وفيه تعقد اجتماعات الهيئة ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، قدمني الاستاذ اسعد الحسيني الى رئيس الهيئة الشيخ محمد الامين الشنقيطي وهو في رتبة الوزير في المملكة العربية الهاشمية ومرافق جلالة الملك عبدالله ، وكان وزير المعارف ورئيس القضاة سابقاً .

كلمتي في الاجتماع

تلقاني الشيخ الشنقيطي ببشر وترحيب واثنى على الهند وعلمائها وجهودهم وروحهم وقدمني الى اعضاء الهيئة وطلب مني ان اتحدث اليهم بما يخالج قلبي وبما اراه مفيداً ، فتكلمت في موضوع وجوب الاعتناء باللاجئين واتصال العلماء بهم ونشر الدعوة الدينية فيهم واشعال العاطفة الدينية والعزة الاسلامية فيهم ، حتى يقاوموا هذه الاوضاع القاسية ويكافحوا دعوة الشيوعية والمسيحية التي نشطت فيهم باسم غوث اللاجئين وعن طريق المبشرين والدعاة الشيوعين ،

ويتحملوا هذه النكبة ويجتازوا هذه المرحلة في قوة المؤمن وثبات المجاهد ، وقلت لهم ان الاوضاع شاذة غير عادية ، فلا تقاوم إلا بايمان قوى ودعوة متحمسة ونشاط وحرص يسمى صاحبه بالمجنون ، وذكرت لهم مراحل الدعوة الاسلامية في الهند وكان خلاصة ما ذكرته في رسالة « الدعوة الاسلامية وتطوراتها » واجاب الشيخ الشنقيطي جوابا لائقاً وشكرني ووعد بالاهتمام بهذه الناحية .

معلومات عن الهيئة

ويليق هنا ان اعرف الهيئة العلمية الاسلامية كما عرفتها من الاستاذ اسعد الحسيني ، تشكلت هذه الهيئة في شهر آذار سنة ١٩٥١ ومقاصدها وواجباتها كما بين في قانونها الاساسي . ١ – رفع مستوى العلماء في المملكة ٢ – بث الدعوة الى الفضيلة ومكارم الأخلاق ٣ – تنظيم شئون الوعظ والارشاد . ٤ – تحديد مدلول كلمة «العالم» وعلى من تطلق وميزانيتها لسنة ٥١/٥٢ (٥٨٨٣) ديناراً اردنياً وهي تعادل (٧٠٥٩٦) روبية ، واعضاؤها أحد عشر رجلا من العلماء ، وهم كبار علماء المملكة العربية الهاشمية وسمعت ان للملك عناية خاصة بهذه الهيئة ، وقد حضر هذه الجلسة التي كان لي شرف الحضور فيها ثمانية أعضاء .

انتهت زيارة القدس ، وتأهبنا للعودة الى عمان ، لنقضي فيه بضعة ايام ، ثم نرجع الى دمشق بحول الله تعالى .

يوم الثلاثاء ٦/١٠/٧٠ هـ – ١٠/٧/١٩٥١ م

في عمان

خرجنا بعد العصر الى مركز الاخوان نزور الاستاذ عبداللطيف أبي قورة رئيس الاخوان وقد تعرفنا به في القاهرة فلم نجده ، فخرجنا نتمشى الى الجامع الكبير واذا بالسيد المجددي يتقدم للصلاة .

مقابلة السيد المجددي

ولما انتهى من صلاته قابلناه ، وسر كل منا بهـــذه المقابلة التي لم تكن في الحساب .

في منزل الحاج ابو قورة

وكان الاستاذ عبداللطيف ابو قورة ينتظره على باب المسجد فأخذنا جميعاً الى بيته على الجبل المطل على عمان حيث تفكهنا وشربنا الشاي ، ونظرنا الى عمان وهي تتلألأ بالانوار فكأنها رمانة قد انتشر حبها الأحمر ، وكان المنظر من اجمل ما رأينا من المناظر في الليل ، رجعنا الى محلنا وقصد السيد المجددي قصر رغدان لمقابلة الملك عبدالله .

طلب من الملك عبدالله

وإذا بعد قليل يتصل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بدكان الحاج قاسم ويخبره

تليفونياً بأن جلالة الملك في انتظار ضيفكم ، فليتوجهوا لساعتهم من غير تأخير دقيقة ، وكنا قد جلسنا على العشاء فقال الحاج ستتعشون مع جلالة الملك، قلنا ان عشاءكم احب الينا من العشاء الملوكي، وتوجهنا حالا الى قصر رغدان ، وكان رجال الحرس في الطريق قد اخبروا بتوجيه الدعوة الملكية الينا ، فقابلونا في الطريق واخبروا السائق « ان سيدنا في المخيم » ، ووصلنا الى الخيمة التي فيها الملك مع حاشيته ، فتلقانا الشيخ الشنقيطي في الطريق، وتقدمنا فاستقبلنا الملك عبدالله ببشر وبساطة ، وعلمنا ان السيد المجددي ذكرنا له فقال : لماذا لم تأخذوهم معكم ؟ وارسل الينا فوراً .

حديث مع الملك

حييته بتحيه الاسلام وصافحته وجلست أمامه . وعرفني السيد المجددي وعرف اسرتي في الهند ، فأنشدت للشريف الرضي مشيراً الى الاجتماع في النسب والافتراق في الملك والنشب :

ما بيننا يوم الفخار تفاوت	أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا « الامارة » ميزتك ، فانني	انا عاطل منها وانت مطوق

ورأيت ان الملك يحفظ هذه الأبيات ويكمل ما انشده ، قال الملك للسيد المجددي مشيراً الى ان سحنتي سحنة الأشراف اليمنيين .

حديثي على المائدة

وتشعب الحديث ثم قام الملك للعشاء وأجلسني بجنبه ، قلت له على المائدة يا جلالة الملك ، ان دولة تنفذ الاحكام الاسلامية ، وتنفذ الدين في السياسة

والادارة تسترعى اهتمام العالم كله ، وتكتسب من الاحترام والاجلال مـا لا تناله اكبر دولة في العالم، مهما كانت حدود هذه الدولة ضيقة، ومواردها محدودة، واصغى الملك الى حديثي وأجاب بلباقة وفهم ، ثم قمنا الى المجلس فواصلت حديثي وقلت :

بين الجباية والهداية

للحكم أساسان الجباية والهداية ، والحكومات الاسلامية ينبغي أن تقوم على أساس الهداية ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث هادياً لا جابياً . ومـا كان خلاف جدكم سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مع سيدنا معاوية رضي الله عنه الا في هذه النقطة ، فإن سيدنا علي كان يريد أن تبقى الخـلافة على وضعها الصحيح ولا تصير ملوكية .

جواب الملك

استمع الملك ما قلته ثم ذكر العقبات في سبيله ، ونواياه الحسنة ، واهتمامه بتوطيد الحكومة وتقوية الجيش ، وذكر الخطوات التقدمية في المملكة، وذكر انتقال هذه المملكة من بلد صغير لا يزيد عـدد نفوسه على سبعة آلاف الى مملكة تضم عدداً كبيراً لا نسبة بينهما ، ثم سألني عن منهاجي فقلت سنسافر غداً ، فقال : يا مولانا لا تضنوا علينا بأيام تقيمون هنا ولا أقل من ثلاثة أيام. ثم كلم الشيخ الشنقيطي بما لم أسمعه ، وقدمت اليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » وكان بودي قبل أن يظهر الكتاب أن يصـل اليه فقدر الله أن أقدمه اليه بيدي فقبل شاكراً ، واستأذنا وانصرفنا ، وكان في المجلس غير السيد المجددي والشيخ الشنقيطي سعادة فوزي باشا الملقي وسعادة ابراهيم هاشم باشا .

الأربعاء ٣/٨/٧٠ هـ - ٩/٥/٥١ م

حقائق عن فلسطين

جاء صديق فلسطيني وهو تاجر مثقف مؤمن غيور على دينه وأمته ، مطلع على الحقائق من الافراد ، وهو من الذين آنست منهم الغيرة الملتهبة والإيمان القوي والوعي الصحيح، يعرف الملك والأمير طلال معرفة شخصية ومن أصدقاء الأخير ، وشاهد عين لما جرى في فلسطين من مهازل ومآس، ولما مثلته الجامعة العربية وملوك العرب والحكومات العربية على مسرح فلسطين من مضحكات مبكيات وعرفت منه حقائق كثيرة . استنبطت من حديثه أن قضية فلسطين كانت مسرحية قد أخرجها الانجليز وأصدقاؤهم من قبل ولم يكن فيها جد ولا حرب ، انما كانت خطة مدبرة وأمراً مبيتاً ، وكان الممثلون فيها ملوك العرب وقادتهم ، وعلى كل منهم كفل من دم ابناء فلسطين ، وأن أبرأ الرجلين من تبعة فلسطين ونكبتها هو الشعب الفلسطيني الحر الذي لم يكن يعرف شيئاً ولا يملك صلحاً ولا حرباً ، وعرفت أن جلوب الانجليزي لم يكن وكيل مصلحة الإنجليز فحسب ، بل كان وكيل اليهود أيضاً ، وكان في بعض الأحيان يحتل بلداً باسم الجيش الاردني ثم يتركه لليهود ، وفي بعض الاحيان يؤخر الجيوش العربية أو يقف دونها حتى يأتي اليهود ويأخذوا المكان . وقال انه نسخة من رتشارد الملك الانجليزي يحمل الروح الصليبية ، واني أتمنى أن أخاطبه مرة بقولي : يا رتشارد واهنئه على اداء رسالته الصليبية ونجاحه في مهمته .

زيارة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

ذهبنا الى سماحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وجلسنا في منزله الجميل الذي هو أشبه بقصور الأمراء وتفكهنا وشربنا الشاي ، ثم ذهبنا ومعه الحاج ناشد الى محطة عمان لزيارة الشيخ محمد يوسف عبدالرحمن البرقاوي والشيخ محمدسالك

الشنقيطي ولم نجد الأول في بيته، فذهبنا الى الثاني ومررنا في طريقنا باللاجئين فرأينا أكواخهم وخيامهم جنب القصور الفاخرة التي تزهو بها عمان .

بؤس اللاجئين خطر نذير

وهذا هو الذي يخوف كثيراً، فان الله لا يرضى هذا الوضع، رجال يموتون جوعاً ورجال يموتون تخمة ، ورجال لا يؤويهم بيت ويسكنون في خيام لا تكنهم من المطر والبرد والحر ، وإزاء ذلك قوم يسكنون في قصور تفضل عن حاجاتهم كثوب فضفاض على جسم قصير ، وقابلنا الشيخ سالك الشنقيطي وجلسنا معه طويلاً ثم رجعنا إلى محلنا ، فعرفنا أن الملك أرسل الينا مراراً واتصل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بالدكان يدعونا لحضور العشاء مع أعضاء بعثة مجلس الشيوخ المصري ، الذي كانوا ضيوف الملك هذه الليلة ولكنه لم يجدنا ، وأخبره زميل الحاج قاسم أن الضيوف قد خرجوا للتفرج في البلد .

الخميس ٨/١٠/٧٠ هـ - ١٢/٧/٥١ م

زيارة الكلية العلمية الاسلامية

جاءنا الشيخ محمد يوسف عبد الرحمن البرقاوي والحاج عبد اللطيف أبو قوره رئيس الإخوان ومكثنا إلى ما بعد العصر ، ثم خرجنا مع الحاج عبد اللطيف نزور الكلية الإسلامية، وقد أسست هذه الكلية بإعانات أهل الخير من الشعب، والأفضل الأكبر في تأسيسها لصديقنا الحاج عبد اللطيف ، فهو الذي تقدم ببضعة آلاف إعانة للكلية ثم تتابعت الإعانات .

زرنا أقسام هذه الكلية ومكتبتها ومسجدها وقاعتها ، وجلسنا في إدارة مدير الابتدائية الاستاذ محمود العابدي، وجرى ذكر نور الدين الشهيد رحمه الله، والسلطان صلاح الدين الأيوبي والحروب الصليبية ، فقال الاستاذ العابدي إن

السلطان زحف من مصر إلى الجيوش الصليبية .

انقطاع صلة مصر عن فلسطين براً من أكبر غلطات الجامعة

ومن غلطات الجامعة العربية والحكومات العربية أنها سمحت بقطع صلة مصر عن فلسطين براً ، واحتل اليهود الطريق ، فإذا ارادت مصر أن تنصر أهل فلسطين أو أن توجه جيوشها ما كان لها ذلك عن طريق البر .

اعداد المحاضرة

كنت أفكر في إعداد المحاضرة بجامعة سورية التي وعدت بها ، وربما كان لها موضوع مثل « كيف يستعيد العرب مركزهم العالمي ؟ » ولكني لما سافرت إلى فلسطين وأقمت في القدس ، ملكت فلسطين فكري ورأيت أن خطبها جليل وأمرها عظيم ، فاخترت أن أتحدث عن عوامل ضياع فلسطين وأسباب نكبتها ورأيت أن أدرس سيرة صلاح الدين الايوبي ، وما كان يتصف به من صفات واخلاق ، وأعرف أسباب انتصاره على الصليبيين ، وأعرف المفارقات بينه وبين المتزعمين بقضية فلسطين اليوم فسألت عن كتب ألفت في سيرة السلطان هل يوجد منها شيء في مكتبة الكلية فأخبرني الأستاذ العابدي أن عنده كتاب المحاسن اليوسفية لابن شداد والفتح القسي لابن عماد الكاتب وتفضل فأعارني هذين الكتابين ، وقد وجدت في كتاب ابن شداد وثائق عظيمة انتفعت بها كثيراً في محاضرتي التي عنونتها بـ « شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين » .

الجمعة ٩/١٠/٧٠ هـ — ١٣/٧/٥١ م

في ضيافة الملك

ذهبنا لصلاة الجمعة إلى الجامع الكبير ورأينا فرقة من الجيش على الباب ،

فعرفنا أن الملك سيصلي الجمعة في هذا الجامع، وما لبثنا أن جاء الملك وصلى في مقصورته ، وبعد صلاة الجمعة عرفنا أن الملك دعانا للغداء معه في قصره وكان صديقنا ومضيفنا الحاج قاسم الأمعري يصلي السنة واثنان من الحرس واقفين يميناً وشمالاً ، فلما سلم ساراه بشيء وهو أن يتوجه بنا إلى القصر! فإن الملك في انتظارنا ولم ير الناس إلا أن رجال الحرس قاموا يرقبونه وكلموه بعد الصلاة ، وشاع في البلد أن الحاج قاسم اعتقل في المسجد واضطرب أصدقاؤه ، وإذا الأمر بالضد فإنه دعي إلى الغداء مع ضيوفه ، والحاج قاسم لم يكن قد قابل الملك من قبل مع كونه في العاصمة ، وكان عنده بعض التردد فقوينا عزمه وتوجهنا إلى القصر فلما حضرنا قال الملك عبدالله للحاج قاسم : لماذا أخرت ضيوفنا ؟ فلم يجبه الحاج بشيء وسلم عليه وقبل يد الملك ، ثم جلسنا للغداء واعتذرت للملك عن عدم الحضور ليلة الخميس فلم نعلم بالدعوة إلا بعد الرجوع من الفسحة ، فقال كنت أحب ان تجتمعوا بالشيوخ المصريين .

حديث عن كتاب « ماذا خسر العالم »

وكان الملك قد طالع شيئاً من كتاب ماذا خسر العالم فسأل عن الدكتور أحمد أمين فذكرت ما أعلم عنه فانتقده وقال هو غمز غمزة في المقدمة وأساءت هذه المقدمة إلى الكتاب وكان التجرد عنها أولى بالكتاب ، وقال إن الكتاب ليس في حاجة إلى مقدمة ، قلت : لا ينشط ولا يتحمس لكتابة المقدمة لهذا الكتاب إلا من يعتقد أن الاسلام له الحق وحده أن يسود ويحكم في العالم وأن الإنسانية لا تسعد إلا في ظل حكم الاسلام وقيادته ، ومع الأسف كثير من أدبائنا يعتقدون أن الاسلام قد قضى أجله ومثل دوره في تاريخ العالم والآن ليس له مستقبل ، وهذا النوع من التفكير لا يتفق مع مقاصد هذا الكتاب وروحه .

عن المسجد الأقصى

وتسلسل الحديث وتكلم الملك كلاماً يدل على دراسته وتأملاته في القرآن ثم استرعيت اهتمامه إلى المسجد الأقصى وزيادة العناية به ، وإلى اللاجئين فوعد بذلك ، وذكر بعض أعذاره وما منعه من زيادة الاهتمام بالمسجد الأقصى ،وقال ما رأيتموه من نقص فهو لضيق الوقت وكثرة الأعداء وحسد الأخلاء،وسترون في الزيارة الثانية إن شاء الله ما يسركم ، وقدمت اليه نسخة من « بين العالم وجزيرة العرب » وشاعر الاسلام « الدكتور محمد إقبال » وودعته .

يوم السبت ١٠/١٠/٧٠ هـ - ١٤/٧/٥١ م

ركبنا السيارة صباحاً من عمان ووصلنا إلى دمشق في العصر . ونزلنا في بيت الشيخ عبد الوهاب الصلاحي في الحلبوني ، كما تقرر من قبل ، وهو رجل صالح كريم استئنسنا به وأحببناه .

الاحد ١١/١٠/٧٠ هـ - ١٥/٧/٥١ م

ذهبنا إلى الشيخ أحمد كفتارو وأخذنا منه الرسائل وجلها من المدينه المنورة فيها رسالة ابن أختي محمد بن رشيد الحسني وزملائه .

جاء الشيخ محمد النمر الخطيب الفلسطيني خطيب حيفا سابقاً صاحب تأليف « هدى القرآن » وجلس يتحدث ، وذهبنا إلى الشيخ محمد بهجت البيطار وكان مجلسه كعادته نزهة الخواطر وبهجة المسامع ، يجمع بين طرائف أدبية وفوائد تاريخية ومعلومات في التفسير والحديث .

مقابلة الشيخ مصطفى السباعي

سمعنا ان الاستاذ سعيد رمضان في فندق أمية فذهبنا نزوره ووجدناه

محفوفاً بالشباب وأبناء الجامعة ، تقابلنا كإخوان يتـلاقون بعد فراق ، وجاء الشيخ مصطفى السبـــاعي ، فرأيته لأول مرة وقابل بحرارة ومحبة ، وذكر اطلاعه على بعض المحاضرات للداعي في رحلته إلى باكستان أهداها اليه بعض إخواننا في الباكستان ثم اطلاعه أخيراً على كتاب ماذا خسر العالم وتشوقه إلى صاحبه ، وذكر كل منا اتصاله الروحي والفكري بصاحبه والتقاء الافكار .

يوم الاثنين ١٢/١٠/٧٠/ هـ — ١٦/٧/٥١ م

اغتيال رياض الصلح بك وأثره في سورية

نقلت الصحف اليوم نبأ اغتيال رياض الصلح بـك رئيس الوزارة اللبنانية مراراً ، وقد وقع اغتياله في مطار عمان وهو عازم على الرجوع إلى بلده ، وقد كان هذا النبأ والحديث عنه حديث النوادي والمجالس ، ومن الناس من يثني عليه ثناءاً عاطراً ويعده من قادة العرب الأفذاذ ، ومنهم من يعتبره المسئول الأول عن الهدنة بين العرب واليهود ، والسوريون يأخذون عليه إضافة ثلاث أقضية سورية منها طرابلس الشام إلى لبنان المسيحية ، لأنه اشـترط لدخول لبنان في جامعة الدول العربية تخلي سورية عن هذه القضية وتنازلها عنها للبنان وأقنع جميل مردم بك رئيس وزراء سورية يومئذ بلبـــاقته المعروفة ودهائه السياسي ، وعلى كل فقد كان الفقيد رحمه الله من طراز زعماء العرب ورؤساء الحكومات العربية الذين نشأوا في مدرسة السياسة الغربية ،وليس هذا الاغتيال الذي ينكره كل عاقل إلا رمزاً للاستياء السائد والتذمر العميق في الشعب من الأوضاع في هذه البلاد وعدم رضائه عن زعمائه وقادته .

حديث الاستاذ محمد المبارك

تغدينا اليوم عند الاستاذ أبو عزة أمين الغفري ، وشرفنا في العصر الشيخ

بركات أحمد مفتي حوران ، وقد حدثه عني الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، وشرف الاستاذ محمد المبارك نائب دمشق،وجلس مجلساً طيباً واستعرض التطور السياسي والديني في هذه البلاد،وكان حديثه منيراً مفيداً استقيت منه معلومات كثيرة وأخذت فكرة بجملة عن وضعية البلاد السياسية والدينية .

الثلاثاء ١٣/١٠/٧٠ هـ - ١٧/٧/٥١ م

زيارة الشيخ حسن حنبكة

أفطرنا عند الأخ الكريم السيد محمود الحافظ وزرنا في معيته في الميـــدان الشيخ حسن حبنكة من كبـــار علماء دمشق والأساتذه المربين ، والميدان معروف في دمشق بكونه مركزاً دينياً علمياً وحمى وحصناً للآداب الإسلامية والتقاليد الشرقية ، وأكثر علماء دمشق من الميدان أو انتقلوا منه في مدة قريبة ولا يزال فيه مثل الشيخ بهجة البيطـــار والشيخ حسن الحبنكة والشيخ زين العابدين والشيخ مكي الكتاني وغيرهم .

حديث عن المدارس الدينية وتطوراتها

ذكرنا للشيخ حسن تجاربنا في الدعوة وضمهـا إلى دراسة المدرسة وخروج الطلبة مع أساتذتهم إلى الارياف لنشر الدعوة والمبادىء الدينية في الشعب ، وما أفاد ذلك من انبعاث الروح الدينية في الطلبة وتمرنهم على الدعوة والاتصـال بالشعب والتأليف بين المعلمين والتلاميذ وتفاهمهم بعضهم ببعض ، وقد فقد ذلك من مدارسنا من زمان ، وأصبح التعليم حتى في المدارس الدينية حركة صناعية وعملاً ميكانيكياً لا روح فيه ولا ضمير ، ولا عاطفة فيه ولا شعور ولا اتصالاً روحياً بين الاساتذة والتلاميذ ، ولكن هذه الرحلات والاجتماع على الدعوة في غير جو المدرسة يعيد هذ العلاقة الروحية ويفيد الطلبه في ناحية والجمهور في ناحية أخرى .

وقد أصغى الشيخ إلى هذا الحديث وكان يطالع الشبه بين تطور المدارس في الهند وتطورها في الشام ، ثم قال لقد كنا - قبل ان تتطور المدارس وتتجدد أو بلفظ أصح تصبح عصرية - أشبه بأسرة وأفراد بيت واحد يعيش بعضهم مع بعض ويخدم بعضهم بعضاً ، وكنا لا نزور بيوتنا إلا بعد أيام ، وكان معظم أوقاتنا ينقضي بين الطلبة ،وكنا نخرج إلى الخارج فنطبخ الطعام بأنفسنا ونقضي وقتاً في حرية وصفاء ، والكن بعد ذلك دخلت على مدارسنا التنظيمات العصرية فأصبحنا أساتذة وتلاميذ ، ونشأت الحواجز وأحدثت أنظمة وقواعد ، ففقدنا ذلك الروح .

تأثير الدعوة الدينية في الشعب

ثم ذكر الشيخ تأثير الدعوة في الشعب وتأثير الشخصية القوية المخلصة في الجمهور فذكر الشيخ علي الدقر عليه رحمه الله ونفوذه في الشعب ، وإقبال الناس على الدين بشكل أفزع الفرنسيين ، وظنوا أن هنالك مؤامرة سياسية وأن هذه النهضة الدينية لها ما بعدها ، فكانوا يستفسرون الناس : ماذا بعد تربية اللحى والاهتمام بالسنن والتمسك بالآداب ؟ لا بد ان وراءها تجمعاً واستعداداً للثورة ، وهكذا ، وذكر الشيخ بعض تجاربه الخاصة في نشر الدعوة وخطاب الشعب ، وإثارة شعوره الديني وما نال في ذلك من نجاح وسلامة طبع الشعب السوري وسرعة تأثره بالدعوة الدينية .

عقد لنا الأستاذ محمد النمر الخطيب سهرة في بيته حضرها عدد من الفلسطينيين المثقفين وبعض علماء البلد .

الأربعاء ١٤/١٠/٧٠ هـ - ١٨/٧/٥١ م

بقيت اليوم مشغولا بإعداد محاضرة «شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين»

التي أريد ان ألقيها يوم الاثنين القابل في الجامعة السورية ، وقد شغلتني هذه المحاضرة منذ رجعت إلى دمشق ، وستشغلني إلى الساعة التي ألقيها ، شأني في كل المحاضرات فإنها تكون دائماً قطعة نفسي وعصارة فكري ، أرضت الناس أو لم ترضهم .

حديث مع الاستاذ محمد علي الحوماني

جاء اليوم بعد العصر الشاعر السوري المعروف الأستاذ محمد علي الحوماني يسأل عن هذا الفقير ، وقد شرف قبل هذا ليجتمع بي ، وقد حدثه محبنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار بما جعله يرغب في مقابلتي وإني دائماً أشعر بالخجل وبضعف نفسي وفقر علمي إذا جاء أحد أهل العلم والأدب يزورني بما سمع عني أو قرأ لي ، جلس الأستاذ الحوماني يتحدث وينشد شعره ، ويذكر تجاربه ويدلي بمعلوماته عن الحكومات العربية والشعوب العربية ، وهو مطلع على جوانب الضعف فيها ناقد لها ، متألم للتحلل الخلقي والفقر الروحي وطغيان المادية والأثرة ، ويعترف للإخوان بالفضل في إبراز الفكرة الإسلامية الصريحة وإيقاظ الشعور الديني وبالجهاد والبطولة في ميدان فلسطين ، وكلامه يؤيد ما سمعت من قبل وتحققته من عدم محاربة الجيوش العربية وتخليها عن المدن الفلسطينية العربية وانسحابها عنها ، ونقل الأستاذ الحوماني قول قائد مصري كان في فلسطين : إن الجيش المصرين كان دائماً يتلقى أوامر من القيادة العليا في مصر بالانسحاب لا إلى النقطة الخلفية بل الى ورائها ، قال : وكنا دائماً معهم حتى لا يتهوروا ولا يلقوا أنفسهم حيث لا صدر .

مقابلات جديدة

خرجنا بعد المغرب مع الاستاذ الحوماني والاستاذ الفلقيلي إلى منزل الشيخ بهجة البيطار ، وكان قد دعا بعض النواب ونقيب الصحفيين وجماعة من أهل

للتعارف والاجتماع ، وقابلنا هناك الشيخ محمد علي ظبيان وهو العالم الشامي الذي ذكره الأستاذ الكبير الشيخ شبلي النعماني في رحلته، وقد اجتمع به في استنبول تحدثنا مع الأساتذة وتفكهنا وشربنا القهوة ورجعنا .

الخميس ١٥/١٠/١٣٧٠ هـ - ١٩/٧/١٩٥١ م

عناصر محاضرتي عن فلسطين

بقيت اليوم مشغولاً بإعداد المحاضرة وقد استعرت من مكتبة الشيخ بهجة البيطار مجلدات من تاريخ الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير ، هذا إلى ما عندي من نقول ومقتبسات من كتاب ابن شداد ، وقد بنيت محاضرتي هذه على أهم عوامل ضياع فلسطين ، العامل الأول منها فقدان الدوافع النفسية إلى الاستماتة والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة ،وهنا أريد أن أحكي كيف أوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان والحنين إلى الشهادة والجنة في نفوس المسلمين صغارهم وكبارهم ، وكيف ضعف هذا الإيمان الذي كان أكبر قوة وأعظم ثروة عند العرب ، وكيف أثرت فيهم الحضارات والمادة ، وكيف ضيعوا هذا المفتاح للحياة وأفلسوا في رأس مالهم ، والعامل الثاني طغيان العقل على العاطفة وفقدان روح المغامرة ، والإسراف في التفكير والحذر من العواقب وهنا أريد أن أتحدث عن قوة العاطفة وروح المغامرة التي تستمد قوتها من الإيمان وفضلها في تاريخ العرب، واذكر المغامرات العظيمة التي عادت على العرب بالفتوح الرائعة والانتصار الباهر ، وعلى الإنسانية بالسعادة ، وعلى الحضارة بالازدهار،وكونت هذه المملكة الإسلامية العظيمة وأقامت هذه المدينة الزاهية المباركة حتى نعم في ظلها المسلمون والعالم ، واذكر كيف فقد العرب الجرأة والاقتحام وسرعة التنفيذ والمخاطرة بالنفس في سبيل العقيدة والشرف ، وكيف أسرفوا في التفكير واعتمدوا على غيرهم وفقدوا الثقة بأنفسهم والاعتماد على الله

حتى أضاعوا بلادهم ومقدساتهم وهانوا على الأمم كلها حتى المشردة الذليلة منها ، والعامل الثالث هو عـــدم وجود شخصية في الشعوب العربية والحكومات العربية كلها تملك فلسطين وقضيتها عليها مشاعرها وتفكيرها وتصبح همهـــا الشاغل فلا تفكر إلا فيها ولا تعيش إلا لأجلها ولا تجاهد إلا في سبيلها ، وهنا أريد أن أعرض أمثالاً ونماذج من التاريخ الإسلامي ومن سيرة سيدنا أبي بكر والسلطان صلاح الدين الأيوبي وأبيّن كيف استولت عليهما قضايا الاسلام والدفاع عن الدين حتى كان كل منهما لفرط اهـــتمامه ووجده كالوالدة الثكلى فقدت وحيدها .

الاستاذ تيسير ظبيان

شرفنا قبل العشاء الأستاذ تيسير ظبيان مدير معهد العلوم الشرعية في عمان ، وكنت في صغري قرأت مجموعة أدبية لمقالات بعض الكتاب العصريين اسمها « الفردوس » وتأثرت بها حاولت أن أقلد أسلوبها وأنسج على منوالها ، ولمـــا سمعت بالاستاذ تيسير ظبيان بادر ذهني إلى هذا الكتاب ، وتذكرت أنه كان للأستاذ تيسير ظبيان ، وسألته عنه فقال نعم إنه من مؤلفاته المبكرة ووعـد بإرسال نسخة منها من عمان ، ولم يكن اهتمامي بهذا الكتاب إلا كأثر من آثار الصبا ، وآثار الصبا حبيبة إلى النفس .

يوم الجمعة ١٦/١٠/١٣٧٠ هـ - ٢/٧/١٩٥١ م .

نبأ اغتيال الملك عبدالله

صلينا الجمعة في مسجد الدقاق خلف الشيخ بهجة البيطار ، وذهبنا بعدالعصر إلى جامع الشيخ محي الدين ، وحضرنا درس الشيخ أحمد كفتارو وكان الاجتماع كبيراً ، وهنا فوجئنا بنبأ اغتيال الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكةالهاشمية

الأردنية وقد سمعه بعض أصحاب الشيخ أحمد من الإذاعة ، وقد كنا في الجمعة الماضية في ضيافته وعلى مائدته فسبحـــان الحي الذي يميت ولا يموت وكل شيء هالك إلا وجهه ، وإن مقتله عبرة كبيرة وعظة بالغة ، وقد بلـغ بمملكته التي كانت تضم بضعة آلاف نفس إلى مملكة ذات شأن وكانت له آمال كبيرة وأحلام كثيرة وبينما هو في آماله وتصمياته إذا اختطفته يد المنية ، وقد قضى حيـــاة أثارت نقداً كبيراً ، وعجز كثير من النـــاس عن فهم أهدافه الحقيقية وتبرير مواقفه في القضية العربية ، ومن المصائب أن الحزن عليه حـــائر في الصدور والدمع حائر في المآقي ، وعلى كل فقد كانت شهادته خيراً له ، أما البلاد فـلا تعرف هل كان الحادث خيراً لها شراً لها ، ونخشى أن تزداد الأحوال بعــــده اضطراباً حتى يتذكره الناس ويترحموا عليه ، ونخشى على القدس من التــدويل ومعناه الحكم الصهيوني ، ونخشى أن يصيد الإنجليز في الماء العكر فإن الإنجليز أمة لم تعرف معنى الوفاء والمبـــادىء ، وعلى كل فرحم الله الراحل وسامحه ، ورحم الله أهل فلسطين وحفظ لهم ما بقي لهم .

يوم السبت ١٧/١٠/١٣٧٠ هـ – ٢١/٧/١٩٥١ م

أصدقاء كرام

أفطرنا عند الشيخ أحمد كفتارو وظللت مشتغلاً بالمحاضرة ، وتغدينا عند الأخ العزيز الاستاذ عبد الرحمن الباني وهناك فاجأنا الاستاذ عمر بهاء الأميري وزير سورية المفوض في الباكستان ، جاء مع الاستاذ أمين المصري عضو لجنة التعليم والتربية في وزارة المعارف السورية ، قـــال الاستاذ الأميري إنه كان مدعوا عند أحد الأصدقاء فلما سمع بحضوري في بيت الاستاذ الباني اعتذر إلى الصديق وحضر هنا حرصاً على الاجتماع بي ، وسررت بإخلاصه وعـــدم تقيده بالشكليات ، وسر به المضيف جداً فإنه من إخوانه الأعزة .

مع الاستاذ أديب خان

ومن بيت الأستاذ الباني قصدنا دار الاستاذ أديب خان وجلسنا عنده ساعة أطلعني فيها على كتابه الذي أثبت فيه أن استعمار الإنجليز للبـــلاد وحروبهم كانت لأجل المحافظة على الهند التي كانت درة تاجهم الإمبراطوري ، وأعجبت بأسلوب هذا الكتاب الأدبي وعبارته البليغة ومتانة الاستـــدلال ، والاستاذ أديب خان نشأ في أفغانستان وفي سورية ويجمع بين ثقافتيهما وأدب اللغتـــين الفارسية والعربية .

الأحد ١٨/١٠/٧٠ هـ — ٢٢/٧/٥١ م

زيارة الجمعية الغراء والنادي العربي

شرفنا الشيخ محمد علي ظبيـــان والشيخ مصطفى السباعي بزيارتهما وزرنا الجمعية الغراء واجتمعنا برئيسها الشيخ أحمد الدقر ، وزرنا النادي العربي وجلسنا حيناً إلى أعضائه نتحدث عن صلات الهند الدينية والثقافية بالعرب ومساهمة أبنائها وعلمائها في العلوم العربية ومكتبتها ، وقلت لهم ان هذا الاتصال الروحي الوثيق وصداقة ملايين من المسلمين للعرب لا يستهان بقيمتها بل يترجـــح على الانحيـــاز لحفنة من المسيحيين الذين يعيشون في البلاد العربية ، إذن فالجامعة الإسلامية التي تقوم على صداقة ملايين من البشر يتصلون روحياً ودينياً وثقافياً أولى بالاعتناء من القومية العربية التي تقوم على وحدة اللغة والوطن فقط ، وقد لوحت الى هذه النقطة لأني سمعت أن النادي العربي متأثر بمبادىء حزب البعث العربي ورجاله .

في جمعية التمدن الاسلامي

دعانا اليوم صديقنا الأستاذ محمد كمال الخطيب الى جمعيـــة التمدن الاسلامي

لنتعارف مع أعضائها ورجالها العاملين ، وحضر هناك الشيخ بهجة البيطار ومحمد النمر الخطيب واحمد مظهر العظمة وبعض القضاة المحترمين ، وقدمني الاستاذ محمد كمال الخطيب وطلب مني كلمة ألقيها بهذه المناسبة ، فتحدثت عن مسئولية العرب في داخل بلادهم وفي خارجها ، فأما في الداخل فتجديد الإيمان بالرسالة الاسلامية والفكرة الاسلامية إيماناً يشبه ايمان المهتدين الجدد في متانته وقوته وحماسته . وتكلم الحاضرون في وسائل هذا التجديد وأساليبه وذكروا تجاربهم وكذلك نشر الدعوة الدينية في داخل البلاد واقترحت على اعضاء الجمعية الاهتمام بهذه الناحية والاتصال بالشعب الذي هو في حاجة الى التوجيه الديني وعدم الاقتصار على الانتاج العلمي وخطاب الطبقة المثقفة أما المسئولية الخارجية فدعوة الأمم إلى الاسلام .

الاثنين ١٩/١٠/٧٠ هـ — ٢٣/٧/٥١ م

محاضرتي في الجامعة السورية

كان اليوم موعد إلقاء المحاضرة في الجامعة السورية ، ذهبنا بعد صلاة العصر اليها وجلسنا قليلاً في غرفة الاستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة ، ومن غريب المصادفات ان الاستاذ قسطنطين زريق بحث أيضاً عن أسباب فشل العرب وانهزامهم في معركة فلسطين السياسية في رسالته « معنى النكبة » وقد أطلعني عليها الأخ عبدالرحمن الباني في الوقت الأخير ، وطبيعي أن يكون هنالك اختلاف في أسلوب التفكير ومنهجه ، فهو يوصي العرب في هذه الرسالة بالتطور الكامل والتجرد عن الأفكار القديمة وفصل الدين عن الحياة ، ولكننا نلتقي على أن العرب في حاجة الى الايمان ونختلف في معنى الايمان ، جلسنا قليلا في غرفته نتحدث معه عن مركز اللغة العربية وآدابها في الهند واعتناء المسلمين في تلك الديار بهذه اللغة وخدمتها وتحدث الشيخ محمد بهجة البيطار عن فضل علماء الهند في تعلم اللغة العربية وإتقانها وعطفهم على الجامعة الاسلامية وتمسكهم بالاسلام ، وكان الأستاذ

قسطنطين يخاف ان يكون المستمعون قليلين جداً لسبب الإجازة الصيفية وشدة الحر في هذه الأيام فمهد لذلك واعتذر إذا كان من يحضر قليلاً ، وخرجنا الى مدرج الجامعة فوجدنا اجتماعاً كبيراً وما لبث المدرج أن غص بالحاضرين على سعته ، وكان من بينهم الدكتور معروف الدواليبي رئيس المجلس النيابي والاستاذ عمر بهاء الاميري والاستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة والاستاذ يوسف العش سكرتير الجامعة ، ومن النواب الاستاذ عبد الوهاب حومد [1] والاستاذ محمد المبارك والدكتور مصطفى السباعي ، ومن اساتذة الجامعة ورجال المعارف الدكتور أمجد الطرابلسي استاذ كلية الآداب ، والاستاذ سعيد الأفغاني استاذ كلية الآداب والشيخ بهجة البيطار من أساتذة الجامعة والاستاذ نمر المصري مدير مدرسة دير ياسين لتعليم أبناء اللاجئين والأستاذ أحمد مظهر العظمة عضو لجنة التربية والتعليم في وزارة المعاوف ومن أركان جمعية التمدن الاسلامي ومجلتها ، والاستاذ أمين المصري عضو لجنة التربية والتعليم ، ومحمد كمال الخطيب من أعضاء جمعية التمدن الاسلامي ، ومن العلماء الشيخ أحمد كفتارو والشيخ مكي الكتاني والشيخ أحمد الدقر رئيس الجمعية الغراء ، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق من أعضاء الجمعية الغراء وخطبائها والشيخ محمد علي ظبيان من علماء دمشق وغيرهم ، تقدم الشيخ محمد بهجة البيطار فقدم المحاضر إلى المستمعين ، ثم ألقيت المحاضرة وعلق عليها الشيخ مصطفى السباعي بكلمة بليغة وأيد ما جاء فيها من آراء وملاحظات ، ورجا أن يقيض الله لفلسطين من يتبنى قضيتها ويتجرد لها ويسهر عليها كالرجل الذي يمرض وحيده ، وانفض المجلس ، وكانت الحفلة ناجحة والحمد لله .

---

(١) وزير المعارف في حكومة السيد حسن الحكيم .

الثلاثا ٢٠/١٠/٧٠ هـ ٢٤/٧/٥١ م

في ضيافة الشيخ محمد علي ظبيان

حديث عن شيوخ دمشق

كان حديث المجلس في الفطور عن محدث الشام الجليل السيد بدر الدين الحسني والشيخ عبد الحكيم الأفغاني وعن أساليب الدعوة إلى الله وحكمتها ، ومما ذكره الشيخ عبد الوهاب الصلاحي بهذه المناسبة أن الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله أرسل إلى مومسات دمشق في يوم من أيام رمضان يقول : هذا شهر مبارك يستجاب فيه الدعاء وتنزل الرحمة فيسألكن بدر الدين أن تغتسلن وتصلين ركعتين لله تعالى وتدعون للمسلمين ولبدر الدين عسى أن يتوب الله عليه ، وقد كان هذا الأسلوب مؤثراً جداً فقد تابت بهذه الطريقة أكثر من عشر من المومسات وحسن حالهن ، ومما ذكره الشيخ بهجة البيطار أن والد السيد بدر الدين الحسني سمع مرة أن خمارة فتحت بجنب مسجد فجاء إلى السيد عبد القادر الجزائري ورجاه ان يمنعها فاعتذر بأنه لا حول له ولا طول ، فقام أمامه وقال : أصلي ركعتين على هذا الميت الله أكبر ، وصار يصلي عليه فقال ما هذا ؟ قال : صلاة الجنازة لأنك ميت لا تستطيع أن تمنع خمارة في جنب مسجد ، فاعتذر واشترى هذا الدكان ووقفه .

وقد زرنا في طريقنا إلى بيت الشيخ محمد علي ظبيان قبر سيدنا زيد بن ثابت وسيدنا زيد بن أرقم ولا نعرف مقدار صحة هذه النسبة .

شرفنا الشيخ مصطفى السباعي ووضع برنامج السفر إلى حلب في طريقنا إلى تركيا وزيارة حمص وحماة .

محاضرتي في الجمعية الغراء

اجتمع العلماء ورؤساء الجمعيات الدينية في الجمعية الغراء في جامع جنكيز وحضر عدد كبير من أهل العلم ورجال المدارس ، وحاضرت في موضوع الدعوة ووجوب نشرها في الجماهير وحاجة المدارس إلى ذلك ، وذكرت تجارب معلم في هذه السبيل ، وبينت الأخطار التي تهدد المدارس الدينية ومستقبلها لو اقتصرت على التدريس فقط وانطوت على نفسها ولم تتصل بالشعب ولم توقظ فيه الشعور الديني ، وذكرت لهم منهاج الدعوة الذي اتخذناه في مدرستنا دار العلوم وفي بلدنا لكهنو وما أثمر هذا المنهاج وما عاد على المدرسة وعلى البلد من ذلك من فوائد .

الأربعاء ٢١/١٠/١٣٧٠ هـ — ٢٥/٧/١٩٥١ م .

أخبار شرق الاردن

نقلت الصحف ما كنا نخشاه في شرق الأردن وفي القدس ، فقد اضطربت الأحوال وانتهز « جلوب » الفرصة فبطش بالفلسطينيين الأبرياء وشفى نفسه من أهل القدس ، وحشر كثيراً منهم إلى السجن بتهمة المؤامرة ، وأصبح القدس تحت رحمة الجيش الأردني ، واستنسر البغاث في أرض المسلمين بفضل الإنجليز وصنائعهم ، والحكومات العربية وجامعتها متفرجة منعزلة لا تحرك ساكناً ولا تمنع معتدياً ، ولم يرفع أحد صوته في حماية أهـــل القدس العزل إلا المفتي أمين الحسيني .

حديث الأستاذ محمد عزة دروزة عن قضية فلسطين

ذهبنا لزيارة الاستاذ محمـــد عزة دروزة صاحب كتاب « عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة » وكنت قد قرأت هذا الكتـــاب سنة ١٩٤٧ م في مكة وأفدت منه في كتابي « ماذا خسر العالم » وجرى الحديث عن فلسطين ، والاستاذ فلسطيني يعمل لقضية فلسطين من زمان وله في ذلك مؤلفات ، فأطلعنا على بعض الحقائق وهي تؤيد ما عرفناه من قبل من مصـــادر كثيرة من ضعف الحكومات العربية وتخاذلها وعدم كفاءة القادة العرب ، وقال الأستاذ إن الحكومات العربية لم تكن جادة في هذه القضية ولم تكن مصممة على متابعة الحرب ، وقد قيل لها في مرحلة من مراحل القضية أن تحشد قوتها وتقضي على

إسرائيل كلياً ، وقد كان ذلك ممكناً ، ولكنها قالت : إننا دخلنا الحرب على أمل أن بريطانيا وأمريكا ستدخلان في الموضوع وتسويان القضية، لذلك لم تظهر الدول العربية الجد والصرامة ولم تستمت في سبيل الدفاع عن فلسطين ،فعاشت إسرائيل وأصبحت الأمر الواقع ، ولم تتدخل بريطانيا ولا أمريكا، بل ساعدتا إسرائيل . وغني عن البيان أن ليس من طبيعة الحرب الاتكال على الغير ، ولا تستطيع أمة أو دولة أن تحارب العدو اعتماداً على تدخل ثالث ، فالحرب دائماً غير مقيدة وغير مشروعة ، ولا يمكن أن تكسب إلا بالشجاعة والصرامة وبعزم القضاء على العدو ، ويمكن أن يقال للدول العربية :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

الخميس ٢٢/١٠/١٣٧٠ هـ - ٢٦/٧/١٩٥١ م

في مضايا

أخذنا اليوم الأخ عبد الرحمن الباني إلى مضايا المصيف الذي يصطاف فيه مع أسرته ، وهو مصيف جميل هادىء ، وقد مررنا في طريقنا إلى مضايا بعدة مصائف ومناظر طبيعة جميلة ومررنا بنبع نهر بردى ، ولا شك أن سورية بصفة عامة ودمشق بصفة خاصة غنية جداً في المناظر ، وقد حباها الله شيئاً كثيراً من جمال الطبيعة وفتنة المنظر وعذوبة المياه ورقة الهواء ، وقضينا النهار في مضايا .

ذكرى مؤتمر بلودان

ورأينا بلودان المصيف السوري الشهير من بعيد قلت للسيد الباني : كأن هذا الاسم مر بأذني من قبل قال : نعم هناك انعقد مؤتمر فلسطين الشهير بمؤتمر

بلودان وقد حضره وزراء الدول العربية وقادتها وشربوا واستهتروا وكان كل ذلك باسم التفكير في مسألة فلسطين وانفضوا ولم يقضوا شيئاً ، وأعلن بعضهم أننا قد وصلنا إلى نتائج سوف تهز العالم ولكنها لم تظهر ولم تحدث اهتزازاً ما.

حديثي

عن انطباعات الرحلة ونتائجها وعن علل الشعوب الاسلامية

كان لي اليوم حديث . لخصت للمستمعين انطباعات هذه الرحلة والنتائج التي توصلت اليها . لخصتها في نقطتين الأولى أن الطبقة التي تمتلك زمام البلاد جيل لم يسغ الإسلام إساغة كاملة ولم يهضمه هضماً صحيحاً بحكم نشأته وثقافته ، ولا يؤمن بالإسلام كدين وحياة ، إيمانه بمبادىء الحضارة الغربية وقيمتها ، ولا يخلص له إخلاصه لفوائده وأغراضه ، وأن عقلية كثير من أفراده عقلية متعفنة لا تصدق أن الاسلام يسود ويحكم وأن سعادة البشرية منوطة به .

ثانياً الشعوب العربية الاسلامية في جميع هذه البلاد ضعيفة في الوعي أو فاقدة للوعي ، لا تفهم المبادىء والمسائل الأولية في الحياة ، ولا تميز بين الصديق والعدو والناصح والغاش ولا تبغض العدو ولا تحب الصديق. إنها كالسائمة تساق بالعصي و كقطعان الغنم تندفع من غير تفكير ، وما دامت هذه الشعوب يعوزها الوعي فهي عرضة للدعايات وأفرادها أتباع كل ناعق بخلاف الشعوب الأوربية فهي على علاتها الكثيرة وعيوبها الجمة ذات وعي في الشعور ، تعرف العدو من الصديق فلا يستطيع غير مخلص أن يستغلها زمناً طويلاً أو يخدر أعصابها ويرجع الى كرسي الحكم بعد ما جنى على مصالح الأمة ولم تحقق آمالها . هذه هي الشعوب التي استغنت عن بطل الحرب الأولى المستر لويد جورج ، وبطل الحرب الثانية المستر تشرشل فلم يستطع أحد منهما أن يتولى رئاسة الوزارة ولم يكن انتصار الأخير في الحرب شافعاً له وموجباً لرجوعه إلى القيادة وكذلك

بطل « فردن مسيوسبين » أقصى من الحكم وحكم عليه بخيانة الأمة لأجل التسليم للألمان ، أما نحن فالمتملك لزمام الحكم يبيع بلاده ويخون أمته في أقدس ما عندها وأثمن ما عندها ويحتكر الحكم تارة أو يعود اليه مراراً والأمة لا تحاسبه ولا تعاقبه لأن الضمير الاجتماعي غير واع وغير مستيقظ فليفعل الملوك ما يشاءون ويتصرف الوزراء وممثلو الأمة كما يشاءون فحكمهم مضمون وشرفهم مأمون .

يوم الجمعة ٢٣/١٠/٧٠ هـ - ٢٧/٧/٥١ م

خطبة الجمعة في جامع الجامعة السورية

طلب مني طلبة الجامعة السورية إلقاء خطبة الجمعة في جامع الجامعه واعتذرت كثيراً لأن خطبة الجمعة ثقيلة عليّ جداً، وذلك من بعض خصائصي، مع أني إمام الحي في بلدي وعريق في منصب الإمامة فأبي وجدي كانا يصليان بالناس وأخي الأكبر كذلك والحمدلله ، ولكني لا ازال أشعر بجلال الموقف ودقته ، ولكنهم لم يقبلوا مني عذراً ، فقبلت دعوتهم متهيباً ، افتتحت الخطبة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزول قد ما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » وشرحت هذا الحديث وقلت يا شباب الجامعة ، ما أسعد الطالب الذي أخبر بالامتحان قبل الامتحان ، وما أشقى الطالب الذي أخبر بأسئلة الامتحان قبل أوانه ثم ضيع الفرصة ولم يستعد ولم يحضر الجواب ، وهذه هي الاسئلة التي سوف نواجهها وتواجهونها قد أخبرنا بها الرسول الكريم الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ، لأنه يعرف أن الدنيا دار الاستعداد والجهاد والآخرة دار الجزاء والحصاد ، ثم أفضت في شرح جزء « وعن شبابه فيم أبلاه » وذكرت فيهم بعض الصحابة وأولي العزم من بعدهم معنى الشباب وموضوعه وانتفاعهم بفرصة الشباب فحكيت لهم حديث

سيدنا مصعب بن عمير وسيدنا عمر بن عبد العزيز من بعده كيف انتقلا من حياة التنعم والتأنق في المطعم والملبس إلى حياة التقشف والزهد وشظف العيش وخشونة الملبس والمطعم واستشعرا لذة الإيمان، وذاقا حلاوة التضحية والإيثار واستهانا باللذات الحسية التي يشاركنا فيها الدواب والأنعام .

مع الشيخ مصطفى السباعي في مصيف « الأشرفية »

أخذنا الشيخ السباعي اليوم إلى مصيف « الأشرفية » الذي يصطاف فيه ورافقنا الاستاذ محمد المبارك ، وقد أقام الأستاذ السباعي عريشاً على النهر وهو محل ظريف طاب لنا الجلوس فيه والحديث مع الأستاذين السباعي والمبارك .

تحول الحماسة الدينية من الشيوخ الى الشباب

رجعنا من الأشرفية وذهبنا مع الأخ الباني إلى بيته لنجتمع مع أبناء الجامعة، ونتحدث اليهم بصفات الداعي وتربية النفوس ، ورأينا هناك منظراً يشير الاعتبار ويدل دلالة واضحة على تحول عظيم ، كان النقاش محتدماً في مسألة نصب التماثيل للعظماء بمناسبة نصب تمثال ليوسف العظمة وزير دفاع سورية الذي قتل في ميسلون : وموضع العبرة أن شيخاً متعمماً من العلماء كان يدافع عن فكرة نصب التماثيل ، وكان أكبر دليله والمبرر لنصب التماثيل أننا إذا رفضنا هذا التمثال المهدى إلينا من إخواننا السوريين في البرازيل هزأت بنا الأمم المتمدنة ، وقالت إن الأمة السورية أمة متأخرة غير متمدنة وهذا عار كبير ، وكان الشباب طلبة الجامعة الذين يخشى عليهم بحكم ثقافتهم الجامعية أن ينتصروا لفكرة التماثيل ويدافعوا عنها ، قد ملكتهم الثورة ، وكانوا متحمسين جداً في الرد على هذه الفكرة ، وكان بعضهم من شدة الغضب لا يملك نفسه فيضغط عليه زملاؤه احتراماً للشيخ ولحرية الرأي ، وكان الشباب من غير شك أصح فهماً للاسلام وأكثر حماسة له وأبعد من مركب النقص في هذا العالم، واستنتجت

من هذا أن رجال الدين قد تركوا مقامهم وأصيبوا بدهشة الحضارة والأفكار الغربية ، ولعل الزعامة الإسلامية اتجهت إلى الشباب الذين نشأوا في احضان هذه الحضارة المادية والثقافة العصرية ، ولعل أبناء آزر والناشئين في بيوت الأصنام يمثلون سيرة ابراهيم عليه السلام .

السبت ٢٤/١٠/ ١٣٧٠ هـ – ٢٨/٧/٥١ م

زيارة الاستاذ محمد كردعلي

ثم توجهنا لزيارة العالم الكبير مؤرخ سورية وأديبها الأستاذ محمد كرد علي ، اجتمعنا به في منزله فاحتفى بنا وقابلنا ببشر وحفاوة لم يقابلنا بها إلا أفراد قلائل من الأدباء والكتاب ، قلت له : قد قرأت لكم أول ما قرأت فصلاً من كتاب « حاضر الأندلس وغابرها » وأثر فيّ كثيراً وعلقت بذاكرتي بعض تراكيبه الجميلة وعباراته الرشيقة ، قال : سمعت أن هذا الكتاب ترجم في الهند ، قلت قد ترجمه أحد زملائنا وهو الأستاذ عبد السلام الندوي ، قال : زرت الأندلس ، وصادف وصولي هناك يوم خروج العرب منها ، والبلاد تحتفل كل سنة بهذا اليوم ، وتكدرت جداً بهذه المصادفة وبقيت طول اليوم منكسف البال ، ثم أثنى على روح علماء الهند العلمية وحركة العلم والتأليف في هذه البلاد وقال : هل تعلمون أن للهند فضلاً ونصيباً في أعمال السيد ابن عابدين العلمية ، وذلك لأن والده كان تاجراً وكانت له صلات قوية بالهند فكان يجلب كتباً فقهية من الهند لولده وكان السيد يطالعها ، إذن فللهند يد في تكوين ثقافته ودراسته الفقهية .

أهدى الينا الأستاذ محمد كرد علي كتابه « كنوز الأجداد » الذي هو من أحب مؤلفاته اليه ، وزرنا المجمع العلمي واجتمعنا بالأستاذ خليل مردم بك للمرة الثانية وأهدى الينا ديوان علي بن الجهم الذي خدمه وعلق عليه وقام بتصحيحه .

زيارة قبر الشيخ وتلميذه

توجهنا إلى الجامعة السورية وقابلنا رئيسها الأستاذ قسطنطين زريق، وكان المقصود زيارة قبر شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية وقبره عند كلية الطب، وكانت هذه مقابر الصوفية المعروفة في كتب التراجم، فكم يقول المرادي في سلك الدرر والمحبي في خلاصة الأثر « ودفن في مقابر الصوفية » وكانت هاهنا قبور ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق وابن الصلاح صاحب المقدمة وابن كثير صاحب التاريخ والتفسير، ودرست هذه القبور في ليلة واحدة أغار عليها رجال الجامعة وكاد قبر ابن تيمية يدرس معها، ولكن تدخل الرئيس شكري القوتلي وهو صديق الملك ابن السعود وأمر بإبقاء قبر شيخ الإسلام، وفي الرجوع زرنا قبر الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه في الميدان التحتاني جزاهما الله عن الاسلام والمسلمين خير ما يجزي المجددين لهذا الدين، النافين عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

الأحد ٢٥/١٠/٧٠ هـ — ٢٨/٧/٥١ م

حديث للشيخ كامل القصاب عن ملوك العرب

اليوم يوم السفر إلى حمص فحماة فحلب ومنها إلى تركيا، وجلس الشيخ كامل القصاب وذكر اتصالاته بملوك العرب ودراساته لهم ولحكوماتهم وكيف خابت آماله فيهم، وهو يعتقد بعد تجارب قاسية ومحاولات كثيرة لإقناعهم بضرورة نصر الدين والنهوض للاسلام والمسلمين، أنه لا خير منهم ولا هم لهم إلا بطونهم وشهواتهم وكان الشيخ حزيناً منكسر الخاطر مما شاهد من أحوال المسلمين وعاصر الحوادث الجسام ونكبات الاسلام ولكنه قوي الإيمان متحمس للدين، وكان متأسفاً على أنه لم يعرف وجودنا في دمشق ولم نتقابل إلا في الوقت الأخير وأفضى إلينا بحقائق كثيرة وبث الينا همومه وأحزانه.

من دمشق الى حمص

شرفنا الشيخ مصطفى السباعي وجماعة من الأصدقاء وركبنا سيارة لحمص وقد سبق الاستاذ السباعي بإعلام الإخوان في حمص بتوجهنا ، وقد قطعنا المسافة بين دمشق وحمص وأنا أستعرض تاريخ فتوح الشام واتمثل جنود المجاهدين من الصحابة وغيرهم يقطعون هذه المسافة مشاة ، وركبنا – ولكن على ظهور الخيل – هذه المسافة التي قطعوها رجالاً وفرساناً نقطعها على سيارة سريعة مريحة فاخرة صنعت في أمريكا فكم بين أمس واليوم ، وكم بين رجال الماضي والحاضر .

وصلنا إلى حمص الساعة الرابعة واستقبلنا الأستاذ نصوح السباعي شقيق صديقنا الكريم الشيخ مصطفى السباعي والأستاذ عبد المجيد الطرابلسي ، وبعد صلاة العصر أخذونا إلى منتزه نهر العاصي حيث صلينا المغرب وتعشينا على شاطىء النهر ، وشعرت هنا بتغير الطقس وزيادة البرودة .

محاضرتي

ورجعنا إلى المركز وقد تقرر إلقاء محاضرة بعد العشاء وبعد كلمة ترحيب وتعريف حماسية من الأستاذ عبد المجيد قمت وذكرت صلتي بحمص وأنها حبيبة إلى النفس منذ الصغر ، وقد كانت العادة في أسرتنا أن السيدات كن يجتمعن كل يوم خصوصاً في أيام حادثة أو اجتماع وكن يتلون كتاب فتوح الشام ، وكان أحد أقاربنا وهو السيد عبد الرزاق [1] قد نظم فتوح الشام للواقدي في شعر أردو في خمسة وعشرين ألف بيت ، وصار هذا الكتاب ملحمة إسلامية منظومة

---

(١) هو السيد عبد الرزاق الحسني ، كان عم والدي ، ومن أقارب السيد الإمـــام أحمد بن عرفان الشهيد وكان يتلقب في الشعر على عادة شعراء العجم بـ « كلامي » .

وهو في غاية التأثير والانسجام واذا أنشدت هـــذه المنظومة تحركت القلوب وفاضت العيون وبهـــذا الكتاب عرفت سيدنا خالداً سيف الله رضي الله عنه وعرفت كبار المجاهدين والغزاة من الصحابة رضي الله عنهم واخبار بطولتهم ومغامرتهم وحنينهم الى الشهادة واستهانتهم بهذه الحياة الفانية وخالط حبهم شغاف القلب واصبح طبيعة وعقيدة في وقت واحد .

تاريخ فتوح الشام وتأثيره في حياة المسلمين في الهند

قلت : وهذا التاريخ الذي صنع في بلادكم يا أهل الشام ، ويا أهل حمص بوجه خاص ، هو الذي أبى على المسلمين في الهند ان يندمجوا في الكثرة المحيطة بهم وان يخلدوا الى الحياة التي لا يرضاها الاسلام ، وهو التاريخ الذي لم يزل ولا يزال مصدر القوة والحياة والثورة على الباطل ، وله فضل كبير في اشعال العاطفة الدينية وبقائها واستمرارها في هذا الشعب المسلم ، فلا شيء ادعى الى العجب والحزن من أن نرى أهل حمص مشغولين عن هـــذا التاريخ المجيد ذاهلين عن رسالته وإلهامه مستهينين برجاله وأبطاله .

العالم الاسلامي في حاجة الى سيف من سيوف الله

قلت : ان العالم الاسلامي غني اليوم ولكنه لا يملك سيفا من سيوف الله ، وهذا مصدر شقائه وبلائه ، وفي ارضكم دفن هذا السيف يا أهل حمص فهل لكم ان تغيثوا العالم الاسلامي وتعيروه هذا السيف المفقود ؟ ثم ذكرت لهم ان العالم الاسلامي قد اصبح صورة مجردة عن الحقيقة وهذا التجرد من الروح والحقيقة هو الذي جنى عليه وجر اليه البلاء وجرأ عليه الاعداء ، ولا غوث للعالم الاسلامي ولا تغيير لمـــا أصابه من الوهن والخزي حتى يتحلى بالحقيقة ويعمره بالروح الاسلامية الصحيحة ، وأفضت في شرح هذه النقطة وضربت الأمثـــال من الحياة اليومية .

الاثنين ١٠/٢٦/٧٠ هـ - ٣٠/٧/٥١ م

على قبر سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه

ذهبنا اليوم في الصباح لزيارة سيدنا خالد بن الوليد ، دخلنا الجامع المنسوب اليه ووقفنا امام قبره نستحضر تاريخه وجهاده وبطولته وما خصه الله به من الشجاعة الخارقة والقوة المرهوبة المرعبة والاخلاص والإيثار وقد أثارت هذه الوقفة معاني وأحاسيس في النفس وجددت ذكريات تاريخيه واثارت الاجلال والحب والتقدير لهذا المجاهد الجليل الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم سيف الله .

زيارة صديق مخلص

زرنا المعهد العلمي وهو مدرسة دينية في ناحية من نواحي جامع سيدنا خالد ثم قصدنا صديقنا المخلص الشيخ عبد العزيز عيون السود امين الفتوى في حمص ، وقد توثقت بيننا الصداقة في حج العام الماضي ودعانا الى زيارة حمص .

زيارة مفتي حمص

ذهبنا مع الشيخ عبد العزيز لزيارة سماحة المفتي محمد توفيق ابا الحسن الاتاسي وهو مفتي حمص الاكبر وابن عم رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسي وبيت أتاسي معروف في سورية بالعلم والدين ، وسماحة المفتي متقدم في السن منور الشيبة فيه سيما الصالحين والعلماء العاملين دمث الخلق يشبه كثيراً كبار علماء بلادنا .

صلينا الظهر في جامع نور الدين الشهيد وهو جامع البلد وزرنا مكتبة

الاخوان المسلمين ، وصلينا العصر في المسجد المنسوب الى سيدنا دحيــة الـكلبي .

كان بعض الفلسطينيين قابلونا في الطريق وذكروا إعجابهم بالكلمة الـتي ألقيت البارحة وأنها جددت فيهم الايمان وطلبوا مني أن احضر الليلة اجتماعـاً يعقدونه في بعض منازلهم ويدعون اليه اخوانهم وبعض رجال البلد فقبلت دعوتهم وحضرت هذا الاجتماع بعد صلاة العشاء فوجدته اجتماعاً حافلا بأعيان البلد و كبار الموظفين وتحدثت اليهم حديثاً دينياً أصغوا اليه في حسن إنصات وإقبال .

الثلاثاء ٢٧/١٠/٧٠ هـ ـ ٣١/٧/٥١ م

على قبر سيدنا عمر بن عبد العزيز

شرفنا علماء البلد وسماحة المفتي والشيخ عبد العزيز عيون السود وغيرهما ، وذهبت معهم أزور قبر سيدنا عمر بن عبد العزيز في دير سمعان وهي ضاحية من ضواحي حمص والقبر على ربوة حولها مزارع من الكرم. جلست عند قبر خامس الخلفاء الراشدين ومجدد عظيم من مجددي الاسلام واستعرضت تاريخه الحافل بخوارق الزهد والورع وقوة العزيمة وتطبيق منهاج الخلافة الراشدة، وترحمت عليه واستمطرت شآبيب الرحمة والرضوان على هذا الفتى الشهم وتمنيت للاسلام في هذا العصر وللانسانية المعذبة والمنكوبة حاكما مثله :

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمــــان بمثله لبخيل

ثم توجهنا الى حماة حيث وصلنا عند صلاة العصر .

البيت الكيلاني

وسألت عن البيت الكيلاني فقـــد عرفنا في بلدنا لكهنؤ أحد رجال هذا البيت وهـــو السيد علي الكيلاني كان يزور الهند وكان له أتبـاع في لكهنؤ وغيرها فعرفونا بشاب شريف اسمه السيد نزار الكيلاني وعلمت أنـــه ابن أخي السيد ، وذكروا لنا الشيخ محمد مرتضى الكيلاني نقيب السادة الأشراف واقترح علينا الاستاذ عبدالعزيز الساعاتي زيارة السيد فقلت حبـاً وكرامة ، وزرت السيد رغم السخونة التي كنت اشعر بها ، وجلست عنده قليلا ثم حضرت الاجتماع في مركز الاخوان وكان اجتماعاً حافلا بكثير من العلماء والاساتذة .

كلمتي في الاجتماع

خطبت في هذا الاجتماع وذكرت كيف فرض تاريخ الجهاد الاسلامي الذي لسورية منه النصيب الأكبر على المسلمين في الهند ان يجاهدوا في سبيل الاسلام وان يدافعوا عن دينهم وكيف أثار فيهم الروح الدينية والهبت فيهم الغيرة الاسلامية فكان هذا النضال وهذا الصراع الذي ينوهون به كثيراً ، وقدذكره خطيب الاخوان من وحي هذا التاريخ .

مسئولية أهل سورية

وهنالك تقع التبعة الكبرى على أهل سورية أنفسهم ، ويجب عليهم ان يتلقوا هذا الدرس من تاريخهم ، فاذا كان أهـــل سورية يسهل الاندفاع الى المبادىء القومية والتشبع بالنعرة العربية فأهل الهند اولى بالاندماج في الكثرة التي تحيط بهم وترحب بعودتهم وتضمن لهم الكرامة والتمتع بالحقوق المدنية والاعتزاز بالقومية الهندية والوطنية ، فإن الشيء الوحيد الذي كان يأبى عليهم

ان يفعلوا ذلك هو العقيدة الاسلامية التي دعاهم اليها اسلافكم أيها العرب وهذا التاريخ الذى صنع في سورية وغيرها فاذا هـــان على اخواننا السوريين أن يتخلوا عن هذا التاريخ وان يتجردوا عن هذه العقيدة فذلـــك على غيرهم ممن لا يمتون اليه بصلة نسبية أهـــون ، ويجب إذن ان يؤدوا الينا ديات هؤلاء القتلى والجرحى وهذه الضحايا والدماء الزكية التي أريقت في سبيـل الإسلام ، وقد أردت أن أحرك فيهم الغيرة وأضرب على الوتر الحساس ، وقد رأيت الأثر بادياً في وجوههم ، وقد كانت الكلمة شديدة ولاذعة وقـــد تعمدت ذلك لأني سئمت الهتاف بالباكستان والإشادة بذكرها من غير تفكير في مسئولية العرب ومركزهم وواجبهم .

الاربعاء ٢٨/١٠/٧٠ هـ - ١/٨/٥١ م

نواعير حماة

دعانا البارحة الشيخ محمد أفندي الكيلاني إلى الفطـور فحضرنا ومررنا في طريقنا بالنواعير التي تمتاز بها حماة، وهي عجلات ضخمة ترفع الماء من البرك إلى سطوح مختلفة في الارتفاع وقد ركبت فيها كؤوس تمتلىء بالماء وتدور العجلات دورتها والكؤوس تفرغ ماءها ، وهكذا يصل الماء إلى كل سطح من سطوح البلد وينشأ من دورة العجلات صوت مستمر يدوي في الفضاء وهـــو في الليل أشد يزعج نوم الغرباء ، ولكن أهل البلد تعودوه ، ونظام النواعير نظام قديم للسقي يرجع تاريخه الى عهد الرومان .

مررنا ببيوت أثرية عتيقة للبيت الكيلاني الذي انتقل بعض رجاله من بغداد الى حماة ولعل ذلك في عهد أبي الفداء حتى وصلنا إلى مقر مضيفنا نقيب الأشراف الحالي وأفطرنا .

آثار حماة التاريخية

خرجنا لزيارة حماة ومشاهدة آثارها التاريخية فزرنا جـــامع أبي الفداء ويسمى جامع الحيات لأن عمده فيها تخاطيط تشبه الحيات ، وهو الآن مسكن اللاجئين الفلسطينيين تسكن فيها أسرهم وعوائلهم كما تسكن العائلات في البيوت وتولد الأولاد فيها ، وقـــد رأينا في دمشق كذلك مساجد أصبحت مساكن للاجئين وذلك بأمر الحكومة .

أبو الفداء الحموي

ولم نعرف إلى الآن مبرر لهذا العمل مع وجود قصور ومساكن تفضل عن حاجات أصحابها ، وزرنا قبر أبي الفداء صاحب التاريخ المشهور باسمه وهو من أفذاذ ملوك المسلمين الذين جمعوا بين إدارة الملك والاشتغال العلمي ، وهو فضلاً عن كونه ملكاً من الملوك عالم سليل ومؤلف واسع الاطـــلاع ، وفي عصره ازدهرت حماة وبلغت أوجها وكانت إمارة مستقلة ودولة منفصلة .

في ثانوية ابن رشد

وزرنا كذلك جامع الملك المظفر وهو جامـــع فخم وكان كنيسة حولت مسجداً ، وزرنا ثانوية ابن رشد وهو بناء عصري واجتمعنا ببعض أساتذتها ، وكانت أيام الإجازة الصيفية وقد حضر بعضهم اجتماع البارحة وأبـــدى تأثره بالكلمة التي القيت فيه .

قصر آل العظم

زرنا قصر آل العظم الذي نحن نازلون في أحـــد أجنحته فوجدناه قصراً

فخماً يمثل الحياة الارستقراطية التي يحياها الامراء والحكام في العصر التركي ، وكيف كانت أموال الفقراء والفلاحين تصرف على كماليات الاغنياء، وقد وجدنا في هذا القصر كل ما يحتاج إليه صاحب القصر وما لا يحتاج إليه ولكنه يخاف أن يحتاج إليه ولا يجده ، والآن فيه مدرسة وناد ومكتبة .

الخميس ٧٠/١٠/٢٩ هـ — ٥١/٨/٢ م

زيارة القلعة

تفرجنا اليوم مع الأخ عبد الغني على القلعة الخيرية وآثارها ، وسمعت أن شركة أجنبية عملت فيها عملية الحفر واستخرجت منها آثاراً ذات قيمة ، وقد اتفقت معها الحكومة السورية على أن الآثار سيكون النصف منهـا للحكومة والنصف للشركة ، ولكن الحكومة غبنت في هذه المعاملة بعد السهر والمراقبة الكافية ونقلت آثار غنية إلى بلاد أجنبية ، ونزلنـا من القلعة الى البلد ومررنا بحيّ يسكنه المسيحيون وزرنا ثانوية أبي الفداء، وقضينا بعض الوقت في مكتبة الأستاذ عبد الله الحلاق وصلينا المغرب في جامع قريب منه وهو جامع ظريف عامر وتمشينا على شارع من أزهى شوارع البلد قدام فندق أبي الفداء ، ومشينا مع النهر مسافة وزرنا مركز البلدية وقصر الحكومة ، ومناظر حمـاة من غير شك مناظر بديعة في الليل .

الاثنين ٧٠/١٠/٣٠ هـ — ٥١/٨/٣ م

أفطرنا وركبنا سيارة صغيرة وتوجهنا الى حلب الشهباء ، وكنت قـد عزمت على زيارة معرة النعمان ، ولكن الوقت لم يسمح بالإقامة فيها فاكتفيت بالزيارة العجلى ، وهي من أقل حقوق شيخ المعرة وقـد عشت في شعره وأدبه زمناً غير قصير ، فقد درست سقط الزند دراسة متقنة وكدت أحفظ هـذا الديوان بظهر الغيب .

في معرة النعمان

دخلنا في معرة النعمان وأنا أتمثل بأبيات أبي العلاء نفسه ، وأقول هـــذه معرة النعمان التي يقول فيها ابنها البار :

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما　　رماني إليـــه الدهر منذ ليالي

فهل فيك من مـــاء المعرة قطرة　　تغيث بهـــا ظمآن ليس بسالي

على قبر ابي العلاء

وقفت السيارة عند ضريح أبي العلاء ، نزلنا ودخلنا البناء الذي يقــوم على قبره وأنا أتفقد البيت الذي قرأت أنه أوصى بنفسه أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي علي　　وما جنيت على أحد

ولكني لم أجده منقوشاً على قبره، ولكني رأيته مكتوباً بخط القلم علىورقة علقها بعض الظرفاء على الجدار ، وعند قبر أبي العلاء مكتبة أسستها الحكومة تذكاراً لحكيم المعرة وفيلسوف العرب ، ولكني لاحظت ولم أدقق – أنهـــا لا تستوعب جميع مؤلفات الشاعر وآثاره العلمية وما كتب عنه وألف فيه مع أن هذا ما ينتظر من مكتبة تقام على قبره .

في عاصمة سيف الدولة

وصلنا حلب عاصمـــة سيف الدولة في القديم ومنتدى المتنبي وأبي فراس الحمداني والشعراء في الدولة الحمدانية ، وقد قامت فيها دولة الآداب والشعر ، ونفقت فيها سوق العربية، وهي التي يقول فيها ابو بكر الخوارزمي: « ما فتق

قلبي وشحذ فهمي، وصقل ذهني وأرهف حد لساني وبلغ بي هذا المبلغ إلا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت بأجزاء نفسي وغصن الشباب رطيب » .

وهي الآن مقارنة لدمشق ومضارعتها في العمران وعـدد السكان وفخامة البنيان وأكبر بلد صناعي في سورية (التي تشمـــل لبنان وفلسطين وشرق الأردن) كلها .

الاستاذ مصطفى الزرقا

وكان اليوم موعد محاضرتي، وكان الموضوع « كيف يستعيد العرب مركزهم العالمي » وكان المركز قـد أعلن محاضرتين أولها لي والثانية للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا أستاذ الحقوق في كلية الحقوق بدمشق، كان الاستاذ قد مثل سورية مع زميله الاستاذ الكبير الدكتور معروف الدواليبي في مؤتمـــر أسبوع الفقه الإسلامي الذي انعقد في تموز سنة ١٩٥١ في باريس ، وقد أحسنا تمثيل الشريعة الإسلامية وسورية المسلمة وكان حديثه اليوم حول هذا الاسبوع، وكنت حريصاً على مقابلته في دمشق، ولم تقسم لي هذه المقابلة وهذا التعارف إلا في حلب وطن الشيخ الزرقا ، وكان من حسن المصادفة أننا اجتمعنا على المحاضرة فقدم الاستاذ عمر الكركوكي وألقى كلمة يرحب فيهـا بخطيبي الليلة ويعرفهما إلى الحاضرين وكانت الحفلة مشهودة.

كلمتي في حفلة حلب

وبعد كلمة السيد الكركوكي ألقيت محاضرتي وقد أرتجلتها ، وكان الاولى أن تكون مكتوبة معدة من قبل فالموضوع علمي وجدي ولكني لم أجد بسبب انحراف صحتي واستمرار السفر فرصة لكتابتها .

أسباب انتصار العرب على العالم المعاصر في الماضي

وعلى كل فقد تكلمت في الموضوع وذكرت أسباب انتصار العرب على العالم المعاصر في القرن الأول ، ومن أهمهـــا تجردهم عن الانانيه القومية والأثرة الاجتماعية ، وعن كل نزعة جنسية أو وطنية ، وإخلاصهم للعقيدة العامة للبشر التي تساوي بين الاسود والاحمر ، وتجمع بين أهل المدر والوبر وسيد قرشي وعبد حبشي ، وحرصهم على سعادة البشرية من غـــير نظر الى الأجناس والشعوب والبلاد والاوطان ، وإيمانهم بأنهم ما خرجوا لمصالحهم الشخصية أو القومية بل خرجوا لصالح العالم ، وأنهم لم ينبعوا وإنما بعثوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، وأن الدافع ليس الرحمة بنفوسهم والرثاء لما هم فيه من ضنك عيش وضيق موارد بل الرحمة بالناس والرثاء لما هم فيه من ضيق الحيـــاة المادية وأسر الهوى والشهوات وجور الاديان والحكومات . « لنخرج من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الإسلام » وذلك التجرد والإخلاص هما اللذان أخضعا لهم العالم المحارب حتى ذاب وتبخر أمامها كل عناد وجمود .

كيف يعود العرب الى مركزهم العالمي ؟

وإذا أراد العرب أن يعودوا الى مركزهم العالمي فلا بد أن يرجعوا إلى هذه النفسية الاسلامية ، ويرجعوا الى ذلــك التجرد والاخلاص والرحمة بالانسانية المعذبة والبشرية المنكودة التي يتوزعهـــا شياطين القوميات والوطنيات ومردة الأغراض والشهوات ، أما القومية العربية التي يلهج بها كثير من زعمـــاء العرب ورجالهم فهي كسائر القوميات التي هي قوالب حديدية لا سعة فيها ولا مرونة ، ولا سماحة فيها ولا رحمة ، ولا يمكن أن تكون راية عالمية يلتف حولها جميع الناس أو مبدأ يؤمن به الأفراد والشعوب على اختلاف أجناسها ووطنيتها ، فهي دائماً خط انفصال لا اتصال وسبب فرقة لا ألفة ، ولا يطمع العرب في الزعامة

الروحية والمركز العالمي مع النعرة القومية إنما هو الدين الذي بوأهم مكان القيادة العالمية ، وهو يستطيع وحده أن يردهم إلى مركزهم السابق .

الاعتراف بفضل التشريع الاسلامي في أسبوع الفقه الاسلامي

وتلاني الأستاذ الزرقا فأشاد بكلمتي ونوه بها ، وما كان ذلك إلا تشجيعاً منه وكرماً عربياً وإلا فأنا كنت أشعر وقد انتهت أني قد قصرت كثيراً في الوفاء لهذا الموضوع الجليل ، ثم وصف الاستاذ أسبوع الفقه الاسلامي الذي كان له أطيب الأثر في استرعاء الاهتمام بثروة الفقه الإسلامي الضخمة ، وقد تجلى في هذا الأسبوع وبحوثه ومناقشاته فضل التشريع الإسلامي ، وأنه مصدر غني للتشريع وفيه فض المشاكل التي يعانيها العالم ويعجز عن حلها التشريع المدني ، وقد اعترف بذلك المؤتمر في القرار الذي اتخذه ، ونص القرار كما ترجمه الاستاذ الزرقا من الفرنسية إلى العربية : « بالنظر إلى المنفعة العلمية الحاصلة من الموضوعات التي عولجت في أسبوع الفقه الإسلامي ، والمناقشات التي دارت حولها ظهر منها بوضوح أن مبادىء الفقه الإسلامي وقواعده هي ذات قيمة لا تقبل الجدل ، وان المذاهب الاقتصادية المختلفة في ضمن هذا النظام التشريعي العظيم قد أوجدت ثروة في المبادىء الحقوقية والفن الفقهي الممتاز تثبت أن الفقه الإسلامي يمكن أن يستجيب لجميع ما تطلبه حاجات الحياة الحديثة من تشريع ملائم لها » .

والأستاذ مصطفى الزرقا من كبار المثقفين الإسلاميين قد تخرج في كلية الشريعة بحلب ودرس اللغة الفرنسية وهو الآن معلم في الجامعة السورية ، ويمتاز بإتقان العلوم الدينية والفقهية على طريق العلماء الدينيين وطلبة العلم المتقنين وجمع الثقافة العصرية والاطلاع على ما تجدد في هذا العصر من مسائل ومباحث وتلك ميزة الدكتور معروف الدواليبي ، ولا شك أن هذا الطراز من المثقفين لا يزال نادراً وهو من أعظم حاجات هذا العصر .

يوم الاحد ١٣٧٠/١١/٢ هـ – ١٩٥١/٨/٥ م .

في مكتبة حلب

زرنا اليوم دار الكتب الوطنية وهي مكتبة لا تزال في دور التكوين ولا شك أنها نواة مكتبة عظيمة ، وهي تابعة المجمع العلمي في دمشق ، وقد جال بنا مديرها في جميع أقسامها وهي مرتبة على الطريقة الحديثة .

في معهد العلوم الشرعية

زرنا المحكمة الشرعية وجلسنا مع القاضي الممتاز الأستاذ عبد الوهاب التونجي ساعة ، ثم توجهنا إلى معهد العلوم الشرعية ، وجلسنا في مكتب مديره الشيخ عطاء الله الصابوني ، وتكلمت في موضوع ضم الدعوة الشعبية إلى التعليم المدرسي ، وقضينا بعض الوقت في مكتب الاستاذ عبد القادر السبسبي .

الاثنين ١٣٧٠/١١/٢٣ هـ – ١٩٥١/٨/٦ م .

زيارة قرية حارم

أفطرنا عند الاستاذ عبد الفتاح أبو غده ، ثم قصدنا مع صديقنا الأستاذ السبسبي قرية حارم ومررنا بحدود تركيا وكانت في طريقنا إلى اليمين بحيث إذا سقطت السيارة – لا قدر الله – سقطت في مملكة تركيا ، وسورية إلى الشمال ، وقضينا شيئاً من الوقت في هذه القرية التي هي من مصايف حلب .

زيارة قلعة حلب

زرنا اليوم قلعة حلب في معية الاستاذ عمر الكركوكي ، وهي قلعة قديمة

رومية قد جددها السلطان المظفر وغيره من سلاطين الدول الإسلامية ، وزرنا فيها السرداب الذي كان يحبس فيها الأشقياء ، والأماكن الأثرية الأخرى ، ثم زرنا جامع فردوس .

اندرست آثار سيف الدولة

حرصت على زيارة شيء من آثار سيف الدولة ، ولكن لم أجد منها شيئاً فقد درست مع الزمان ، ولم يكن ابن خلدون قاسياً في قوله ولا مبالغاً : إن آثار العرب وأبنيتهم يسرع اليها الخراب .

الثلاثاء ٧٠/١١/٤ هـ — ١٩٥١/٨/٧ م

العدول عن فكرة السفر الى تركيا

عدلنا عن فكرة السفر إلى تركيا وقد جئنا الى حلب لأجل هذا السفر ، ولكن نظراً إلى قصر المدة التي نستطيع أن نقضيها في تركيا وقرب الحج ألغينا السفر إلى هذه البلاد الحبيبة وأرجأناه إلى وقت أوسع ، فإن تركيا لا تكفي لزيارتها والاتصال برجالاتها ومراكزها العلمية والدينية مدة أسبوعين، إنما تحتاج هذه الزيارة والتعارف إلى أكثر من شهر ، وعزمنا على الرجوع إلى دمشق طريقنا إلى المدينة على منورها ألف صلاة وسلام ، فسبحان الذي ازددنا معرفة به بفسخ العزائم ، وكم كانت حسرتنا لما رأينا قطار تركيا يسافر من حلب إلى استنبول وقلنا له : معك موعد آخر إن شاء الله .

من حلب الى دمشق

خرجنا من حلب في الساعة التاسعة والنصف صباحاً وتغدينا في حمص وقضينا دقائق في النبك .

الأربعاء ٥/١١/٧٠ هـ – ٨/٨/٥١ م

صح عزمنا على السفر إلى المدينة المنورة فأتممنا الإجراءات اللازمة ، وتعين السفر يوم الأحد بإحدى الطائرات السعودية .

السبت ٨/١١/٧٠ هـ – ١١/٨/٥١ م

مع الاستاذ أمين المصري

شرفنا اليوم في الصباح الأستاذ أمين المصري عضو لجنة التعليم والتربية في وزارة المعارف ، وقد اختير من المفوضية السورية في الباكستان لدرس مشروع نشر اللغة العربية في الباكستان والقيام بمهمته .

رأي في منهاج نشر اللغة العربية في الأقطار غير العربية

وقد استشارني في الموضوع فذكرت له تجارب معلم قد عالج هذا الموضوع وذكرت له أن المهمة تتلخص وتتركز عندي في نقطتين أولاهما إيجاد منهج دراسي يسهل تعلم اللغة العربية ويسلم من المشاكل والعقد التي تشتمل عليها مناهج الدراسة القديمة العقيمة في تلك البلاد ، والثانية تخريج معلمين اكفاء أصحاب مقدرة فنية وإخلاص وحرص وأمانة ، وعلى نجاحه في هاتين يتوقف تحقق هذا المشروع العظيم الذي تبنته سورية والأقطار العربية ، وقد وافق على ذلك الاستاذ وأبدى استعداده لتحقيق هاتين الغايتين ، وأهديت إليه سلسلة قصص النبيين للأطفال والقراءة الراشدة كأنموذج لمنهاج دراسي للغة العربية في الهند والباكستان .

زيارة مدرسة دير ياسين

زرنا مدرسة دير ياسين وهي مدرسة لأبناء اللاجئين الفلسطينيين ، ودير

ياسين هي المدينة الفلسطينيه التي وقعت فيها الجزرة الكبرى فقد ذبح فيها العرب ذبح النعاج ، والمدرسة يديرها الأستاذ نمر المصري ، وقد زرنا الفصول وجلسنا في أقسام المدرسه وفرعها .

نظرة شاملة على سورية

وقبل أن نودع سورية – لا وداعاً كوداع هرقل ، بل وداع مسلم له إلى بلاده رحلات وجولات وزيارات ورجعات – يحسن بنا أن نلقي نظرة شاملة على هذه البلاد ونذكر بعض المعلومات عنها .

المساحة وإحصاء النفوس

مساحة سورية بعد ما انفصل– بالأصح بعدما فصل – عنها لبنان وفلسطين وشرق الاردن ، أي مساحة الجمهورية السورية لوحدها (٣٣٧ و ١٨١) كم ونفوسها (٠٠٠و٤٣٠و٣) نسمة كما أذيع في مطلع سنة ١٩٤٨ ويقدر في سنة ١٩٥١ أكثر من ٠٠٠و١٠٠و٣ نسمة المسلمون يشكلون (٠٠٠و٥٤٥و٢) نسمة أي ٨٥ ٪ من السكان ، والسنيون هم الأغلبية ويشكلون ٥و٨٢ ٪ من المسلمين والشيعة لا يزيدون عن ٥و١٨ ٪ والدروز يزيدون عن ٨٧ ألفاً أي ٥و٣ ٪ وهناك فرقة متطرفة هي اليزيدية يبلغ عدد أتباعها إلى ٢٧٠٠ فرد والمسيحيون ويؤلفون ٥و١٥ ٪ من سكان سورية أي (٤٦٠) الفاً) .

تقسيم سورية اداريا

تقسم سورية إدارياً إلى محافظات ، وتنقسم المحافظات إلى أقضية والأقضية إلى نواح ويتبع النواحي القرى ، وفي سورية تسع محافظات وهي دمشق وحلب وحوران وحمص وحماة والفرات والجزيرة واللاذقية وجبل الدروز ، و ٣٦

قضاء و٩٢ ناحية ويتبعها ٢٧٠٣ قرية .

نسبة المتعلمين والحالة الاقتصادية

تمتاز سورية من بين الأقطار العربية عدا لبنان [١] بارتفاع نسبة المتعلمين منهم خمس وأربعون في المائة ٤٥ ٪ وبوجود الطبقة الوسطى في عدد أكبر من عددها في مصر والحجاز ، والفلاح السوري في الغالب يملك من الأرض ما يعيش به ، ولا يبلغ ما بلغ الفلاح المصري أو الفلاح الهندي من الفقر المدقع ، لذلك تستطيع سورية إذا ازداد التوزيع الاقتصادي تحسناً وكان ولاة الأمور مخلصين عقلاء استطاعوا أن يحافظوا على نظام معتدل وسط بين الرأسمالية الغاشمة والشيوعية المتطرفة .

نظام التعليم

أما نظام التعليم المتبع الآن في سورية – فأريد – بحكم مهنتي السابقة (التعليم) ولأهمية الموضوع أن أفيض في شرحه .

ينقسم التعليم في سورية إلى ثلاث مراحل أساسية :

(أ) الابتدائي .

(ب) الثانوي وما إليه .

(ج) الجامعي .

والتعليم قبل الابتدائي (أعني رياض الأطفال) ليس رسمياً ولا اساسياً ،

---

(١) نسبة المتعلمين في لبنان تقدر بحوالي ٨٠ ٪

وإنما هناك رياض أطفال يرسل من شاء إليها ولده .

١ – التعليم الابتدائي مجاني وإجباري مدته خمس سنوات تنتهي بالحصول على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية، والغاية منه إعطاء المعلومات التامة الضرورية في العلوم الاساسية ، وهو تمهيد لما بعده في الوقت نفسه .

يقبل في السنة الأولى من الدراسة الابتدائية من كان عمره ٧ سنوات وهو منتشر بشكل واسع ، لا يوجد في هذه المرحلة تنوع فضلاً عن التخصص ، إلا ما ينص عليه المنهج من وجوب مراعاة البيئة في تطبيق المنهج والدروس في التعليم الابتدائي ما عدا القراءة والكتابة التي تتم في السنة الأولى هي :

١ – الدين والتهذيب
٢ – الحساب والهندسة
٣ – التاريخ والجغرافيا
٤ – الأشياء : معلومات مبسطة عن العلوم الطبيعية والظواهر المحيطة بنا
٥ – اللغة العربية

(إملاء ، قواعد اللغة العربية ، قراءة ، محفوظات ، مفردات ، ومحادثة، إنشاء) .

٦ – التربية الوطنية (الأخلاق والمعلومات المدنية) في الصف الأخير الخامس .

المرحلة الثانية : التعليم الثانوي وما إليه .

في هذه المرحلة يوجد أنواع من التعليم تبدأ كلها بعد الحصول على الشهادة الابتدائية ، ونستطيع أن نقسمه إلى مرحلتين جزئيتين :

(ا) المرحلة المتوسطة مدتها أربع سنوات .

(ب) المرحلة العالية مدتها سنتان .

فالجميع ست سنوات .

المرحلة المتوسطة يوجد منها أنواع هي .

١ – الدراسة المتوسطة العامة ٢ – الدراسة المتوسطة التجارية

٣ – الدراسة المتوسطة الصناعية ٤ – » » الزراعية

وتنتهي كل دراسة بامتحان عام يحصل من اجتازه بنجاح على شهادة الدراسة المتوسطة العامة التجارية ، وهكذا ، واسمها « شهادة الكفاءة العامة التجارية الصناعية الزراعية » حسب النوع الذي تخرج به .

المواد التي تدرس هي – عدا الديانة :

١ – اللغة العربية ٢ – اللغة الإنجليزية أو الفرنسية (حسب اختيار الطالب) ويلاحظ أن سورية ألغت اللغة الأجنبية من المرحلة الابتدائية لتعزيز لغتها العربية وملاحظات تربوية أخرى .

٣ – الحساب والجبر ٤ – الهندسة	الرياضة
٥ – الفيزياء ٦ – الكيمياء ٧ – التاريخ الطبيعي وتشريح الإنسان	العلوم الطبيعية
٨ – التاريخ ٩ – الجغرافيا	الاجتماعيات

١٠ – التربية الوطنية (في صف الكفاءة) .

الغاية من الدراسة المتوسطة هي :

١ – أما اعداد الطالب لمهنة من المهن (الكفاءة الصناعيـة ، الزراعية ، التجارية) .

٢ – أولى الحصول على الثقافة العامة تمهيداً لمتابعـة دراسات ثقافية أعلى وأوسع كما في الثقافة العامة .

المرحلة العالية (وهي الجزء الثاني من الدراسة الثانوية) وهي أعـلى من سابقتها ، مدتها سنتان تنتهي بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية في العـلوم أو الآداب ، أو في الزراعة ، يدخل في هذه المرحلة من حصل على شهادة الكفاءة وهنا إعداد للجامعة عن طريق التعليم الثانوي العام (لكلية العـلوم أو كلية الآداب أو الهندسة أو الحقوق وهكذا) .

والمواد التي تدرس هي كالسابقة وأوسع وأرفع مستوى بطبيعة الحال .

التعليم الجامعي

الجامعة السورية فيها عدة كليات مدة الدراسة في كل هي ثـلاث سنوات تنتهي بالحصول على إجازة في العلوم التي درسها الطالب في الكلية (ليسانس في الحقوق مثلاً أوفى الآداب أوفى العلوم) ... الخ. وفي بعض الكليات كالحقوق صف اختصاصي في علم واحد من العلوم التي درسها في الكلية مع تقديم أطروحة (رسالة بحث) كليات الجامعة السورية هي :

١ – كلية الحقوق   ٢ – كلية الطب بفروعها   ٣ – كلية العلوم

٤ – كلية الهندسة ٥ – كلية الآداب [١] .

وفي كل كلية فرع خاص يهيىء الطلاب ليكونوا أساتذة في التعليم الثانوي يدرسون في هذا الفرع (إلى جانب دراستهم في الجامعة) مـا يتعلق بالتربية والتدريس واسم هذا النوع دار المعلمين العليا ، فيستطيع الطالب مع دراسته الجامعية أن يتابع الدروس في هذا المعهد .

ملخص

رياض الاطفال (قبل السابعة) .

الدراسة الابتدائية (مدتها خمس سنوات) تنتهي بشهادة إتمـــام التحصيل الابتدائي (سرتفيكا) .

الدراسة المتوسطة (من الثانوي) مدتها أربع سنوات تنتهي بشهادة الكفاءة (البروفه) .

الدراسة العالية (من الثانوي) مدتها سنتان ، تنتهي بشهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا) .

الدراسة الجامعية تنتهي الحصول على إجازة ليسانس :

كلية الحقوق
كلية الآداب
كلية الطب وفروعها — مدتها ثلاث سنوات
كلية الهندسة
كلية العلوم

(١) ولم تقم كلية الشريعة واضيفت الى الكليات السابقة ، إلا بعد سنوات (٥٦ – ١٩٥٥) وذلك بجهد صديقنا الفاضل الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله .

ثم يأتي صف اختصاص في بعض الصفوف [1] .

الديانات والاحزاب في سورية

إن سورية بجانب ما حباها الله من جمال الطبيعة واعتدال المنـاخ وخصب الأرض وذكاء الشعب ، والأهمية الاستراتيجية لها مشكلتان عظيمتان الأولى كثرة الديانات ، وتطرف العقائد ،ولعل من أقوى أسباب انتشار هذه الديانات والفرق الدينية المتطرفة في بلاد الشام طبيعة البلاد الجبلية ووجود معاقـــل للجماعات المضطهدة والديانات المطاردة من سواد المسلمين، فدائماً تلتجيء الفرق الثائرة وأصحاب الأراء المتطرفة إلى الحصون والجبال ووعرة المسالك ، لذلك ازدهرت هذه الديانات في الشام أكثر مما ازدهرت في مصر ، ثم كان مما أغرى هذه الفرق ورجالها بالنزوح الى الشام واتخاذها مقرا لهم هو جمال الإقليم وما هو عليه من الفتنة والاستهواء وسلامة صدر الشعب وسذاجته ، فإن كون الشام ممراً للفاتحين القادمين من الشمال جعله ميداناً للحضارات والديانات والنزعات وجعل الشعب يخضع لكل وافد جديد ويتأثر بكل طريف وتليد ، لذلـــك وجدت الباطنية والدرزية والبهائية وغيرهـــا من الفرق والديانات مضطرباً واسعاً في هذه البلاد الجميلة .

والمشكلة الثانية وهي أعظم من الأولى وأكثر منها تعقداً وأقوى منهـــا سلطاناً على النفوس ومجاري الأمور في سورية كثرة الأحزاب والمذاهب السياسية التي تتوزع سورية وتتنازع القيادة والزعامة ، ويخشى على سورية واستقلالهـا ووحدتها من هذه الأحزاب المتنافسة والمذاهب المتصارعة أكثر مما يخشى عليها من الديانات والفرق الدينية التي فقدت شيئاً كثير من سلطانها الروحي ونفوذها السياسي .

---

(١) نشكر لهذه المعلومات الاخ العزيز الاستاذ السيد عبد الرحمن الباني استاذ معهـد التربية في دمشق .

والى القارىء تعريفاً موجزاً بهذه الأحزاب

الاحزاب المذهبية السياسية :

١ ـ حزب البعث العربي : شعاره « أمة عربية واحدة ذات رسالةخالدة» يعتبر الوطن العربي البقعة من الأرض التي تسكنها الأمة العربية والتي تمتد ما بين جبال طوروس وجبال بشتكويه وخليج البصرة والبحر العربي وجبال الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الاطلسي والبحر الأبيض المتوسط ، والأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ وترمي إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدمالبشري وتنمية الانسجاموالتعاون بين الامم وهي وحدة روحية ثقافية وجميع الفوارق القائمة بين ابنائها [١] عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي .

وحزب البعث العربي اشتراكي يؤمن بأن الاشتراكية منبعثة من صميم القومية العربية .

وبالاختصار هو حزب قومي بعيد من الدين يدعو الى الاشتراكية ، عميده ميشيل عفلق ويشتمل على عدد لا بأس به من الأساتذة والمثقفين .

٢ ـ الحزب العربي الاشتراكي : حزب عربي اشتراكي النزعة ويتزعمه أكرم الحوراني ، وهو أحدث من حزب البعث .

٣ ـ الحزب القومي السوري يدعو إلى سورية الطبيعية ويقول : سوريا للسوريين والسوريون أمة تامة فهو يناهض فكرة القومية العربية . كما ينادي

---

(١) كاختلاف الديانات مثلاً .

بفصل الدين عن الدولة ، وبمبادىء اجتماعية إيجابية تغاير مبادىء الدين ، أكثر أنصاره من المسحيين والأقليات غير العربية وخاصة في لبنان . يعتمد على تنظيم يشبه التنظيمات الفاشية ، وعلى طبقات تشبه « الزعران » .

٤ — الحزب التعاوني الاشتراكي : اشتراكي النزعة . قريب من الاسلام بمبادئه ونزعات بعض قادته بعيد من الاسلام في واقع أفراده الخلقي والعملي ، يسير على نهج دكتاتوري ، الزعيم فيـــه هو كل شيء ، وزعيمه الآن فيصل العسلي .

أحزاب سياسية

٦ — الحزب الوطني : مكون من بعض عناصر حزب الكتلة الوطنية الـتي قادت الحركة الوطنية في السابق ثم تفرق عنها الشعب لعدم صلاحها ولإيثارها مصالح أفرادها .

٧ — حزب الشعب : مكون من العناصر التي عارضت حكم جماعة الكتلة ويمتاز بعض أفراده بشيء من النزاهة والثقافة ، إلا أنه لا يجمع بين أفراده فهم موحد للحياة أو رأي موحد في مشكلة البلاد ، وهـــذا الحزب يملك الآن الأكثرية في المجلس وزعيماه رشدي الكيخيا والدكتور ناظم القدسي .

سوريا وما لها وما عليها

وهنا اتحدث عن بعض ما تمتاز بها سورية والشعب السوري ومـــا تتسم به الحياة في سورية من فضائل ، وكذلك عن بعض ما آخـذ عليها ويعتبر من جوانب الضعف :

مما استرعى انتباهي في سورية أول ما دخلتها هي بقايا الحيـــاة الدينية والتقاليد الاسلامية التي تستلفت السائح في سورية أكثر ممـــا تستلفته في

غيرها من الأقطار العربية ، فالمساجد في سورية أكثر عمرانا من المساجد في الأقطار الأخرى . وفي الناس اهتمام زائد بالصلوات والجماعات ،والعلماء ورجال الدين أكثر محافظة على بعض شعائر الدين من العلماء ورجال الدين في غيرها والتجار والفلاحون وطبقات الشعب اوضح ديانة منها في غيرها وان كان المصريون أقوى روحاً وعاطفة وأكثر حيوية وأعظم اندفاعاً الى الدعوات الدينيه والحركات الإسلامية من السوريين ، وكذلك التستر في النساء - وإن كان الى ضعف وتقلص مع الأيام - لا يزال في أكثر الطبقات في سورية ، وقد الغى او كاد يلغي بتاتاً في مصر .

والأمر الآخر الذي يمتاز به الشعب السوري هو النظافة والأناقة فقد كادت تكون دمشق بوجه خاص وسورية بوجه عام من أنظف بلاد المسلمين وأكثرها ظرافة واناقة إذا استثنينا تركيا .

والأمر الثالث يمتاز به السوري الوداعة ودماثة الخلق ورقة الشعور ولين الجانب ، ولا شك أن للمناخ وطبيعة الاقليم فضلا كبيراً في تكوين هذه الأخلاق .

أما بقايا الحياة الدينية فلعل السبب الأكبر في وجودها هو انتشار الدعاة الى الله واهل الذكر في سورية انتشاراً ملحوظاً فإن وجود هؤلاء قد حد نشاط المادية وطغيانها،ووقف حاجزاً الى مدة طويلة في سبيل انطلاق الشهرات وجماح النزوات وبريق الماديات ، ولا شك أن البلاد التي انهار فيها هذا الحاجز من قديم اندفعت الى المادية والحضارة الغربية اندفاعاً متهوراً لم يكن فيه اقتصاد ولا تفكير ، والحياة الروحية في سورية - وإن كانت تلفظ نفسها الأخير - يرجع الفضل الأكبر فيها الى مولانا خالد الرومي من رجال القرن الثالث عشر الذي سافر الى دهلي وتربي على يد الشيخ الكبير مولانا عبدالله الدهلوي ، وقد رجع مولانا خالد الرومي بعد ما استخلفه شيخه في الارشاد والتعليم فملأ بلاد الشام

والروم وبلاد الكرد والعراق بتلاميذه ومن أفادوا منه وتخرجوا عليه ولا تزال آثاره لائحة لامعة في سورية .

ومما لاحظته في سورية من الظواهر الوفاء للأمويين والبيت الأموي فـــلا تزال سورية متشبثة بأسمائهم وذكرياتهم ، وكثيراً ما رأيت على الدكاكين والفنادق لوحات بأسماء أموية ، فيستلفت نظرك وأنت تمشي في دمشق «المطعم الأموي » « أوتيل بني أمية » « تجليد بني أمية » « مدرسة مروان »وقد وقع لي مرة حادث طريف كدت ألقى فيه متاعب جمة ولكن الله سلم.خرجت يوماً مبكراً في الصباح أتمشى واتنزه ولما تقدمت بناء الجامعة السورية وكلية الحقوق استوقفتني لوحه كان مكتوباً عليها « ثكنة معاوية بن أبي سفيان » ووقفت استعذب هذه الكلمات التي جددت ذكريات التاريـــخ الماضي ، وأستعرض العهد الذي كان فيـــه سيدنا معاوية بن أبي سفيان هو أمير المسلمين في العالم وأكبر ملك على وجه الأرض ، وكانت سورية كلها فضلا عن دمشق ثكنته وقد ذهلت في تأملاتي هذه عن المحيط فرابت وقفتي هذه وتحديقي البصر في ثكنة من الثكنات الحـــارس الواقف على الباب في بدلته العسكرية فتقدم إلي وقال : من أنت ؟ قلت : رجل من المسلمين ؟ قال : ولماذا تحدق البصر في هذا المركز العسكري ؟ قلت : لا شيء إنما استوقفتني هذه اللوحة وشغلني هذا الاسم العظيم ولكنه لم يفهم هذا الذوق التاريخي ولم يصدقني في ما أقول ،ولعله ظنني جاسوساً من جواسيس اليهود وكانت ملابسي الهندية مزركشة فقال : أين (هويتك) يعني جواز السفر قلت في البيت قال : لماذا لا تحمله معك أنا أقودك الى نقطة البوليس قلت يا هذا أنا مسلم وقرأت له بعض الآيات ، اثبت ببعض الدلائـــل إسلامي ولكنه لم يقتنع ، وكاد يقودني الى مركز الشرطة ولكن الله ألهمني أن أقول له انا حاج وانا في طريقي الى مكة ، وهذه هي اللغة التي يفهمها هؤلاء الاميون ، ففي جميع بلاد المسلمين وخصوصاً في مصر والشام تقدير عظيم وإجلال لهم وهنا استسلم العسكري وخلى سبيلي .

أما ما آخذ على سورية وإخواني السوريين فارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعاً عالياً ودخول الكماليات في صميم الحياة والبعد عن البساطة والتقشف وتحمل الصعوبات فإن الشعب الذي يسكن على حدود دولة معادية كإسرائيل يجب أن يعتبر نفسه مرابطاً حارساً ، ويأخذ بنفسه بحياة المعسكرات ويتعود التقشف والجلد والاقتصاد في المعيشة ، وكان من أكبر أسباب انهيار فرنسا أمام المانيا الميوعة والرخاوة التي ابتلى بها الشعب الفرنسي في العهد الأخير ، وإن سورية لتشارك اليوم مصر في مسئوليتها والأخطار التي تهدد كيانها بل تكاد تنفرد بالقسط الأكبر منها ، فلا بد أن تذكر وصيه سيدنا عمر بن العاص لمصر « إنكم في رباط دائم لكثرة الأعداء حولكم وتشوف قلوبهم إليكم » .

والأمر الثاني وهو الذي يسهم فيه الاقطار العربية كلها هو كثرة المجاملات والمبالغة في المدائح والألقاب والإسراف في الكلمات والتحيات ، ولا شك أنها ظاهرة من ظواهر المدنية التي تجاوز نموها الطبيعي واكتمالها وترق حواشيها وتكثر دقائقها ، ولكن لا بد من الاقتصاد في الحياة الاجتماعية كما أنه لا بد من الاعتدال في الحياة الاقتصادية ، ولا بدلكل مجتمع يريد أن يمثل الحياة الإسلامية ولكل دولة تريد أن تنظم الحياة تنظيماً جديداً أن تعير هذه الجوانب الدقيقة ما تستحق العناية والاهتمام .

الأحد ٧٠/١١/٩ هـ - ٥١/٨/١٢ م

من دمشق الى المدينة المنورة

توجهنا إلى مطار المزة بعد صلاة الصبح ، وقد ودعنا مضيفنا الكريم الشيخ عبد الوهاب الصلاحي والشيخ أبو عزة الخضري على مكتب الطيران وركب معنا الأخ العزيز السيد عبد الرحمن الباني والأخ العزيز نبيه غبره ، ولحق بنا على المطار صديقنا الجليل الشيخ مصطفى السباعي مع رفيق له ، وبعد انتظار

وتوقف على المحطة ركبنا طائرة سعودية أقلتنا إلى المدينة المنورة ، وبعد إقامة لا بأس بها سافرنا إلى مكة المعظمة .

وهكذا انتهت هذه الرحلة التي ابتدأت من مكة وشملت مصر والسودان وسورية وفلسطين وشرق الاردن ، وقد أراد الله أن تكون مكة نهـــاية المطاف في هـــذا الطواف الطويل كما كانت نقطة البدأ ، والحمد لله أولاً وأخيراً .

كلمة لجزيرة العرب ووصف العالم العربي

افتتحت الرحلة من جـــدة إلى مصر بكلمة سجلتها في مذكراتي وهي كما يلي :

وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة ، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك وللاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة على ساحـــل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط أبلغها تحياتك ، وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها منك ، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم والأمانة التي تقلدتها ثم أعود اليك إن شاء الله أحكي لك قصة هذه الاقطار الاسلاميه العربية وما شاهدت في هذه البلاد من خير وشر ، وما رأيت لأبنائك من وفاء لك وجفاء بكل أمانة وصراحة ، فالرائد لا يكذب أهله ، ومن الكذب المهلك والخيـــانه المردية المجاملة في الأخبار والمبالغة في التفاؤل » .

وهذا أوان انجاز الوعد :

يسرني أن أقول لك أيتها الجزيرة العزيزة إن أسرتك العربية لا تزال تنتمي إلى الاسلام ولا تزال تعتز بعروبتها ولا تزال تنسب نفسها إليك وترد دينهـــا ولغتها إلى منبعها في ربوعك ، وتبدأ تاريخ حياتهـــا الجديدة بيوم أشرق فيه

النور من غار حراء فكان الصباح الصادق للعالم ، وقد احتضنت هذه البـــلاد تراثك الادبي والثقافي ، وتبنت لغتك وضمتهـــا إلى صدرها وزادت في ثروتها زيادة لا تخطر منـــك ولا من شعراء جاهليتك على بال ، ولا يسعك عليها إلا الشكر والاعتراف بالجميل ، وقد كانت هذه البلاد وفية للغتك وفية لقوميتك وفية لثقافتك وفية لتاريخك .

وان أسرتك العربية لم تقطع صلتها في يوم من الايام عن دينك الذي عاهدتها عليه وأوصيتها به يوم ودعتها وأرسلتها لتفتح العالم وتنقذه من الجاهلية ، وكم حاول الحساد أن تقطع هذه الاسرة الكريمة صلتها عن الإســـلام وترجع إلى جاهليتها الاولى أو تعتنق الجاهليات الحديثة ، وكم زينوا لهـــا الانسلاخ عن عقيدتها الاسلامية والانفصال عن الجامعة الاسلامية ، وان تدين بالقومية الضعيفة والوطنية الضيقة ، فلم يكن منها في كل عصر ومصر إلا أن ثارت روحهـــا وهاجت غيرتها الدينية ، فازدادت إيماناً بهذا الدين وأحبطت مساعي المفسدين ، ولا نعرف من بين الشعوب والامم أسرة أكثر وفاء وأعظم أمانة وأشد تعلقاً بالماضي وغيرة على اللغة من هذه الأسرة العربية التي تسكن الشرق الأوسط الذي هو مجرى تيارات المدنية والغزوات السياسية ، فقد تطور كل شيء وقد تطورت هي كذلك في ثقافتها وأدبها وحياتها تطوراً كبيراً ، ولكنها لا تزال متشبثة بدينها متعصبة للغتها ، فليهنك أيتها الجزيرة من أبنائـــك هذا الوفاء وهذه الاستقامة .

إن في العالم العربي كثيراً ممـــا يسرك ويسر جيلك الاول لو بعث ، الى الأذان تدوي به الآفاق ولا يزال التوحيـــد والرسالة المحمدية يعلن الله أكبر والصلاة تقـــام والقرآن يتلى بلحن عربي شجي لو سمعته أيتهـــا الجزيرة لطربت له واعتقدت أنه لم يقرأ إلا في هذه البلاد ، ولو سمعت العلماء يفسرونه ويتكلمون في موضوع ديني لتوهمت أنه لم يفهم إلا في هذا العصر ، والعلم يخدم

وينشر ، وفي كل يوم يتدفق سيل من المطبوعات الدينية لا يقل في الفضيان عن الزيت الذي يتدفق من شرقك إلى غرب العالم .

هذا كله مما أشهد به وأهنئك عليه فقري عيناً وطيبي نفساً يا أم العـــالم العربي ، فمن أحق منك بالسرور على ذلك ومن أجدر منك بالتهنئة ؟.

ولكني وعدتك وأنا أودعك على ميناء جدة أني لا أخفي عنـك شيئاً ، وأني أحمل اليك في رجوعي كل حلو ومر وأروي لك من رحلـتي كل ما يسوء ويسر وقديماً قلت : انجز حر ما وعد .

لست أدري أيتها الجزيرة العزيزة كيف أعبر عن شعوري المزدوج المركب وكيف أصف لك ما وجدته وما فقدته في هذه الرحلة الطويلة ، وكيف أصور المعاني المتناقضة ، وكيف أجمع لك بين الآلام والآمال .

إني أستعير أولاً كلمه لشاعر مؤمن من بلادي قد زار العالم العربي قبـــلي ورجع منه حزيناً يلخص رحلته في بيتين من الشعر ، وذلك هو الشاعر الدكتور محمد إقبال الذي يقول :

« لم أسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتجفت له الجبـــال بالأمس ، أن السجدة التي كانت تهتز لها روح الارض ؟ لقد طال عهد المحراب بها واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الارض الجديبة الخاشعة إلى المطر » .

لا يخفى عليك أيتها الجزيرة أن مصدر هذا الاذان الذي كانت الجبـــال ترتجف له ارتجافاً وهذه السجدة التي كانت الارض تهتز لهـا اهتزازاً ويلفت القلب الفائض بالايمان المتلىء بالحب والحنان ، الجريء على الموت ، الحريص على الشهادة ، الزاهد في الدنيا ، المستهين بالمادة ، وقد ضعف هــذا القلب من مدة طويلة وجنت عليه المادية الغربية والتعليم المادي فأفقدته كثيراً من حياته

وجرأته وخفقاته ، وتأثرت بهذا التحول الحياة في كل ناحية من نواحيهـــا . ومظهر من مظهرها . وعم المسجد والمدرسة والمنزل والسوق وشعر به كل من لم يفقد شعوره حتى قام بالامس أمير الشعراء شوقي في دمشق يقول :

فلا الأذان أذان في منارته إذا تعالى ، ولا الآذان آذان

لقد عاتبت هذه البلاد العزيزة على هذا التحول كثيراً وحدثتهـــا حديث رجل لرجل ولكنها قالت : إن الجزيرة العربية هي المسئولة عن هذا التحول فقد كانت مصدر الحياة والقوة والايمان والروح في العـــالم كله . وقد كانت توزع الدم الجديد الى شرايين العالم الاسلامي فضلاً عن العــالم العربي وعروقه فشغلت في العهد الأخير بتصدير البترول عن تصدير دم الحياة الايمانية . واكتفت باستيراد البضائع الاجنبية عن تصدير بضاعة الايمان وغذاء الروح الى العـالم . وجادلت عنك أيتها الجزيرة العربية كثيراً ولقد أُوتيت جدلاً ولكنها أفحمتني بالدلائل والأمر الواقع . فأقنعيها بما شئت وأدلي بحجتك فانما هي أسرتك ومن أقرب الناس اليك .

وسواء كان منك التقصير أولاً ، وكنت المسئولة عن هذا التحول المؤسف أم كان غيرك ، فاني أبشرك أني شاهدت في العالم العربي طلائع نهضة اسلامية قوية شاملة وتباشير صبح صادق . فقد بدأ الرأي العـام يستيقظ وبدأ القلق الشديد يساور النفوس ، والتذمر من الاوضاع الفاسدة ، يكاد يكتسح البلاد وقد بدت حركة رد فعل عنيف ضد الحضارة الغربية وقيمتها ، وظهرت آثار ثورة فكرية سياسية ضد سياده الغرب والوصاية العالمية التي سلطها الغرب على العالم العربي فرضاً ، واستمر يتحكم في أمواله وكنوزه وخيراته كأنه سفيه أو مجنون أو طفل لم يبلغ سن الرشد . فها هي ذي الاقطار العربية بـــدأت تفهم الحقائق وبدأت تواجه الغرب المتغطرس ، كرجل كريم يؤمن بشرفه وانسانيته

ويشعر بشخصيته وكرامته ، وكرجل حي يعرف الغضب كما يعرف الرضا ويملك حق الثورة إذا وجدت لها موجبات .

لقد بدأ العالم العربي يكفر بالغرب أحياناً بعد ما آمن به طويلا وخضع له طويلا وربط نفسه بعجلته . فأصبح يرى نفسه مستقلا وعضواً كريماً في أسرة العالم ، يعلم المفسد من المصلح ويميز بين الصديق والعدو ، ويحتفظ بحقه في الصلح والحرب والحلف والصداقة .

لقد بدأت الأقطار العربية ترنو إلى التقدم الصحيح والاستقلال الصادق فقد بدأت تفهم أهمية الصناعات الوطنية والانتاج والاكتفاء الذاتي والاستغناء عن البلاد الاجنبية في مرافق الحياة . وقد بدأ بعض هذه الاقطار يخطو نحو هذه الغاية ، وإن كانت هذه الخطوات بطيئة وقصيرة وخطوات رجل مثقل يئن من أثقال القديم . ولكنها قد بدأت تزحف كما يزحف الطفل بعد مضي مدة طويلة ، وبعد ما كانت تلهو بما كان الغرب يرمي اليها من ودعات وبما يصدر اليها بضائع وآلات .

لقد بدأت الاقطار العربية تتعلم صناعة الموت بعد ما جهلتها طويلا وهجرتها طويلا ، وأصبحت تعتقد أنه لا يعيش في العالم إلا من يستطيع أن يموت .

وأعظم ما يبعث الأمل في النفوس ويبشر بالمستقبل الاسلامي ، هو ظهور آثار الايمان الجديد في العالم العربي . فانك تعلمين أيتها الجزيرة العربية حق العلم ان أسرتك الكريمة ليست في حاجة وكذلك العالم الاسلامي كله — الى دين جديد — فان الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الدين الخالد والرسالة الأخيرة ، وأنه لا يزال اليوم على جدته وقوته مهما تقدم الزمان ، وأنه يسع العالم كله والعصور كلها ، ولكن أسرتك التي تدين بهذا الدين في حاجة ملحة الى إيمان جديد بهذا الدين الخالد ، دين كل عصر وجيل ، فقد

ضعف هذا الايمان وقد تجددت فتن ونشطت دعوات منطرفة وقوية وكثرت النكبات ، ولا يمكن أن يواجه العالم العربي هذه الفتن وهذه الدعوات ، وهذه النكبات ، بايمان ضعيف ، بل لا يستطيع أن يتحمل صدمة او يتغلب على شهوة ، او ينتصر على أنانية ، او يتحمل شدة ، او يقف في وجه دعوة ، إنما هو إيمان منهار لا يستطيع ان يعيش ويتماسك في عصر قد جد فيه الجد .

ولكني رأيت في الاقطار التي مررت بها في هذه الرحلة بواكير إيمان جديد وطلائعه ، لقد رأيت إيماناً فتياً وثاباً . فقد رأيت فتية وصفهم ربهم قديماً بقوله « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لو لا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً » هؤلاء الفتية الأقوياء في إيمانهم – وإن كانوا كباراً في سنهم ، هم الذين لا يمنون أن أسلموا بل يحمدون الله أن هداهم للإيمان وشرفهم بالاسلام . إنهم يعتزون بهذا الدين أكثر مما يعتزون بشيء ، إنهم لا ينظرون اليه كتراث قديم وكأثر من الآثار العتيقة او كشجرة قد انتهى نموها وانقطعت أثمارها . إنما ينظرون اليه كمنبع فياض يستمدون منه القوة والحياة ، وكشمس ساطعة يقتبسون منها النور والحرارة ، إن الاسلام لا يعيش على هامش حياتهم ، إنما يحل منهم محل القلب والعقل والروح ، إنهم لا ينظرون اليه كدين من الأديان الكثيرة او كمنهج للحياة من مناهجها العديدة ، إنما ينظرون اليه كالدين الحق الوحيد الذي لا يبقى بعده إلا الضلال ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ، هؤلاء هم الذين قام بهم الاسلام في عصره الأول وسيقوم بهم في هذا العصر .

ان نهضة العالم الاسلامي ونهضة العالم العربي أمر واقع لا يقبل شكا ولا

جدلا ، ولكن الذي أخشى هو أن تسبقك هذه الأقطار كلهـا ، وأن يتأخر دورك كثيراً ، وحقك أن تسبقيها وتتزعمي هذه النهضة المباركة ، فأنت مادة الاسلام والبلد الأمين .

أما بعد ! فإني لست يائساً من العالم العربي ، ولا منـك أيتها الجزيرة العربية ، واقول في لفظ شاعر الاسلام : « إن إقبال ليس يائساً من زرعـه الكريم الذي عاث فيه الوحوش والسباع ، فان تربته الكريمة تأتي بحاصل كبير إذا تندت قليلا » . ولك أيتها الجزيرة ان تسقي هذه التربة الكريمة بزمزم وبما شئت من دمع ودم كما سقيتها في فجر الاسلام ، « فتصبح الأرض مخضرة ، إن الله لطيف خبير » .



ثلاثة أيام في لبنان

كانت لي رحله الى الشرق العربي عام ١٩٥١ م شملت مصر والسودان وفلسطين ، عدا الحجاز الذي ابتدأت الرحلة منه وكان نهاية المطاف ، وكان المقرر ان اسافر من مصر إلى سورية عن طريق البحر فأنزل في بيروت وأعرّج على لبنان ، ولكن عدلت عن فكرة السفر بحراً الى السفر جواً ، لان الايام كانت أيام رمضان ، وكنت حريصاً على سرعة الوصول وهدوء المكان ، ففاتني لبنان ولم يكتب الله لي السفر اليه في تلك الرحلة .

ولما قدر الله لي العودة الى سورية عام ١٩٥٦ استاذاً زائراً للجامعة السورية رأيت أن أزور لبنان وحرصت على أن انتهي من هذه الزيارة قبل حلول رمضان ، وكنت في حاجة إلى زميل كريم يرافقني في هذه الرحلة القصيرة ، فاختار الله لذلك صديقي القديم الاستاذ سعد الدين الوليلي الذي تكرم بالزمالة، فكان خير رفيق وخير دليل .

توجهنا في اليوم السادس والعشرين من شعبان (٥ من ابريل ١٩٥٦) من فندق اليرموك في دمشق الذي كنت نازلاً فيه وودعنا الاخ الحبيب الاستاذ سعيد رمضان والإخوان الندويون المتعلمون في كلية الشريعة السورية ، وتوجهنا إلى الغرب ، والسيارة تسير بنا على شوارع مرصوفة تحيط بها أشجار ويرافقها بردى الذي يقول فيه سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح بني جفنة .

يسقون من ورد البريـــص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلســـل

وكأن البلد حدائق متصلة، ولم أرَ مدخل بلد أجمل من مدخـل دمشق ، ومررنا في طريقنا بالربوة ودمر والهامة ومصائف دمشق ومنتزهاتها الجميلة حتى وصلنا الى حدود سورية الغربية ودخلنا في لبنان ومررنا بالمخافر ومراكز الامن العام والجمارك ، ورأينا كيف بعثت يد الاستعمار الاثيمة بهذا القطر الجميـــل ومزقته وقسمته تقسيماً مصطنعاً فهنا تنتهي سورية وها هنا يبتدي لبنـان وكلها أرض الله التي كانتِ تسمى بالشام مزقك الله أيها الغرب شرّ ممزق كما مزقت هذه الشرق الاسلامي وسلطا عليك من يقطعك ارباً ارباً .

ودخلنا في لبنان ولا نرى اختلافاً في المنـاخ ولا في طبيعة الأرض ولا في سحنة الشعب ، فالارض هي الارض والشعب هو الشعب ، واللغة هي اللغة ، والاديان هي الاديان ، والحضارة هي الحضارة ، ولكن قالوا وسلمنا خرجت من قطر ودخلت في قطر ، وودعت حكومة واستقبلت حكومة ، وجواز السفر يشهد بذلك – ولا ترد شهادته – فقد ملئت صفحاته التوقيمات والختم والطوابـع الملونة .

مررنا بعدة قرى عامرة جميلة بنيت مبانيها على أحدث طراز وفيهامطاعم فاخرة نذكر منها ظهر البيدر ورويسات صوفر ، وبحمدون وعالية ، وعلمنا ان المصطافين ينزلون فيها ويقيمون وتوفر لهم التسهيلات وكل ما يرغبون فيه من خمر ولهو ، وقد يمتاز بعضها بشيء من الـــنزاهة والنظافة او المحافظة كما يقول أهل هذا العصر .

وكنا نرى جبال لبنان تطل علينا وقممها مكسوة بالجليد الذي يدوم طول السنة ، وكان المنظر جميلاً حتى دخلنا بيروت وقت العصر وبين دمشق وبيروت

١٠٥ كيلو متراً ، وتوغلنا في البلد ، وشعرت بأن قلبي لم يتفتح لهذا البلد .

نزلنا في اوتيل أمريكان وصلينا العصر وتغدينا في مطعم قريب ، واتصل صديقي الاستاذ سعد ببعض اصدقائه في البلد هاتفياً ، واتصل بقائد حركة عباد الرحمن الإسلامية ومؤسسها محمد عمر الداعوق الذي يخاطبه أصدقاءه وتلاميذه دائماً بأبي عمر ، وبعد قليل شرف الاستاذ أبو عمر ومعه شاب لبناني مسلم ، وتعرف بعضنا على بعض ورحب بي الاستاذ ابو عمر في حرارة واخلاص وذكر انه لم يزل على صلة علمية فكرية بي عن طريق المؤلفات والمقالات ولم يكن ينقصنا إلا اللقاء ، وذكر الاستاذ ابن أخي العزيز محمد الحسني ومجلة البعث الاسلامي وسأل عنه ، فقلت إن له صديقاً في بيروت يراسله دائماً وهو السيد هاني فاخوري فقال هاهو هاني فاخوري وأشار إلى الشاب .

وهنا وقفة قصيرة مع الاستاذ أبي عمر ، أنه هو الرجل المهيأ للدعوة الإسلامية في لبنان ، واذا قلنا الرجل المهيأ فقد قلنا كل شيء ، ان لبنان هو البلد الذي يسميه بعض العارفين – ومعذرة إلى الاخوان اللبنانين – بماخورة الشرق العربي ، هو البلد الذي اختاره الغرب لبث السموم في البلاد العربية ، فما احوجه إلى الدعوة الاسلامية ، ما احوجه إلى الدعوة إلى الإستقامة والخلق الكريم ، واختار الله لنشر هذه الدعوة وتوجيه الشباب ومحاربة الفساد ، رجلا ليس من العلماء ورجال الدين ، انما مهندس ميكانيكي بارع يشتغل في شركة كبيرة يسمى بعمر الداعوق ، والداعوق أسرة لبنانية مسلمة منجبة ، اختار الله لذلك مهندساً ولم يختر عالما وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

رافقنا الأستاذ « ابو عمر » إلى بيته وجمعنا بين العشاء والعشاء واطلعنا على نشاط العباد الرياضي وصبور مخيماتهم ، ورأينا من براعتهم في السباحة والقفز

في البحر والجري والوثوب وأنواع الرياضة وأعمال الكشافة ما لا يقل إتقاناً ومغامرة وتنظيماً عن اعمال اكبر كشافة ، زد إلى ذلك محافظتهم على الصلوات بالجماعات ، والحراسة والخفارة والدروس الدينية والمحاضرات في المخيمات ، وعرفنا انه قد يبلغ عدد المساهمين في هذا النشاط وحياة المخيمات إلى خمس مائة شاب ، وللجماعة سيارات خاصة تنقل اعضائها إلى الضواحي التي يخيمون فيها.

رجعنا الى الفندق ونحن معجبون بما رأينا وعلمنا ، وبتنا ليلة هادئة بعد ما قضينا النهار وقسماً كبيراً من الليل في التنقلات والزيارات .

٢٧ من شعبان ١٣٧٥ هـ — ١٠ من ابريل ١٩٥٦ م .

أصبحنا وأصبح الملك لله ، وحاولنا أن نصلي الفجر في المسجد المجاور ، فوجدناه مقفلا . وعرفنا ان الحي غير إسلامي ، والتجار المسلمون ينصرفون في الليل الى منازلهم فصلينا في الفندق ، واسترحنا قليلا ، وتناولنا الفطور في مطعم الفندق ، وزرنا السيد توفيق حوري وهو عضو عامل نشيط في جماعة عباد الرحمن ومن مساعدي الاستاذ « ابو عمر » الكبار شاب ناهض درس في الجامعة الاميركية ببيروت واكمل دراسته في جامعة لندن ، زرنا في محله التجاري ، وخرجنا معه على سيارته لزيارة البلد ، ومررنا بالكلية العاملية وهي كلية أسسها العامليون وهم شيعة لبنان ، وكان لهم اتصال بالهند ، وكان فيهم علماء زاروا الهند وأقاموا فيها ولهم تراجم في نزهة الخواطر ، وسرنا في شارع السباق بين اشجار الصنوبر ، وشاهدنا منطقة الحرج الجميلة الى ان وصلنا الى مطار بيروت ، وهو أفخم مطار زرته في الشرق واحسنه تنظيما ، والطرق اليه من أجمل الطرق العالمية ، والى اليسار رأينا أكواخ اللاجئين الفلسطينيين الذين لا يزالون يذكرون في كل بقعة عربية بماسأة الاسلام والعرب .

زرنا في الرجوع سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد علايا ، دخلنا في

بهو جميل فاخر كأنه ديوان رئيس حكومة او امير قديم ، وسلمنا عليه وتحدثنا قليلا ، وبكل هذه المناسبات نذكر علمائنا في الهند وما هم فيه من بساطة وقلة مظاهر ، ونعتقد ان ذلك خير لهم ، وسمعنا ان موكب رئيس الوزارة ورئيس المجلس النيابي ورئيس الجمهورية يتحرك يومي العيد للتسليم على سماحة المفتي .

وزرنا الكلية الشرعية ، وحضرنا بعض الدروس ، والاساتذة هم علمـــاء الأزهر ، وهم يكادون يكونون من طراز واحد عـــلم غزير ، فاستحضار للمادة والقاء بارع .

وزرنا رئيس محكمة الاستئناف الشرعية الشيخ شفيق يمّوت وهو على غرار علماء الأزهر الشريف ، وتحدثنا مع سماحته برهة ، واستأذنا .

وفي الرجوع زرنا خلية الملك سعود وهي من أفخر البنايات التي زرناها وهي مؤسسة تشتمل على مسجد ومنتدى،وهي قاعة محاضرات إسلامية كبرى في بيروت ، ومدرسة ، ومشغل يشتغل فيـــه الفتيات بتعلم تدبير المنزل ، والإشغال اليدوية ومستوصف ، دخلنا المسجد وهو في الطبقة الثانية وصلينا الظهر وهو مسجد فخم مزدان وودت لو كان أكثر بساطة وتواضعاً واقرب الى المسجد الخاشع ، ولكنه هو المال الذي يضل طريقـه الى البؤساء واللاجئين فيصرف في الزخارف والزينات، ورأيت فتيات يخرجن من المشغل — لا اعرف هل هن مسلمات او مسيحيات والمظنون انهن مسلمات — عاريات كاسيات او متبرجات سافرات ، الى متى هذه المهازل يا ناس ؟ وما نهايـة هذا التقليد الغربي الوقح ايها العرب ؟ !

وتحمل هذه المؤسسة العظيمة اسم عاهل المملكة السعودية العربية لأنه تبرع بقدر ٢٦١ الف ليرة لبنانية ، وكان ذلك في عام ١٩٥٠ م وكان اميراً وزار الخليـة ، والقاعة الكبرى تتسع لأربعمئة شخص مجهزة بالسجاد وبالمقاعـد

المصنوعة من معدن الالومينيوم ويعلو جدرانها طبقة من خشب السنديان اللامع وهى أشبه بالبلاط الرخام فتعطي المنتدى روعة فنية ، وفي صدر القاعة رسم كبير للملك يحيط به العلمان السعودي واللبناني ، وتحتها خزانة خشبية تعد من أروع ما صنع لدقتها وبساطتها وهي تحـــوي آلة الراديو والبيك آب ثم آلة الاذاعة وآلة التسجيل .

وهنا – مع الأعتذار الى أصحاب الذوق الفني لا امتنع من أن أقول انهذه المؤسسة التي هي آية في الروعة والفخامة والزينة لا تتفق مع أمة فقيرة لا تزال عاجزة عن اكمال المهمات والحاجيات الكثيرة ويكثر فيها الفقر والبؤس ، والجوع والعري ، ومدارس لا تجد الكفاية من المال والوسائل ، والى الله المشتكى .

نسيت ان اذكر اننا زرنا الامام الاوزاعي الامام الكبير والحدث العظيم الذي طالما سمعنا الترمذي يقول في جامعة « والى ذلـــك ذهب الاوزاعي » « وقال الأوزاعي الخ » والمحل يسمى بـ « الأمام الاوزاعي » وقد دفن في قرية على باب مدينة بيردت القديمة ، وقفت على قبره استحضر جلالتـــه في العلم واخلاصه ومذهبه وان كان قد اندرس ، ولكن اسمه خالد في الفقه والحديث وفضله لا ينكر .

خرجنا من « الامام الاوزاعي » نمر بقصور العظماء وتفرجنا على البحر وعلى شاطئه مطاعم فاخرة يتوفر كل ما لا يبيحه الشرع ولا يرضاه الله . ولا يتخلى عنه المترفون ، ومررنا في طريقنا بصخرة الروشة التي هي في الحقيقة صخرة الانتحار ، وهي الصخرة التي تكثر عندها حوادث الانتحار ، وعند المنتحرين لها قدسية ، وقد وقفت عندها أطل على البحر وأتصور الجو الرهيب اليائس الذي يقف فيه الكافرون بنعمة الحياة اليائسون من رحمة الله ، وإذا بالشرطي يتقدم إلي ويمنعني من الاطلال ، لعله خاف علي فكرة الانتحار فعوذ بالله من ذلك . وسمعت ان اكثر المنتحرين من غـــير المسلمين ، ومن المقرر ان المسلمين

– على ضعف ايمانهم – أقل الاسم انتحاراً . وذلك بفضل الإيمان الذي غرسه محمد صلى الله عليه وسلم في نفوسهم .

دخلنا في مطعم البحرين المطل على البحر وجلسنا في طرفه البحري ، وتناولنا الغداء في ضيافة السيد توفيق ثم دخلنا مكتبة صاحبها من عباد الرحمن وهي بجوار المطعم ، ووجدت من مؤلفاتي « ماذا خسر العالم » و « مذكرات سائح » و « شاعر الاسلام » وأخذت نسخة من الكتب الثلاث ، ومررنا بمباني الجامعة الاميركية العظيمة التي تكاد تكون مدينة ، ورجعنا الى الفندق واسترحنا فيه ، وكان ممن رافقنا في جولتنا اليوم الاستاذ عبد الودود معلم كلية الزراعة الذي هو من انشط اعضاء عبد الرحمن ومن خاصة الاستاذ ابو عمر وفي المساء ذهبت لزيارة الاستاذ الكبير محمد أسد LEOPOLD WEISS سابقاً صاحب كتاب « الاسلام على مفترق الطرق » الشهير ، وهو مقيم في « عاليه » التي مررنا بها في طريقنا الى بيروت مع قرينته الاوربية ، عاكفاً على تأليف الجزء الثاني من كتابه الطريق الى مكة ROAD TOMECCA وجلسنا معه ساعة ، وقد قابلته في مكة المكرمة عام ١٩٥١ وكان يذكر هذه المقابلة ، وهو يتكلم الآن بالعربية بسهولة .

انصرفنا من عنده وزرنا الدكتور مصطفى الخالدي المسلم الغيور وكنت اسمع به . وسررت بهذه المقابلة والدكتور يلتهب غيرة للاسلام ويشكو من تقصير المسلمين في نشر الادب الاسلامي بالانجليزية فقدم الينا بعض مطبوعاته الانجليزية وذكر انه نشر محاضرتي « كارثة فلسطين » طبع منها نحو خمسة آلاف نسخة طباعة جميلة ووزعها .

كان الحاج حسن الكسواء وهو من كبار تجار بيروت وأثرياء البلد دعانا الى العشاء في بيته وصادفنا الاستاذ الفضيل الورتلاني مجاهد الجزائر الشهير ، وكان أول لقاء بيننا بعد ما تعارفنا علمياً وفكرياً

وطلب مني القـــاء كلمة فارتجلت ما حضرني حول مسئولية العرب ومركز المسلمين في الهند ، وألقى الفضيل كلمة بليغة قوية تشهد بأنه من كبار خطبـاء العرب ، وقد نوه بي في هذه الكلمة وقال ما أملاه حبه وحسن ظنه وتعشينا وقد لاحظت أن مستوى المعيشة في هذه البـلاد ارتفع ارتفاعاً ، وان الهند لا تزال في مؤخر المركب وعلى خط كبير من البساطة والزهد .

رجعنا ورجع معنا الأستاذ الفضيل وجلس يتحدث ويؤنس بحديثه العذب وحبِّه العامر ونمنا متأخرين .

٣٠ من شعبان ١٣٧٥ هـ – ١١ من ابريل ١٩٥٦ م

تقرر أمس أن نقوم بزيارة قصيرة لطرابلس بلد لبنـان الاسلامي الوحيد فتهيأنا وتوكلنا على الله ، وسارت بنا السيارة على ساحل البحر ، ونحن نمر بقرى عامرة ، ومناظر فاتنة ، والبحر يرافقنا طول الطريق ، لا ننقطـــع عنه ولا ينقطع عنا ومررنا بقرية جبيل وبترون . . . . . وللمسلمين فيها نشاط ، ومررنا بمنطقة معامل الإسمنت ، ومررنا بقلمون قرية العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله ، حتى وصلنا إلى طرابلس ، ونزلنا في مركز عباد الرحمن فأطاف بنا الشباب الاسلامى الناهض والتفوا حولنا ، وقد شعرت فيهم بالحماسة الدينية ، والحب البريء والعاطفة القوية التي كنت أشعر بها عند شباب الإخوان في مصر ، ولا شك ان العباد نسخة لبنانية من الإخوان ، وقد انشرح صدري وتفتح قلبي في طرابلس ووجدت فيه مـا كنت افقده في بيروت من الانشراح ، واحببت هؤلاء الشباب ، وكل واحد منهم حريص على الحديث وعلى الاقتراب .

انتهزنا الفرصة وخرجنا للزيارات ، زرنا الكلية الشرعية او المدرسة الثانوية – لا أذكر – وهي تحمل الطابع الإسلامي الديني وتمتـاز في النظافة والأناقة والتنظيم ، واجتمعنا بأحد معلميها وهو شيخ ذهب من بالي اسمه رحب بنـــا

ترحيب العلماء ولما سمع اسمي عرفني بالكتب التي قرأها وأبدى إعجابه بهذه الكتب وظهر انه صاحب دراسة للأدب الاسلامي الحديث وصاحب فكرة وعقيدة وفيه تواضع العلماء ، واعجبني شخصيته وتواضعه ، واعجبتني هذه المدرسة أكثر من كل مدرسة زرتها في سورية ولبنان .

وتشرفنا بزيارة القاضي الشرعي ، ووجدنا عنده من النشاط الفكري والوعي ما لم نجده في زملائه في لبنان ، وقصدنا منطقة أبو سمرة الجميلة الخضراء ومنها تجمع الماء وفاض وسبّب خسائر عظيمة ، وشاهدنا نهر أبو علي وشاهدنا خرائب الفيضان ، أحياء متهدمة ، ومباني محطمة وجسراً منسوفاً ، لا يصدق ان هذا النهر المتواضع الوادع يثور هذه الثورة .

رأينا مركز المولوية – نسبة الى مولانا جلال الدين الرومي – ومدرسة ابن خلدون الرسمية ومدرسة الغزالي الرسمية – وصلينا الظهر في جامع المدينة وتفرجنا على ميناء طرابلس ، وسمعت ان مقاهي الميناء تعم فيها المسكرات .. هي بلية قد عمت في لبنان – ولم يزل الاخوان يرافقوننا في هذه الجولة البلدية في حب واخلاص اذكر منهم الاخوان مدحت بلحوص أمين صندوق الجماعة ، وفتحي شريف رئيس قسم الأسر وسعيد شعبان تلميذ الأزهر . ومحمود عباس قائد الاشبال ، ومحجم مسلم وقد أراني دفتره وفيه مقالتي « المسلمون في الهند » وقال انه قرأها في إحدى حفلات الجماعة ، ومعذرتي إذا كنت نسيت منهم أحداً فأني اكتب هذا الحديث بعد ما مضى أكثر من شهر على الرحلة .

تغدينا في ضيافة الجماعة في مطعم قهوة التل العليا في جو جميل وهواء منعش ومنظر بهيج في صحبة اخوان تجاوبت قلوبهم واشمت أفكارهم ، ورجعنا إلى المراكز واجتمع الاخوان واكثرهم تلاميذ في المدارس وشباب غض ، وارتجل الاستاذ سعد الدين الوليلي خطبة تجلت فيها خطابته وبراعته – وهو خطيب شأن أكثر الاخوان .. والقيت كلمة وجيزة ، وكان الوقت ضيقاً ، ولا

بد من الرجوع إلى بيروت ، فاليوم موعد المحاضرة في خلية الملك سعود ، وفي نفوس الشباب حاجة ما قضوها من لقاء فأمرهم والجلوس معه ، وفي نفس الزائر حاجة ما قضاها من تحية اخوانه والحديث اليهم وقضاء بعض الوقت في هذا البلد الاسلامي الحبيب وقد عزم الاخوان عليّ بالعودة إلى طرابلس بعد رمضان .

وكلمة عن طرابلس ، هو مركز المحافظة ولبنان كسورية تشتمل على محافظات ، وعاصمة الشمال ، وفيها سبعون أو ثمانون ألفاً من النفوس ونسبة المسلمين في طرابلس ٧٥٪ ، وقد انفصل عن سورية وضُمّ إلى لبنان ، ولا يزال يحن إلى سورية التي يشاركها في الإسلامية والديانة ، ولا يزال يسمّى طرابلس الشام ، ولاحظت أن جماعة العباد في طرابلس نشيطة ولها مركز قوي في المدينة ودعوة منتشرة متغلغلة في الشباب ولاحظت للشباب اطلاعاً على ما ينشر من المؤلفات الإسلامية الحديثة ولشيوخها ومثقفيها اطلاع على نشاط ندوة العلماء وتقدير لأبنائها ومؤلفاتهم وعندهم اعجاب بالجماعة الاسلامية في باكستان وتقدير لما تنشره وتقوم به .

صلينا العصر وتوجهنا الى بيروت ، وفي « قلمون » استقبلنا الأخ شفيع مع مجموعة من الشباب ، وتشرفنا بمقابلة ابن عم العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله ، وهو يعرف ان السيد رحمه الله سافر إلى الهند لرئاسة حفلة ندوة العلماء وقد الح الاخوان علينا بالمكث في قلمون ولكن اعتذرنا بسبب المحاضرة ، وودعناهم .

وصلنا إلى بيروت ، وصلينا صلاة المغرب في مسجد الخلية متأخرين ، وحان وقت المحاضرة ، فنزلنا وحضر الاستاذ الفضيل الورتلاني ومجموعة طيبة من المثقفين ، وقدمني الاستاذ سعد الدين الوليلي ، وقمت والقيت محاضرة قلت فيها ان الأمم لا تعيش بالحضارات انما تعيش بالرسالات ، والروح والخصائص ،

وشرحت رسالة هذه الأمة وذكرت الروح والخصائص التي تنتصر بهـــا هذه الأمة على الامم ، منها الإيمان بالغيب ، وذكرت قوته وتاثيره وما يأتي به من عجائب وخوارق ، وذكرت أمثلته الرائعة من تاريخ الإسلام الأول وذكرت أسلوب الحيـــاة الذي كان يعيش عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم وذكرت تسخيره للقلوب والنفوس وضربت امثلة له وذكرت تغلبهم على المادة وزهدهم في الحياة وعزوفهم عن الشهوات وإغراءات المادة وبريقها وذكرت أن هذا الاسلوب جدير بالتسخير ولا يزال له سحر في النفوس ، إلى اخر ما فتح الله به عليّ بهذه المناسبة ، وقام الاستاذ « ابو عمر » فلخص المحاضرة وشكر المحاضر وانفض المجلس .

ومن الخلية توجهنا الى بيت الشيخ حسن الكواء مرة ثانية واجتمعنا بالسيد راشد الحوري وجماعة من العلماء واعيان البلد وهنا فوجئنا – وهي مفاجـــأة سارة بحلول رمضان فقد تحققت الرؤية في المحكمة الشرعية وانطلقت المدافع ، ورجعنا الى محلنا وقضينا آخر ليلة في بيروت .

غرة رمضان

اصبحنا والحمد لله صائمين ، وتوجهنا الى دمشق قافلين

وكلمة وداع عن بيروت وملاحظة عن حركة العباد ، لقد ذكرت ان قلبي لم يتفتح لبيروت ، ولم أستطع ان أصف المدينة وأعبر عن شعوري وأسعفني الاستاذ سعد الدين فقال انها مدينة داكنة ، ويغلب عليها الطابع المسيحي ، فالكنائس منتشرة والصلبان ظاهرة ، والتحلل فاش ، وحركة العباد هي الحركة الاسلامية الوحيدة في هذا البلد المتحلل الخاضع لسلطان النصرانية الثقافي وسلطان الغرب الخلقي .

ولاحظت أن حركة العباد يتغلب عليها الجانب الرياضي والتنظيم العصري ،

ولا شك انهما عاملان مهمان في نشء الحركات وتقدمها في هذا العصر وفي البيئة اللبنانية بصفة خاصة ، وللحركة نشاط ملحوظ في نشر التوجيهـات الإسلامية ونتمنى أن يزداد الاعتناء بالجانب الروحي فهو أساس الحركات الدينية ولو ألهم الله قائدها وموجههـا الكبير النشيط المؤثر ، العناية الكبيرة باحياء السنن والمحافظة على الآداب الإسلامية بدقة وقوة – وفي استطاعة القائد أن يفعـل ذلك وقد سنحت الفرصة وتغلغلت الدعوة – لانتج إنتاجاً هائلا وكانت قوة كبيرة في البلد وتياراً اسلاميا كبيراً : وفي اخلاص الاستاذ «ابو عمر» وحرصه على الاصلاح وسلامة تفكيره وفي توفيق الله تعالى الذي لا يزال حليفاً لهذه الجماعة ما يبعث الأمل الكبير . وعلى الله قصد السبيل .

فهرس الاعلام



ـ أ ـ

ـ ب ـ

— ت —

— ج —

— ح —

- ص -

- ض -

ط - ظ

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل - م -

- ن -